المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المعهد العالي للدعوة الإسلامية
الدراسات العليا

الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف

بحث تقدم به الطالب

فهد بن عبد الرحمن السويدان من قسم الدعوة والاحتساب

لنيل درجة التخصص (الماجستير)

بإشراف الدكتور / محمد صالح محيي الدين محمد
الأستاذ المشارك بالمعهد

العام الجامعي
١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

((مقدمة عامة))

بسم الله الرحمن الرحيم

أ - أهمية الموضوع :

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب اليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبعد : فان الصراع بين الحق والباطل صراع قديم ، فمنذ أن خلق الله - سبحانه وتعالى - آدم - عليه السلام - وأمر إبليس بالسجود له مع الملائكة فأبى وتكبر ، بدأ العداء بين إبليس وآدم وذريته من بعده إلى يوم القيامة .

وكان من نتائج هذا العداء أن أهبط الله - تعالى - آدم وزوجه الى الارض ، وأسكنه وبنيه فيها ، واستمرت معارك الصراع بين الحق والباطل ، فقابيل لقتل أخاه هابيل حقدا وعدوانا ، وبدأ الإنسان يقاتل أخاه الإنسان من أجل العقيدة - من أجل الحياة - ومن أجل البقاء .

وفي كل العصور والأزمنة نجد الصراع قائما بين الحق والباطل ، فالأنبياء والمرسلون كان لهم خصوم وأعداء من أقوامهم ناهضوا دعواتهم وحاربوها ، لكنهم وقفوا في ثبات وقوة وعزم وصبر ، يجاهدون لتثبيت دعائم مبادئهم ، ويدافعون لإرساء قواعد شرائعهم المنزلة من عند الله

ولئن كان الأنبياء والمرسلون قد لاقوا - في أول الأمر - مشاق وارهاقا ، نتيجة التحدي والإصرار والعناد من معارضيهم .

ولئن كان للباطل في مستهل الدعوات صولة ودولة وغلبة بكثرته ،

فإن النهاية كانت دائما نصرا لأنبياء الله المصلحين .

كذلك كان المصلحون في كل وقت يقتدون برسل الله في حركات الجهاد ضد الجهل والخرافة والباطل ،وفي سبيل الذود عن حياض الدين ،لإرجاع المسلمين إلى مبادئه ،وتبصيرهم بشرعية الحق ،فكان لهم خصوم من المبطلين ،وأعداء من المزيفين وقفوا ضد دعواتهم الحقه، وحاربوهم ،وألبوا عليهم الحكام والخاصة والعامة ،وحاولوا تشويه دعواتهم ،لتنفير طلاب الحق منها وحملهم - بدلا من ذلك - على اعتناق عقائدهم الباطلة ،وأفكارهم الضالة .

لكن هؤلاء المصلحين - وإن تعرضوا لقسوة التحدي والتشريد والاساءة استعانوا بالله ،وصبروا وواصلوا جهادهم ضد أهل الشرك والباطل حتى تم لهم النصر ،وتحقق لهم الفوز والغلبة .

إن الصراع بين الحق والباطل سيظل قائما مادامت السموات والارض ، لا تهدأ معاركه ،ولا تخبو جذوته ،ولا تنتهي حواديثه ،ولا يكل المتخاصمان فيه من الجدل والمناقشة .

لكن مهما بلغت قوة الباطل وصولته ،ومهما كانت دولته وكثرته، فحسب دعاة الحق أنهم يستمدون قوتهم من قوة الله ،ويأخذون عدتهم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهكذا يتبين لنا أهمية دراسة هذا الموضوع .

ب - سبب اختيار الموضوع ، ونطاقه :

أما عن سبب اختيار الموضوع ونطاقه فأقول :

ما كدت أجتاز اختبارات الدراسة التمهيدية للماجستير بنجاح حتى أخذت أفتش عن موضوع يلائم تخصص الدعوة والإحتساب ، وكان موضوع الصراع بين الحق والباطل من أبرز الموضوعات التي شدت انتباهي ، ووجدت في نفسي ميلا للكتابة فيه .

وبعد اطلاع وتتبع لأطراف هذا الموضوع تبين لي أنه متشعب الجوانب بعيد الأغوار ، فرأيت أنه لا بد من حصره وتحديده في نطاق معين ، لتكون الدراسة علمية محددة محصورة .

وبعد التدبر والتأمل ، واستشارة بعض مشايخي وأساتذتي الأجلاء ، اهتديت بتوفيق من الله - سبحانه - الى أن تكون الدراسة في سورة من سور القرآن الكريم ، وأن هذه السورة الكريمة هي سورة الكهف ، لما فيها من قصص تحكي قصة الصراع بين الحق والباطل في كثير من جوانبه ، ففيها قصة أصحاب الكهف ، وقصة المؤمن وصاحب الجنتين ، وقصة آدم وإبليس ، وقصة موسى والخضر عليهما السلام ، وقصة ذي القرنين ، بالاضافة الى أن السورة تشتمل على عجائب فريدة ، ومغاز بعيدة ، وتوجيهات سديدة ، وعظات بالغة رشيدة ، كما أنها تحتوي على صور مشروعة رائعة تمثل عظمة الخالق - جلت قدرته وحكمته - في تصريف هذا الكون ، وتقرر وحدانيته ، وتنفي عنه الشريك والشركاء تعالى وتنزه عما يقول المبطلون .

جـ - مشكلات البحث وصعوباته :

لا شك أن الباحث إذا أقدم على موضوع متشعب كهذا لا بد أن يواجهه كثير من الصعوبات ، ومن الصعوبات التي واجهتني ندرة المراجع سواء المخطوط منها ، والمطبوع ، حيث لم أجد ما كنت أطمح اليه من مادة تعطي هذا الموضوع ما يستحق ، ليبرز في أكمل صورة علمية تحقق أمنيتي .

وقد بذلت جهدي في جمع مادة هذا الموضوع، ولمّ أطرافه ، وجمع متفرقه ، وترتيبه وتنسيقه ، ولا شك أنه جهد المقل ، فان كان صوابا فبتوفيق من الله وكرمه ، وإن كان غير ذلك فعذري أني بشر معرض للخطأ والصواب وما توفيقي إلا بالله هو حسبي ونعم الوكيل .

د - مكانة دراستي هذه من الدراسات السابقة في الموضوع :

أما عن مكانة دراستي هذه من الدراسات السابقة في موضوع الصراع بين الحق والباطل عامة ، والصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف خاصة فقد اتضح لي من خلال الدراسة والبحث ، ومما استطعت الاطلاع عليه من مراجع أنه لم يسبقني أحد في هذه الدراسة ، سوى ما كتبه المفسرون والمؤرخون في بيان معاني آيات سورة الكهف ، كل فريق على منهجه ومنهج جماعته في التفسير والتأريخ ، دون إبراز لصور هذا الصراع على نحو ما فعلت ، وسوى ما كتبه بعض المفكرين الذين كتبوا مقالات ، ونبذ امختصرة لم تعط الموضوع حقه ، ولم تستوف جوانبه المتناثرة .

هـ - منهج البحث :

وبعد الاقتناع بهذا الموضوع قمت بوضع خطة مفصلة له ، وقدمته للتسجيل ، وبعد الموافقة عليه ، وإحالته إلى المشرف ، استعنت بالله ، ثم بتوجيه أستاذي المشرف الدكتور **محمد صالح محيي الدين** وشرعت بالكتابة في الموضوع وفق المنهج الآتي :

١ - أوردت الآيات القرآنية الكريمة الخاصة بكل موضوع على حدة .

٢ - شرحت المعنى الاجمالي للآيات الكريمة الخاصة بكل موضوع في المتن ، والكلمات الصعبة في الحاشية .

٣ - أتبعت ذلك بذكر أسباب النزول إن وجدت .

٤ - أوردت أهم أقوال المفسرين في موضوع الخلاف ، محاولا الترجيح بينها بما يعضده الدليل القوي حسب علمي ، وما لم أطمئن بصحة دليله ذكرته للاستقصاء والإلمام بأطراف الموضوع ، وما لا يستند إلى دليل ذكرته ونبهت إليه .

٥ - بينت صور الصراع بقدر الامكان ، وكشفت عن بعض ملامحه ، وذكرت بعض نتائجه من خلال القصص الواردة في السورة ، اما صراحة وإما ضمنا .

وقد تألف منهجي في كتابة البحث - بعد المقدمة - من تمهيد وستة فصول ، انقسم كل فصل منها الى عدة مباحث تناولت في التمهيد - وعنوانه "مكانة سورة الكهف وموضوعها ومقاصدها" - المقصود بفضل سورة الكهف بين سور القرآن الكريم الذي هو أفضل ما يتقرب المتعبدون بتلاوته ثم تكلمت عن نوع هذه السورة من حيث العهد والمكان اللذين نزلت فيهما ، وعدد آياتها ونحو ذلك .

وتحدثت في الفصل الأول عن صراع الإيمان والكفر في قصة أهل الكهف ،وتضمن مبحثين : الأول في التعريف بأهل الكهف والرقيم والثاني في أحداث قصة أهل الكهف والرقيم .

وأفردت الفصل الثاني للحديث عن الصراع في قصة المؤمن وصاحب الجنتين ،وقد اشتمل على ثلاثة مباحث : الأول في التفكير المادي وقصر نظره ،والثاني : في التفكير الإيماني وعمقه ،والثالث : في نتائج هذا الصراع .

وفي الفصل الثالث : عالجت موضوع الصراع في قصة آدم وإبليس من خلال ثلاثة مباحث : الأول في التعريف بآدم وإبليس، والثاني في نشأة الصراع وأسبابه ،والثالث في نتائج هذا الصراع .

أما الفصل الرابع .. فقد قصرته على الحوار الذي عبّرت عنه قصة موسى والخضر عليهما السلام ،وقد تضمن ثلاثة مباحث :

الأول : التعريف بالخضر عليه السلام .

والثاني : التعريف بموسى ،وفتاه .

والثالث : في تحد للفكر المادي .

وعرضت في الفصل الخامس قصة ذي القرنين ،وقد تفرع موضوع هذا الفصل الى أربعة موضوعات فرعية ،ناقشت كل موضوع فرعي في مبحث فكان المبحث الأول عن التعريف بذي القرنين ،وعلة تسميته .

والثاني : في سيرته وما هيأ الله له من أسباب .

والثالث : عن صور الصراع .

والرابع : عن نتائج هذا الصراع .

أما الفصل السادس والأخير فقد كان عن منهج السورة في تصحيح العقيدة ،وتقرير قيمها وتضمن مبحثين :

الأول : في تصحيح العقيدة .

والثاني : في معايير السورة في تقرير القيم والجزاء .

وأنهيت بحثي هذا بخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي قادتني إليها الدراسة .

و - شكر وتقدير :

وبعد فإني أتقدم بخالص الشكر ووافر التقدير لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في المعهد العالي للدعوة الاسلامية الذي أتاح لي فرصة الدراسة العليا في رحابه ، ولقيت من مديره ، ووكيله ، وأساتذته ، كل عناية ورعاية ، وتقدير .

كما أتقدم وافر شكري ، وعظيم امتناني لفضيلة المشرف الأستاذ الدكتور محمد صالح محيي الدين محمد الذي غمرني بأفضاله وعاش معي الليالي الطوال في إعداد هذا البحث ، وإظهاره بهذا المظهر ، كما لا يفوتني أن أشكر جميع أصدقائي وزملائي ، وأصحاب المكتبات الذين أسهموا في توفير كثير من المراجع والمصادر التي كنت أحتاج إليها في جمع مادة هذا البحث .

والله من وراء القصد .

تمهيـــــــــد

مكانة سورة الكهف، وموضوعها، ومقاصدها

أ) فضل سورة الكهف :

القرآن الكريم بجميع سوره هو أفضل ما يتقرب المتعبدون بتلاوته الى الله تبارك وتعالى ، غير أن هناك سورا بعينها ورد ت فيها آثار عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - تتحد ث عن خصوصيتها بمزيد من الفضل ، وتحث على الإكثار من تلاوتها ، ومن هذ ه السور سورة الكهف ، موضوع هذ ا البحث.(١)

وقد أخرج البخارى ، ومسلم ، والترمذ ى ، وأحمد عن البراء بن عـازب - رضي الله عنه - قال : " كان رجل(٢) يقرأ سورة الكهف والى جانبه حصـان مربوط بشطنين(٣) فغشته سحابة ، فجعلت تد نو وتد نو ، وجعل فرســـه ينفر ، فلما أصبح أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكر لـه ، فقـــال - صلى الله عليه وسلم - : " تلك السكينة تنزلـت بالقرآن "(٤)

---

(١) ومن هذ ه السور : سورة البقرة ، آل عمران ، و"يس" ، والد خان ، والواقعة والملك . "والا خلا ص .

(٢) الرجل هو : أسيد بن حضير رضي الله عنه . أنظر : ابن حجر ، فتح البارى ٩ / ٥٧ .

(٣) الشطنان مثنى شطن ، والجمع أشطان وهوالحبل انظر : ابن د ريـد جمهرة اللغة ٣ / ٥٨ . ط : مكتبة المـثنى ببغد اد .

(٤) صحيح البخارى ٦ / ١٠٤ ، ط : المكتب الا سلامي باستنبول ، ١٣٨٩ هـ وصحيح مسلم ١ / ٥٤٧ ، ٥٤٨ . نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والا فتاء بالرياض ١٤٠٠ هـ ، والجامع الصحيح للترمذ ى ٥ / ١٦١ ، ط: الحلبي بمصر . الطبعة الا ولى ١٣٧٤ هـ ، الفتح الرباني بترتيب مسنـد الإمام أحمد ١٨ / ١٩٩ ط : الساعاتي بالقاهرة . الطبعة الا ولى ١٣٧٤ هـ

* وأخرج الترمذى بسنده عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " من قرأ ثلاث[1] آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال "[2].

* وأخرج بن ماجة بسنده عن أبى أمامة الباهلي - رضي الله عنه - من حديث طويل (... فمن ابتلى بناره[3] فليستغيث بالله ، وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم)[4].

* وأخرج الحاكم بسنده عن أبى سعيد الخدرى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " من قرأ سورة الكهف كما أنزلت

= = وشرح السنة للبغوى ٤/ ٤٧ ، ط: المكتب الاسلامي بدمشق تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، وزهير الشاويش .

(١) وقد وردت أحاديث أخرى في هذا المعنى منها : -

- ما رواه مسلم ، وأحمد ، والحاكم عن أبى الدرداء - رضي الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال " . راجع صحيح مسلم ١/ ٥٥٥ ، ومسند الامام أحمد ٥/ ١٩٦ ط : المكتب الاسلامي ببيروت ، والمستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٦٨ ، ط : مكتبة النصر بالرياض .

- وما رواه احمد بسنده عن أبى الدرداء أيضا أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال " الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد ١٨/ ٢٠٠ .

- وما رواه الدارمي عن خالد بن معدان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من قرأ عشر آيات من الكهف لم يخف الدجال) . انظر السنن للدارمى ٢/ ٣٢٦ ط: شركة الطباعة بالدراسة ١٣٦٨ هـ .

(٢) الجامع الصحيح ٥/ ١٦٢ .

(٣) يشير الى الدجال .

(٤) سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٠ ، ط : الحلبى بمصر .

كانت له نورا يوم القيامة ، من مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه)[١].

* وأخرج الحاكم - أيضا - بسنده عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)[٢].

* وأخرج الإمام أحمد بسنده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : (من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه الى رأسه ، ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين السماء والأرض)[٣].

* وأخرج الدارمي بسنده عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق)[٤].

* وأخرج الدارمي - أيضا - بسنده عن ذر بن حبيش - رضي الله عنه - قال : (من قرأ آخر الكهف لساعة يريد أن يقوم من الليل ، قامها !!)[٥].

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/ ٥٦٤ ، ٥٦٦ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٦٨ .

(٣) الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام احمد ١٨/ ١٩٩

(٤) سنن الدارمي - ٢/ ٣٢٦ .

(٥) المصدر السابق : المكان نفسه .

وفي الأحاديث السابقة من فضائل سورة الكهف ما يلي : -

أولا : نزول السكينة على من قرأها ، والسكينة هي : الرحمة والطمأنينة

ثانيا : فضل قارئ سورة الكهف والمستمع لقارئها .

ثالثا : إن قارئها يعصم من فتنة الدجال ، وتكون عليه نار الدجال بردا ، وسلاما .

رابعا : إن سورة الكهف تكون لقارئها - كما أنزلت - نورا يستضيء به من مكان إقامته إلى البيت العتيق ، ومن الجمعة الى الجمعة الأخرى ، ومن قدمه الى رأسه ، ونورا له ما بين السماء والأرض، ويوم القيامة .

ب - موضوع سورة الكهف :

هذه السورة الكريمة من السور المكية ، ومن آخرها نزولا ، وآياتها عشر آيات ومائة آية ، ومعظم آياتها وهي إحدى وسبعون آية تستغرقها القصص الثلاث التي تعد من أهم مقاصد السورة .

أولها : قصة أصحاب الكهف وبها سميت السورة لأهميتها ، وعظم شأنها ، ولوقوعها في أول السورة[1].

وتبدأ هذه القصة من الآية التاسعة حتى السادسة والعشرين .

وثانيتها : قصة موسى والخضر - عليهما السلام - من الآية الستين الى الآية الثانية والثمانين .

والقصة الثالثة : قصة ذي القرنين من الآية الثالثة والثمانين حتى السابعة والتسعين .

---

(١) انظر سيد قطب : في ظلال القرآن ٤/ ٢٠٢٥ . ط : دار الشروق بيروت الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ، ومحمد البهي : التفسير الموضوعي للقرآن ، ص ٥ ط : مكتبة وهبة بالقاهرة ، ومحمد علي الصابوني : مع أعلام

أما بقية آيات السورة ، فبعضها عني بضرب الأمثلة ، وهي ثلاثة : -

المثل الأول : مثل الفتي المتكبر والفقير المؤمن المعتز بدينه ، ويقع في الآيات السادسة والثلاثين إلى الرابعة والأربعين .

والمثل الثاني : مثل الحياة الدنيا في فنائها وزوالها وقد تناولته الآيتان الخامسة والأربعون والسادسة والأربعون .

والمثل الثالث : التكبر والغرور المتمثل في امتناع إبليس عن السجود لآدم ، عليه السلام وقد تناولته الآيتان : الخمسون والواحدة والخمسون .

والسورة في مجموعها تنطلق من ثلاثة منطلقات رئيسية هي :

تصحيح العقيدة ، وتصحيح منهج النظر والفكر ، واعتبار العقيدة المعيار الوحيد للسلوك البشري .

أولا : تصحيح العقيدة :

ويظهر بجلاء في بداية السورة وختامها وفي قصة أصحاب الكهف حيث يعلن الفتية في قوة وثبات - كما حكى القرآن عنهم -

" ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا "(١).

وفي التعقيب على قصة أصحاب الكهف في قوله تعالى " مالهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا "(٢).

= = المفسرين ، تفسير سورة الكهف ص ١٠ . ط : مكتبة الغزالي بدمشق وبيروت . الطبعة الأولى بيروت ١٣٩٨ هـ .

(١) سورة الكهف من الآية : ١٤ .

(٢) سورة الكهف من الآية : ٢٦ .

وفى مشهد من مشاهد القيامة في قوله تعالى : " ويوم يقول نـــادوا شركائى الذين زعمتموهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا "[١]

وفى قصة صاحب الجنتين حيث يقول المؤمن لصاحبه - كما حكى القـرآن عنه - " ولا أشرك بربى أحدا "[٢].

ثانيا : تصحيح منهج النظـر والفكـــر :

ويبدو واضحا في مطلع السورة في قوله تعالى : " إن يقولون الا كذبا "[٣]

وفى قول الفتية الذى حكاه القرآن : " هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا "[٤]

وفى تساؤل الفتية بعد قيامهم من النوم - كما حكاه القرآن عنهـــم : " وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالـوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم "[٥].

وفى قوله تعالى " قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ..."[٦] .

وفى قول الخضر عليه السلام كما حكى القرآن عنه : " رحمة من ربـــك وما فعلته عن أمرى "[٧] . إلى غيرها من الآيات .

---

(١) السورة نفسها الآية ٥٢

(٢) السورة نفسها الآية ٣٨ .

(٣) السورة نفسها : من الآية : ٥

(٤) السورة نفسها : من الآية : ١٥

(٥) السورة نفسها : من الآية : ١٩

(٦) السورة نفسها : من الآية : ٢٢

(٧) السورة نفسها : من الآية : ٨٢

ثالثا : اعتبار العقيدة المعيار الوحيد لتقويم السلوك البشرى :

وهو ما أشار إليه قوله عز وجل : " إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لّها لنبلوهم أيهم أحسن عملا "[1]. وقوله عز وجل :

" وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون الاّ الله فأوُوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مّرفقا "[2].

فحمى الله أرحب ولو كان المؤمن في أضيق أمكنة الدنيا .

وفي قوله عز وجل " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر "[3].

وفى رد المؤمن المعتز بعقيدته على صاحبه الكافر المغرور ، كما حكاه القرآن عنه :

" قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا * لكنّا هو الله ربّي ولا أشرك بربي أحدا * ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا * فعسى ربّى أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السّماء فتصبح صعيدا زلقا * أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا * "[4].

وفى ضرب الله تعالى المثل فى سرعة زوال الدنيا " واضرب لهم مثل الحيوٰة الدنيا كماء أنزلنٰه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الريٰح وكان الله على كل شئ مقتدرا "[5].

---

(١) سورة الكهف من الآية : ٧

(٢) السورة نفسها : من الآية : ١٦

(٣) السورة نفسها : من الآية : ٢٨ ، ٢٩

(٤) السورة نفسها : من الآيات : ٣٧ - ٤١

(٥) السورة نفسها : من الآية : ٤٥ .

وفي تعقيبه تعالى بالتفريق بين القيم الثابتة الخالدة ، والقيم الزائلة : " المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا "(١).

وفي قصة ذي القرنين فهو لم يذكر لكونه من أعظم ملوك الدنيا ، بل لأعماله الصالحة وعدله ، فهو مثلا يرفض الثمن الذي قدم له لبناء السد ، ويرد الأمر الى الله في تمكينه لبناء السد ، وذلك فيما حكاه الله تعالى عنه : " قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما "(٢).

وقوله تعالى : " قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا "(٣).

وفي ختام السورة في قوله تعالى : " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا * "(٤).

وهكذا يظهر محور هذه السورة الكريمة من خلال هذه الموضوعات الثلاثة السابقة الذكر(٥).

---

(١) سورة الكهف : الآية ٤٦ .

(٢) السورة نفسها : الآية ٩٥ .

(٣) السورة نفسها : الآية ٩٨ .

(٤) السورة نفسها : الآيات : ١٠٣ - ١٠٥

(٥) أنظر : سيد قطب : في ظلال القرآن . مج ٤/ ٢٢٥٨ .

جـ - مقاصد سورة الكهف :

تشتمل هذه السورة الكريمة على الكثير من المقاصد والعظات والعبر فنذكر منها ما يلي : -

١ - قدرة الله تعالى على تسخير هذا الكون وما يدور في فلكه من السنن الكونية التي أودعها الله سبحانه وتعالى فيه ، وقدرته على صنع المعجزات والخوارق الباهرة كما في قوله تعالى :

" انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا "[1].

وفي قوله تعالى : " وترى الشمس اذا طلعت تزور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا "[2].

٢ - إثبات البعث واليوم الآخر وما فيه من الأهوال والعذاب للكافرين والثواب العظيم للمؤمنين ، كما في قوله تعالى : " وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها ... "[3]

وفي قوله تعالى : " وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا . وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا * الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا "[4].

---

(١) سورة الكهف : الآية : ٧ .

(٢) السورة نفسها : الآية : ١٧ .

(٣) السورة نفسها : الآية : ٢١ .

(٤) السورة نفسها : الآيات : ٩٩ - ١٠١ .

وفي قوله تعالى : " إن الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت انآ لا نضيع أجـــر من أحسن عملا * أولٰئك لهم جنٰت عدن تجرى من تحتهم الأنهـــٰر يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكـئين فيها على الأرآئك نعم الثواب وحسنت مرتفقا "[1].

وفي قوله تعالى : " ان الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت كانت لهم جنٰـــت الفردوس نزلا * خٰلدين فيها لا يبغون عنها حولا "[2].

٣ - ابتلاء الله تعالى وامتحانه لخلقه ، وبخاصة الكفار منهم وأهل الكتـاب ، بزخارف الدنيا وزينتها وما فيها من متاع ولذة ، وإنذارهم بسوء العقبى ، مع تبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالأجر الجزيل والعاقبـــة الحميدة ، كما في قوله تعالى : " الحمد لله الذى أنزل على عبـــده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأسا شديدا من لدنـــه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصٰلحٰت أن لهم أجرا حسنا مٰكثـين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا "[3].

٤ - الصراع الدائر منذ الأزل بين الحق والباطل والايمان والكفر ، كما فـــى قوله تعالى : " واذ قلنا للملٰئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليـــس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونـــي وهم لكم عدو بئس للظٰلمين بدلا "[4].

---

(١) سورة الكهف الآيتان : ٣٠ - ٣١ .

(٢) السورة نفسها : الآيتان : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٣) السورة نفسها : الآيات : ١ - ٤ .

(٤) السورة نفسها : الآيـة : ٥٠

٥ - تسلية الرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين حيث كانوا يتعرضون لأذى الكفار ،وحثهم على الصبر ،وبيان أن الفرج يأتي بعد الشدة وأن الطمأنينة تعقب القلق ،ونجد ذلك في قصة أصحاب الكهف والرقيم (١).

٦ - الشوق بالايمان وآثاره في النفوس ،ومن تلك الآثار : اختيار المؤمن الهجرة وعدم الرضوخ للحكام الظالمين وجبروتهم كما في قوله تعالى :

" واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا (٢).

وفي قوله تعالى : " نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى " (٣).

٧ - بيان أن ما صنع الله تعالى بأهل الكهف ليس بأعجب من آيات الله في السموات والأرض وما بينهما ،كما في قوله تعالى :

" أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا " (٤).

٨ - التأكيد على أن الله تعالى يستجيب لدعاء المؤمنين الصادقين ويهيئ لهم من أسباب النجاة والرزق ،كما فعل بأصحاب الكهف في قوله تعالى :

" واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا " (٥).

---

(١) سورة الكهف انظر الآيات من ٩ : ٢٦ .

(٢) السورة نفسها : الآية : ١٦ .

(٣) السورة نفسها : الآية : ١٣ .

(٤) السورة نفسها : الآية : ٩ .

(٥) السورة نفسها : الآية : ١٦ .

وفي قوله تعالى : " إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا " (١).

٩ - تقرير وحدانية الله تعالى ،ونفي ما عداه ،وإظهار فساد اعتقاد أهل الشرك كما في قوله تعالى : " وينذر الذين قالوا آتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا" (٢).

وقوله تعالى : " وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا،هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه ءالهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن أفترى على الله كذبا " (٣).

وفي قوله تعالى : " قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا . لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا " (٤).

وفي قوله تعالى : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " (٥).

١٠ - الإشارة الى أنّ ما يصيب الانسان من خير أو شر إنما هو بمشيئة الله تعالى وتدبيره فهو المهيمن والمهيئ للأسباب ومالكها ومصرفها كما في

---

(١) سورة الكهف الآية : ١٠ .

(٢) السورة نفسها : الآيتان : ٤ ، ٥ .

(٣) السورة نفسها : " : ١٤ ، ١٥ .

(٤) السورة نفسها : " : ٣٧ ، ٣٨ .

(٥) السورة نفسها : الآية : ١١٠

قوله تعالى : " ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا " .(١)

١١ - نهي المؤمنين عن الخوض في الأمور الغيبية ،وعن الجدل فيما ليس لهم به علم ،وتعليمهم أن الغيب من علم الله الذى يختص به وحده ، كما في قوله تعالى : " قالوا ربكم أعلم بما لبثتم " .(٢)

وفي قوله تعالى : " قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا " .(٣)

وفي قوله تعالى : " قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا " .(٤)

١٢ - تذكرة المؤمنين بألا يقدموا على عمل إلا بعد طلب الهداية والتوفيق من الله تعالى ،وبأن يذكروا الله دائما وبخاصة في حالة النسيان ،كما في قوله تعالى : " ولا تقولن لشاىء اني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا " .(٥)

---

(١) سورة الكهف من الآيات : ٣٩ - ٤١ .

(٢) السورة نفسها : الآية : ١٩

(٣) السورة نفسها : الآية : ٢٢

(٤) السورة نفسها : الآية : ٢٦

(٥) السورة نفسها : الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .

١٣ - وفى السورة وصف للقائد الصالح المؤمن ، وذكر لمقومات القيادة المؤمنة الراشدة من العزيمة القوية ، ورجاحة العقل ، وسداد الرأى ، ونفاذ البصيرة . وهى صفات تعين على مكافحة الظلم ، وإرجاع الأمور إلى نصابها ، ونشر لواء العدل ، والقيام بأجل الأعمال مع التواضع ، وإرجاع النتائج إلى الخالق عز وجل ، وذلك كما فى قوله تعالى عن ذى القرنين :

" ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا إنا مكنا له فى الأرض وءاتينه من كل شئ سببا . فأتبع سببا . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عند ها قوما قلنا يذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا . قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا . وأما من ءامن وعمل صلحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا . ثم أتبع سببا . حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا . كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا . ثم أتبع سببا . حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا يذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . ءاتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال ءاتونى أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا . قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا "(١).

١٤ - بالإضافة الى ما ذكر ، فإن الصلة وثيقة بين أول السورة وخاتمتها من حيث إثبات الوحدانية لله تعالى ، حيث يقول الله تعالى فى أول السورة

---

(١) سورة الكهف الآيات : ٨٣ - ٩٨ .

وإنذار اللذين لا يؤمنون بالوحدانية ويزعمون أن لله ولدا .

" وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا . "(١)

وفي خاتمة السورة تقرير وتأكيد لوحدانية الله تعالى ، ونفي للشركاء حيث يقول الله تعالى مقررا : " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " .(٢)

تلك أهم المقاصد والأغراض التي تناولتها هذه السورة الكريمة سورة الكهف " .(٣)

*** *** ***

---

(١) سورة الكهف الآيتان : ٤ ، ٥ .

(٢) السورة نفسها : الآية : ١١٠

(٣) أنظر : محمد تيسير ظبيان .

أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية : ص ١١ - ١٤ .

دار الاعتصام بالقاهرة - الطبعة الاولى : ١٣٩٨ هـ .

الفصـــل الأولـــــــ

صراع الإيمان والكفر في قصة أهل الكهف

* ---------- *

المبحث الأول

التعريف بأهل الكهف والرقيم

١ - التعريف والصفات :

يقول الله تعالى في التعريف بهم : " نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا "[1].

فأصحاب الكهف اذا لهم صفات منها :

أنهم كانوا فتية[2] في مقتبل عمرهم ، حديثي الأسنان ، وتفسيرا لهذه الآيات وتفصيلا لهذه الصفة يروى الطبرى بسنده عن مجاهد أنه قال " لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانه وضح[3] الورق "[4].

وروى أيضا عن عبيد بن عمر قال : "كان أصحاب الكهف فتيانا ملوكا مطوقين مسورين ذوى ذوائب "[5]. وكانوا من أبناء الملوك والأشراف من

---

(١) سورة الكهف ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(٢) الفتى الشاب ، والجمع فتيان وفتية ، والأصل أن يقال للشاب الحدث فتى ثم استعير للعبد وإن كان شيخا تسمية باسم ما كان عليه ". مختار الصحاح الرازى : محمد بن أبي بكر ص ٤٩١ ، بتحقيق محمود خاطر ، ط: بولاق . الطبعة الثانية ، والمصباح المنير ، الفيومى : أحمد بن محمد بن على ، ٢/ ٧٠٨ ، المطبعة الأميرية بمصر . الطبعة الثانية ١٩٠٩م

(٣) وضح الورق : الحلي من الدراهم الصحيحه . انظر الرازى : المصدر السابق ص ٧٢٦ .

(٤) جامع البيان ١٥/ ٢٠١ ط ؛ الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ .

(٥) المصدر السابق ١٥/ ٢٠٤ ، وانظر: الثعلبى : أحمد بن محمد بن إبراهيم

الروم وكان على بعضهم القرطة[1] في أذنه لصغره .

فهم شباب مؤمنون ، والشباب أقبل إلى الحق ، وأسرع إلى الهدى من الشيوخ ولهذا كان أتباع الأنبياء غالبا من شباب قومهم ، كما حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية ، حيث كان السابقون الأولون إلى هذا الدين من شباب العرب وفتيانهم ، بينما وقف الشيوخ من الدعوة موقف المعارضة والمحادّة[2] .

* ومن صفاتهم التي ذكرها الله تعالى في الآيتين السابقتين : أنهم كانوا مؤمنين بالله من بقايا المؤمنين بدين المسيح عيسى - عليه السلام - كانوا مؤمنين في مجتمع وثني كافر ، منّ الله عليهم بالهداية .

* ومنها أن الله تعالى زادهم هدى على هداهم .

* ومنها قوله تعالى : " وربطنا على قلوبهم "[3] ، والربط[4] هو رسوخ الإيمان في قلوبهم واطمئنانهم إليه ، وثباتهم عليه[5] .

= = قصص الأنبياء المسمى بالعرائس: ص ٤٧١ ، ط: مكتبة الجمهورية بالقاهرة ذوى ذوائب: بمعنى أنهم كان لهم ذوائب ، جمع ذؤابة ، والذؤابة : الصفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة : (الفيومى : المصدر السابق ٢/٣٢٤

(١) القرط: الشنف، أو المعلق في شحمة الأذن . جمع أقراط وقيراط، وقروط ، وقرطة . جـ ٢ ص ٣٧٨ . القاموس المحيط للفيروز أبادى ط : دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .

(٢) انظر ابن كثير تفسيره ٣/ ٧٣ ط : دار الفكر بيروت .

(٣) سورة الكهف من الآية : ١٤ .

(٤) الرّبط: الشد - وربطته ربطا : شددته ، ويقال للمصاب : ربط الله على قلبه بالصبر، أى شده به وثبته . (انظر الفيومى فالمصباح المنير ٢/ ٣٢٠ .

(٥) أنظر: القرطبى . الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٦٥ ، وسيد قطب: فى ظلال القرآن مج ٤/ ٢٢٦٢ ط : دار الشروق بيروت .

وذكر الطبرى بسنده عن عبيد بن عمير : أن الفتية خرجوا يوم عيد لهم مع قومهم ، ورأوا هناك ما يفعله قومهم من السجود والخضوع للأوثان ، ونظروا فى هذا بعين البصيرة ، ولما كانوا يريدون معرفة الحق ، منّ عليهم بذلك فكشف لهم عنه ، وألهمهم رشدهم ، فعلموا أن قومهم قد ضلوا سواء السبيل[1]

أما عن ثقافتهم واجتماعهم ، فقد كان الاجتماع عند (تمليخا) وهو كبيرهم فأكلوا عنده ، واستنع هو عن الطعام والشراب ، فسئل عن سبب امتناعه فذكر لهم ما جال فى فكره عن خلق السموات والأرض ، والإنسان وعظم شأن ذلك ، وأنه يرى لها خالقا غير الأوثان التي يعبدها قومهم .

فقال الفتية (لتمليخا) : إن ما وقع فى قلبك هو ما في قلوبنا ، فأشر علينا ، فأشار عليهم بالهرب بدينهم[2] والفرار الى الله خوف الفتنة فخرجوا تاركين كل ما يملكون قاصدين وجه الله ، وكان من أمرهم بعد ذلك ما حكى الله تعالى عنهم .

---

(١) أنظر : الطبرى : جامع البيان ١٥ / ٢٠٤ .
وأنظر: ابن كثير . البداية والنهاية ٢ / ١١٤ ط : مكتبة المعارف ، بيروت . والنصر بالرياض .

(٢) أنظر الطبرى ، والثعلبى : قصص الأنبياء ص ٤٦٩ .

ب - عـــدد الفتيـــــة :

تختلف الروايات عن أهل الكتاب في عدد الفتية ،وقد ذكر اللـــه تعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - ما قاله بعض الخائضين من أهل الكتاب في عدد أهل الكهف فقال عز وجل : " سيقولون ثلاثـــة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولـــون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا " .(١)

ويقول الطبري في تفسير هذه الآية : سيقول بعض الخائضين فـــي أمر الفتية من أصحاب أهل الكتاب هم ثلاثة رابعهم كلبهم . ويقول بعضهم هم خمسة سادسهم كلبهم رجما ،أي يقول قذفا بالظن ،غير يقين علـــم . .... قوله (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) يقول : ويقول بعضهـــم : هم سبعة وثامنهم كلبهم " قل ربي أعلم بعدتهم " يقول عز ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : قل يا محمد لقائلي هذه الأقـــوال في عدد الفتية من أصحاب الكهف ،رجما منهم بالغيب ." ربي أعلـــم بعدتهم ما يعلمهم " يقول : ما يعلم عددهم إلا قليل من خلقـــه .

كما حدثنا بشر ..... عن قتادة : " ما يعلمهم إلا قليل " يقول : قليل من الناس ،وقال آخرون : بل عني بالقليل بعض أهل الكتاب "(٢).

---

(١) سورة الكهف : الآية ٢٢ .

(٢) جامع البيان : ١٥/ ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

ثم فسر قوله تعالى : " فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا " فقال : يقول عز وجل لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : فلا تمار يامحمد أى لا تجادل أهل الكتاب فيهم يعنى : فى عدة أهل الكهف ،وحذفت العدة اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة السامعين بالمراد .

. . . . وقوله : " ولا تستفت فيهم منهم أحدا " يقول تعالى ذكره : ولا تستفت في عدة الفتية من أصحاب الكهف منهم : يعنى من أهل الكتاب أحدا لأنهم لا يعلمون عدتهم ،وإنما يقولون فيهم رجما بالغيب لا يقينا فى القول "[1].

وعلى هذا فإن الأقوال الثلاثة التى وردت فى الآية من قول أهل الكتاب .

أما ابن كثير فيقول في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى مخبرا عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قائل برابع ،ولما ضعف القولين الأولين : " رجما بالغيب " أى قولا بلا علم كمن يرمى الى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد ،ثم حكى الثالث وسكت عنه أو قرره بقوله : (وثامنهم كلبهم) فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر ،وقوله : " قل ربي أعلم بعدتهم " إرشاد إلى أن الأحسن فى مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى ،إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم ولكن إذا اطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا وفوضنا الأمر إلى الله " ما يعلمهم الا قليل " أى من الناس . . . (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أى سهلا هينا فإن معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة .

---

(١) المصدر السابق : ١٥ / ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

" ولا تستفت فيهم منهم أحدا " أى أنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجما بالغيب من غير استناد إلى دليل ، وقد جاءك الله يامحمد بالحق الذى لا شك فيه ولا مرية ، فهو المقدم على ماتقدمه من الكتب والأقوال "[1].

وذهب كثير من المفسرين إلى ما ذهب اليه ابن كثير[2].

وعلى هذا يكون القولان الأولان من قول أهل الكتاب ، والثالث هو الذى أخبر الله عنه وقال به المسلمون ، وهو أنهم سبعة وثامنهم كلبهم ، وهو قول ابن عباس .

فقد روى الطبرى بسنده عن ابن عباس أنه كان يقول :

" أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله ، كانوا سبعة وثامنهم كلبهم "[3].

وعن ابن عباس أنهم ثمانية[4] وبه قال ابن اسحاق[5] . ويذكر " وفيق وفا الدجانى[6] في كتابه اكتشاف كهف أهل الكهف : أن الحفريات

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٧٨ .

(٢) انظر الكشاف للزمخشرى ٢/ ٤٧٩ . ط : طهران ، بدون تاريخ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى . ط الحلبى بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ : ٢/ ٩ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/ ٣٦٧ ط: مطابع الرياض .

(٣) جامع البيان : ١٥/ ٢٢٦ .

(٤) انظر تنوير المقباس في تفسير ابن عباس : صـ ٢٤ ، ط: مكتبة الجمهورية بالقاهرة .

(٥) انظر زاد المسير لابن الجوزى : ٥/ ١٢٥ ، ط : المكتب الاسلامى بدمشق الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ

(٦) وهو مساعد مدير الآثار بالأردن ، ومكتشف كهف الرقيم بالقرب من عمان .

والتنقيب التى قام بها في كهف الرقيم الذى اكتشف بالقرب من " عمان " عاصمة الأردن أثبتت أن عددهم ثمانية[1] حيث عثر فى هذا الكهف على ثمانية قبور محفورة في الصخر ،وتبين له أنها بيزنطية الشكل بدليل وجود الزخارف والنقود البيزنطية فيها .

وذكر في النتائج التى توصل إليها بعد عمليات الحفر والتنقيب والاستنتاج والمقارنة أن عددهم ثمانية[2].

وهذا الجدل والاختلاف حول عدد فتية أهل الكهف كما يقول " سيد قطب " لا طائل وراءه ولا جدوى منه ،فالعبرة حاصلة بالقليل والكثير .[3]

والله وحده هو العالم بعدتهم .

---

(١) وجدت أربعة من هذه القبور فى الجهة الشرقية ،وأربعة أخرى بالجهة الغربية من الكهف .
انظر: اكتشاف كهف أهل الكهف . وفيق الدجاني ص ٧٣ ط : مؤسسة المعارف ببيروت . الطبعة الأولى ١٩٦٤م .

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٣٤ .

(٣) انظر فى ظلال القرآن مج ٤/ ٢٢٦٤ .

جـ - أسماء الفتيـــة :

واختلف في أسماء أهل الكهف ، فالروايات المنسوبة إلى اليونـــــان تذكرهم كما يلي : -

مكسيميانوس ، أكساكوثوزيانوس ، أملیخوس ، مرتينانوس ، د يونيسيـــــــوس، أند ونيوس ، وقسطيطيوس[1] . وفى بعض المصاد ر الإسلامية ذكرت أسماؤهم كما يلى :

مكلينا ، تمليخا ، موطلبوس ، أوتسوس ، د ينيوس ، وساونوس ، وكشطـــوس، وهو الراعي[2] .

على أن هناك اختلافا بين هذ ه المصاد ر الإسلامية في الحروف بالتقد يم والتأخير والزياد ة والنقصان[3] .

وقد علق " ابن حجر " بعد أن ذكر الأسماء بقوله : " وفى النطـــق بها اختلاف كثير ولا يقع الوثوق من ضبطها بشيء "[4] .

---

(١) انظر : اكتشاف كهف أهل الكهف للد جانى ص ٢٤ .

(٢) انظر : جامع البيان للطبرى ١٥ /٢٠١ ، والتفسير الكبير للراز ى ٢١ / ١٠٦ . مطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة ، والكشاف للزمخشرى : ٢ / ٤٧٨ ، ومد ارك التنزيل للنسفى ٣ / ٧ . ط: الحلبى بالقاهرة ١٣٤٤

(٣) ذكر ابن حجر أسماءهم كما يلى : مكسلمينا ، ومخشليتا ، وتمليخا ، ومرطونـــس وكشطونس، وبيروش ود نيموس . وذكرنا فى المتن : قلمينا بنقص السين عن المذكور هنا . وذكرنا في المتن : كشطوس ، وهنا كنسطوش، بزياد ة نونـــين وذكرنا فى المتن أيضا : مرطليوس ، وهنا : مرطوش بحذ ف الياء وزيـــاد ة النون . وذكرنا فى المتن د ينوس وهنا : د ينوس بإبد ال الياء ميما . والثلاثة الباقية ، مخالفة تماما لما في المتن . راجع فتح البارى لا بن حجر ٦ / ٥٠٥ .

(٤) المصد ر السابق نفس المكان .

وهذه الروايات على اختلافها إنما تنقل عن الإسرائيليات بدون سند صحيح ،وحيث انه لم تثبت في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة هذه التسميات فإنه يسعنا ما وسع الراسخين في العلم ،في شأن المتشابه من القرآن الكريم ،فنؤمن به على ما جاء ونرد ما ليس عليه دليل قطعي لله رب العالمين .

د - عصرهم :

أما عن العصر الذى كانوا فيه ،فالكثير من المفسرين والمؤرخين يرون أنهم كانوا في الفترة التي بين عيسى عليه السلام ،ومحمد صلى الله عليه وسلم . في عصر من عصور الاضطهاد الذى وقع على المسيحيين ،وهو عصر الطاغية " قيانوس أو دقوس أودقليانوس "[1] الذى حكم - ظنا - بين سنة ٢٤٩ م - ٢٥١ م[2] ويذكر " الألوسى " أنهم كانوا قبل مبعث موسى عليه السلام ،وتعقبه بعد ذلك بأنهم لو كانوا قبل ذلك لذكرت قصتهم فى التوراة قطعا "[3].

وقد ذكر " رفيق وفا الدجاني " في نتائج اكتشافه : أن طاغية أهل الكهف هو الإمبراطور تراجان وليس دقيانوس .[4]

---

(١) أنظر جامع البيان للطبرى ١٥ / ٤١ ،الفخر الرازى : التفسير الكبير ٢١ / ٩٨ ، والثعلبى : قصص الأنبياء ص ٤٦٦ .

(٢) انظر: تاريخ سورية . فليب حتي ١ / ٣٦٨ ط : دار الثقافة . بيروت . ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق ،وانظر: اكتشاف كهف أهل الكهف للدجانى ٢٥ / ٢٨ .

(٣) روح المعانى للألوسي : ١٥ / ٢٤٠ .

(٤) انظر: اكتشاف كهف أهل الكهف . ص ١٣٤ ،وأهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية . محمد تيسير ظبيان ص ٣٤ ، ٣٥ .

وتراجان هو الذى أصدر قانونا بمعاقبة المسيحيين الذين يرفضون الخضوع لأصنام الدولة الرومانية ،وقد حكم - ظنا - بين سنة ٩٨ - ١١٧ م[1] .

واذا اعتبرنا قوله تعالى : " ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا "[2].

إخبارا من الله تعالى عن المدة التي مكثها الفتية نائمين فى كهفهم كما يقول أكثر المفسرين[3] فإن اضطهاد أصحاب الكهف لم يقع على الأرجح فى عصر " دقيانوس " اذ الفترة الزمنية بين أول سنة من عهده وبين انبعاث الفتية فى عصر الإمبراطور " ثيودولاسوس "[4] عام ٤٤٦م تزيد

---

(١) أنظر تاريخ سوريه لفيليب حتي ١/ ٣٦٧ ،واكتشاف كهف أهل الكهف لرفيق وفا الدجاني ص ٢٨ ،ومحمد تيسير ظبيان المصدر السابق المكان نفسه .

(٢) سورة الكهف الآية : ٢٥ .

(٣) أنظر جامع البيان للطبرى ١٥/ ٢٣١ ، ٢٣٢ ،والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٠/ ٣٨٦ ،وتنوير المقياس فى تفسير ابن عباس ص ٢٤٦ ،والكشاف للزمخشرى ،٢/ ٤٨١ ،وزاد المسير لابن الجوزى ٥/ ١٣٠ ، ١٣١ ،وأنوار التنزيل للبيضاوى : ٢/ ٩ ط : الحلبى ،ومدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٨ ، ٩ . وهامش تفسير الخازن للبغوى ٤/ ١٦٩ ، ط: المكتبة التجارية بالقاهرة ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٧٩ . ط: دارالفكر بيروت. وإرشاد العقل السليم لأبى السعود ٣/ ٥٠٣ ط : مكتبة الرياض،وروح المعانى للألوسي ١٥/ ٢١٥ .

(٤) هكذا ذكر اسمه في دائرة المعارف وذكر الطبرى واليعقوبى هكذا : دوسيوس دسيوسى ،أنظر الطبرى المصدر السابق ، ١٥/ ٢١٦ ،واليعقوبى تاريخه ١/ ٨٢٤ ،ط : مطبعة الغرى بالنجف العراق سنة ١٣٥٨ هـ .

على مائتي سنة بقليل[١] ،على أن بعض المفسرين ذهبوا إلى أن قوله تعالى " ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا " ليس خبرا عن الله عز وجل ،بل حكاية عن قول أهل الكتاب[٢] .

ومما يدل على ذلك أن القرآن الكريم لم يذكر عدد الفتية ولا المدة التي مكثوها في كهفهم نائمين : فيكون العدد المذكور في القرآن والمدة المذكورة أيضا حكاية عن قول أهل الكتاب لأنه لو كان العدد المذكور خبرا عن الله تعالى لما عقب الله تعالى عليه بقوله : " قل ربي أعلم بعدتهم[٣] " ولو كانت المدة المذكورة خبرا عنه لما عقب الله تعالى عليها بقوله : " قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض "[٤].

وليس المهم هنا معرفة العصر الذي وقعت فيه حوادث القصة إنما المهم عظم شأن هذه القصة ،فالقصة القرآنية انما تساق للعبرة والعظة والتدبر والتفكر ،وكتاب الله يسمو فيما يقصه من أخبار الماضين على كتب التاريخ . التي تختلف وتضطرب دائما في تحديد الفترة الزمنية ،والعبرة بحدوث الواقعة بصرف النظر عن زمانها .

---

(١) أنظر: دائرة المعارف الاسلامية . ترجمة : محمد ثابت الفندي وآخرين ، ط : انتشارات جمعان طهران سنة ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣ م ،ص ٢٤٢ .
وتأملات في سورة الكهف للندوي ص ٣١ ، ٣٢ .

(٢) أنظر التفسير الكبير للرازي ٢١ / ١١١ ،وابن كثير تفسيره: ٣/ ٧٩ ،ومحاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي : ١١ / ٤٠٤٧ . ط: الحلبي بمصر بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . الطبعة الاولى ١٣٨٨ هـ .

(٣) سورة الكهف من الآية : ٢٢ .

(٤) السورة نفسها : من الآية : ٢٦ .

هـ - ديانتهـــــم :

أما عن ديانتهم فلم نجد في كتاب الله - عز وجل - ولا في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يشير إليها غير أن كثيرا من المفسرين والمؤرخين المسلمين ذكروا أنهم كانوا على دين المسيح عيسى عليه السلام (١).

وما نقله الألوسي (٢) يدل على أنهم لم يكونوا من اليهود والنصارى إلا أن " ابن كثير " قال : بعد أن ذكر أقوال المفسرين : على أنهم من النصارى .

" والظاهر أنهم كانوا قبل النصرانية ، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما عنى أحبار اليهود بحفظ أخبارهم وأمرهم لمباينتهم لهم وقد روى عن " ابن عباس " أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء ، وعن خبر ذي القرنين ، وعن الروح ، فدل ذلك على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب ، وأنه متقدم على دين النصرانية "(٣) .

وعلى هذا فيحتمل أنهم كانوا على دين اليهودية ، وهذا القول لا يستند إلى دليل ناهض ، وإنما بني على استنتاج ، فكتب أهل الكتاب

---

(١) انظر جامع البيان للطبري ١٥ / ٢٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٣٥٧ ، وابن حجر فتح الباري : ٦ / ٥٠٥ ، كتاب الأنبياء. والثعلبي . قصص الأنبياء ص ٤٦٥ ، واليعقوبي . تاريخه ١ / ١٢٤ ، والتفسير الكبير للرازي ٢١ / ١١٣ .

(٢) انظر ص ٦ هامش (١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٧٤ .

لا تشير إلى هذه القصة علما بأن اليهود يبالغون في تقديس أبطالهم، فلو كان هؤلاء الفتية على دينهم لامتلأت كتبهم بقصتهم وأخبارهم[١]

والمهم في هذا الأمر الإيمان بأنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى وآتاهم تقواهم، وليس من عقيدة الإسلام - بعد ذلك - أن نعرف أسماءهم وعددهم، وعصرهم، ودينهم، بل المهم أنهم عرض للإيمان، وكيف تطمئن به النفوس المؤمنة وتعزف عن زينة الحياة الدنيا ولذاتها وزخرفها، حيث فروا بدينهم حين شق عليهم أن يعيشوا به مع الناس، وكيف رعاهم الله ووقاهم الفتنة، وشطهم بالرحمة[٢].

و - الرقيم :

تقول معاجم اللغة العربية (الرقم) : الكتابة : ،والرقيم: الكتاب[٣].

قال تعالى : " كتاب مرقوم يشهده المقربون "[٤].

واختلف المفسرون في الرقيم المضاف إلى أهل الكهف على أقوال منها :

---

(١) أنظر أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية ص ٢٧ محمد تيسير ظبيان .

(٢) أنظر : ظلال القرآن لسيد قطب مج ٤/ ٢٢٥٦، ٢٢٥٧ .

(٣) أنظر مختار الصحاح للرازي ص ٢٥٣، والمصباح المنير للفيومي : ١/ ٢٦٢ .

(٤) سورة المطففين : الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

١ - فعن كعب الأحبار : أنـــــه اســـــــم القرية التى بهـــا كهف أهل الكهف[١].

٢ - وعن عطية وقتادة ومجاهد : أنه اسم للوادى الذى فيه الكهف[٢].

٣ - وعن ابن عباس : " أنه واد بين عسفان[٣] وأيلة[٤] دون فلسطين وهو قريب من أيلة "[٥].

٤ - وروى الطبرى بسنده عن ابن عباس أيضا فى رواية أخرى - أن الرقيم هـــو الكتاب[٦] ، أى المكتوب فيه قصة أهل الكهف ، أو هو الجبل الـذى فيه كهف أهل الكهف[٧].

٥ - وعنه أيضا فى رواية : " أنه لوح من حجارة كتب فيه بعض المعاصرين لأهل الكهف قصتهم وأسماءهم، ثم وضعوه على باب الكهف، أو فى خزانة الملك تخليدا لذكراهم .

٦ - وعنه أيضا أنه قال : " ما أدرى ما الرقيم ،كتاب هو أم بنيان "[٨].

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوى ، ٢ / ٥ ، وجامع البيان للطبرى ١٥ / ١٩٨ ، ١٩٩

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوى ٢ / ٥ ، تفسير ابن كثير ٣ / ٧٣ .

(٣) عسفان : بفتح أوله وسكون ثانيه : قرية جامعة من نواحي حلب بينها نحو فرسخ ينسب اليها قوم من أهل العلم .
انظر معجم البلدان لياقوت الحموى ٦ / ١٧٢ .

(٤) أيلة : مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام ،وقيل : هي آخـــر الحجاز وأول الشام . سميت بأيلة بنت مدين . انظر: المصدر السابق ١ /٢١٩

(٥) جامع البيان للطبرى ١٥ / ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٦) تفسير ابن كثير ٣ / ٧٣ .

(٧) المصدر نفسه : ٣ / ٧٣ ، أنوار التنزيل للبيضاوى ٢ / ٥ .

(٨) انظر جامع البيان للطبرى ١٥ / ١٩٨ ، ١٩٩ ، والماوردى ، تفسيره ٢ /١٥٩
==

٧ - وأضاف الماوردى إلى المعاني السابقة : أن الرقيم هو :

إما الدواة بلسان الروم ، وإما كلب أهل الكهف ، وإما قوم من أهل الشراة[1] كانت حالهم مثل حال أهل الكهف[2] .

٨ - وزاد القرطبي على ذلك : " أنه إما الصخرة التي كانت على باب الكهف وإما كتاب ختم الله علينا أمره ولم يشرح لنا[3] ، أو كتاب مرقوم كان فيه الشرع الذى تمسكوا به من دين عيسى عليه السلام ، أو هم أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فدعوا الله بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم كما في الصحيحين عن النعمان بن بشير[4] .

٩ - ويرى أبو حيان أن الرقيم قرية في بلاد الروم فيها غار به إحدى وعشرون نفسا هيئتهم كهيئة أصحاب الكهف[5] .

= والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ٣٥٦ - ٣٥٨ ، وزاد المسير لابن الجوزى ٢/ ١٠٧ .

(١) الشراة : جبل شامخ مرتفع في السماء دون عسفان ، تأوى اليه القرود . معجم البلدان لياقوت الحموى : ٥/ ٢٤٧ .

(٢) تفسير الماوردى ٢/ ١٥٩ ، انظر لباب التأويل للبكرى ص ٢٢٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ٣٥٦ - ٣٥٨ ، وانظر البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ١٠١ .

(٤) حديث أصحاب الغار متفق عليه . انظر صحيح البخارى ٤/ ١٤٧ ، ١٤٨ . وصحيح مسلم : ٤/ ٢٠٩٩ .

(٥) البحر المحيط : ٦/ ١٠١ .

ويقول ياقوت الحموى عن الرقيم :

" الرقيم : بفتح أوله وكسر ثانيه : وهو الذى جاء ذكره فى القران الكريم ،والرقم والرقيم : تغخيم الكتاب ونقطه وتبيين حروفه وكتاب مرقوم ،ورقيم : فعيل بمعنى مفعول ... وبأرض البلقاء من أطراف الشام موضع يقال له الرقيم يزعم بعضهم أن به أهل الكهف "[1].

وهذا الموضع بالشام هو الذى قصده كثير عزة بقوله :

بعزة طى ثنائية يزيدا[2] .·. بأكناف[3] الموقر[4] والرقيم[5]

ولعل أظهر الأقوال ما اختاره " ابن جرير الطبرى " : أن الرقيم هو اللوح من الرصاص أو الحجر أو غير ذلك ،كتب فيه أسماء أصحاب الكهف ونسبتهم ،ثم وضع فى خزانة الملك المعاصر لهم ،أو وضع عند باب الكهف فى البناء الذى أغلق به الكهف عليهم[6]. وظاهر الآية واللغة - والله أعلم - يدل على ذلك . قال سبحانه وتعالى : " كتاب مرقوم "[7].

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٢٧٤ .

(٢) وكان يزيد بن عبد الملك ينزل في هذا المكان للنزهة وغيرها : انظر المصدر السابق ،المكان نفسه لياقوت .

(٣) أكناف : الكنف بفتحتين: الجانب: أنظر" مختار الصحاح للرازى ص٥٨ ، والمصباح المنير للمقرى الفيومى ٢/ ٨٣٦ .

(٤) الموقر : اسم موضع بنواحي البلقاء من أرض الشام ،من نواحى مدينة دمشق انظر : (المصدر السابق لياقوت ٧/ ١٩٩) .

(٥) انظر : المصدر السابق لياقوت ٤/ ٢٧٤ .

(٦) انظر : جامع البيان للطبرى ١٥/ ١٩١ ،وتفسير ابن كثير: ٣/ ٧٣ ،وأضواء البيان لمحمد أمين الشنقيطي : ٤/ ٢١ .

(٧) سورة المطففين : الآية ٢٠ .

المبحث الثانـــي

أحداث قصة أهل الكهف والرقيـــم

أ - موقع الكهف[1] وصفته :

١ - موقع الكهف في الروايات المختلفة :

ذكر كثير من علماء التفسير والتاريخ والجغرافيا المسلمين روايـــات متعددة في موقع الكهف الذي كان به أصحاب الكهف والرقيم المذكوريـــن في القران الكريم نذكر منها :

١) يذكر الطبري وغيره عن ابن اسحاق : أن هذا الكهف موجود بجبل " أنجلوس " بالقرب من مدينة " أفسوس[2] " بتركيا[3] .

٢) ويذكر ياقوت الحموي : أن موقعه بين عمورية[4] ، ونيقية[5] بينه وبـين

---

(١) الكهف : بيت منقور في الجبل . انظر: مختار الصحاح للرازي ص٥٨١ ، والمصباح المنير للفيومي : ٢/ ٨٣٦ .

(٢) أفسوس ، بضم الهمزة وسكون الفاء ، بلد بثغور طرسوس يقال انه بلد أصحاب الكهف . انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي : ١/ ٣٠٥ .

(٣) انظر: جامع البيان للطبري : ١٥/ ٢١٥ ، وتفسير الماوردي : ٢/ ١٦١ ، مخطوط في مكتبة كوبرلي في استنبول رقم ٢٤ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري ٢/ ٤١ ، والمصدر السابق لياقوت: ٤/ ٢٧٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير: ٢/ ١١٥ .

(٤) عمورية : بفتح أوله وتشديد ثانيه بلد من بلاد الروم غزاه المعتصم العباسي سنة ٢٢٣ هـ حين سمع مناداة شراة العلوية : وامعتصاه ، وسميت بعمورية نسبة لعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام .
انظر المصدر السابق لياقوت الحموي ٦/ ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(٥) نيقية : بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر القاف: بلد من أعمال استنبول على الـــبر الشرقي بتركيا . أنظر : ياقوت الحموي ٨/ ٣٦٠ .

طرطوس[1] عشرة أيام[2].

٣) ويذكر ياقوت وغيره أن موقع الكهف بقرية تسمى الرقيم بالقرب من عمان بالأردن[3].

٤) ويذكر ابن حجر العسقلاني أن موقعه بين أيلة وفلسطين[4].

٥) ويذكر القرطبي ،وأبو حيان ،والهروى وياقوت أنه بالقرب من طليطلة أو غرناطة بالأندلس موضع يقال له جنان الورد بقرية تسمى لوشه به كهف فيه موتى ومعهم كلب رمة يقال إنه كهف أهل الكهف[5].

٦) ويذكر الهروى أن بمدينة أبس[6] القريبة من أبلستين[7] كهف آخر[8].

---

(١) طرسوس : بفتح أوله وثانيه مدينة من ثغور الشام بين انطاكية وحلب ياقوت . المصدر السابق ٦/ ٣٨، ٣٩ .

(٢) انظر ياقوت الحموى المصدر السابق : ٤/ ٢٧٥ .

(٣) انظر: معجم البلدان لياقوت : ٤/ ٢٧٤ ،والواقدى . فتوح الشام: ٢/ ١٣٨ والهروى : الاشارات فى معرفة الزيارات : ص ١٨ .

(٤) انظر : فتح البارى : ٦/ ٥٠٣ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٠/ ٣٥٨ ،والبحر المحيط لابي حيان : ٦/ ١٠٢ ،والإشارات فى معرفة الزيارات للهروى : ص١٨ .

(٦) أبس : بالفتح ثم السكون وضم السين : اسم لمدينة خربة قرب أبلستين ، من نواحى الروم يقال منها أصحاب الكهف والرقيم ،وقيل : هى مدينة دقيانوس وبها آثار عجيبة : أنظر معجم البلدان لياقوت: ١/ ٨٤ .

(٧) ابلستين : بفتح الهمزة ،وضم الباء واللام : بلاد واسعة في فارس تغزو بمملكة فيروز ،وفيها قلاع عجيبة ،وأمم مختلفة .
انظر : محمد أمين الخانجى . المستدرك على معجم ياقوت ١/ ١٠٨ .
ط : مطبعة السعادة بمصر . الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ .

(٨) الإشارات : ص ٦٠ .

٧) كما ذكر المقدسي أن موقع كهف أهل الكهف برستاق مدينة طرسوس[١]

٨) وأضاف ابن كثير أن موقعه بأرض نينوى[٢] أو بلة[٣].

ومما سبق يتضح أن هناك عدة أمكنة يظن أن بها الكهف المذكور في القرآن الكريم ، وقد رجح ياقوت الحموي وابن كثير أن موقعه بأفسوس ببلاد الروم[٤] تركيا حاليا .

غير أنني أرى أن موقع الكهف المذكور في القرآن الكريم - في غالب ظني - والله أعلم - بالأردن بقرية الرجيب[٥] الموجودة بالقرب من عمان وذلك لما يأتي : -

أولا : إن الرقيم حسب ما يرى كعب الأحبار : القرية التي بها كهف أهل الكهف، أو الرقيم هو الجبل الذي فيه الكهف كما يرى ابن عباس - رضي الله عنهما -[٦].

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : ص ١٥٢ ، ط : ليدن ، الطبعة الثانية ١٩٠٩ م .

(٢) نينوى : هي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل ، وبسواد العراق ناحية يقال لها نينوى فيها كربلاء التي استشهد بها الحسين بن علي رضي الله عنهما . ياقوت المصدر السابق : ٨/ ٣٦٨ .

(٣) البداية والنهاية : ٢/ ١١٤ .

(٤) انظر : معجم البلدان : ٤/ ٢٧٤ ، والبداية والنهاية : ٢/ ١١٥ .

(٥) الرجيب : الرقيم بلغة البدو في الأردن حيث يقلبون القاف جيما والميم باء . انظر : أهل الكهف محمد تيسير ظبيان : ص ١٥٣ ، ١٥٥

(٦) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ١٨٨ ، ١٨٩ ، وتفسير الماوردي : ٢/ ١٥٩ وزاد المسير لابن الجوزي : ٢ / ١٠٧ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٢ / ٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٧٣ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥/ ٢٠٩ ، ٢١٠

ثانيا : ما ذكره الواقدى من أن سعيد بن عامر - رضي الله عنه - حين وصل بجزء من جيش المسلمين إلى بلاد الشام صلى بجنده الفجر في وادى الرقيم ، وأراهم جبل الرقيم الذى به كهف أهل الكهف ووصف لهم أن وادى الرقيم قريب من عمان (١).

ثالثا : ماذكره ياقوت الحموى عند تعريفه للرقيم : بأنه موضع بالبلقاء بأطراف الشام وبه كهف أهل الكهف (٢).

رابعا : ان هذا الموضع كان معروفا عند العرب في الجاهلية بدليل أنه ورد في شعر الشاعر الجاهلي : أمية بن أبى الصلت حيث قال وهو يصف كهف أهل الكهف .

وليس بها إلا الرقيم مجاورا ∴ وكلبهم والقوم في الكهف هجدا (٣)

خامسا : في عام ١٩٦٢ م قامت دائرة الآثار في الأردن بالتنقيب عن آثار كهف الرجيب ، وقد بدأت هذه الدائرة جهودها العلمية بالكتابة إلى السفارة التركية في عمان لتستفسر الجهات العلمية في تركيا حول بعض المعلومات عن الكهف الذى أشارت إليه بعض المصادر القديمة من احتمال أن يكون كهف أهل الكهف .

والرقيم : هو الكهف المعروف بكهف أفسوس بتركيا ، وفيما يلى نص الخطابين المتبادلين بين دائرة الآثار الأردنية والسفارة التركية بعمان .

---

(١) فتوح الشام . محمد عمر الواقدى : ١/ ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) انظر معجم البلدان : ٤/ ٢٧٤ .

(٣) انظر ديوان أمية بن أبي الصلت ص ٢٩ ط : المطبعة الوطنية ، بيروت الطبعة الاولى : ١٣٥٣ هـ . ١٩٣٤ م .

أ - خطاب دائرة الآثار الأردنيـــة :

" سفارة الجمهورية التركية في عمان الموقرة .

إن دائرة الآثار الأردنية إذ تبعث بتحياتها للسفارة التركية في عمان، لترجو من المسؤولين في السفارة الموقرة تزويدها بالمعلومات التاريخية والأثرية عن موقع " بربوز أي صولوك " : موقع أهل الكهف قرب أفســس وذلك كما يأتي :

١ - إن كان بالإمكان تزويدنا بصور عن الموقع وبخاصة للكهف

٢ - إن كان قد جرى في الموقع حفريات أثرية .

٣ - إن كان هناك كتابات أو نشرات أو أية مصادر أثرية . أوتاريخيـة تشير إليـه .

٤ - أقرب مدينة كبيرة تقع بالقرب من هذا الكهف" بوبوز أيا صولك " وكم تبعد عنه بالكيلومترات .

٥ - لأية ناحية يتجه مدخله للشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب"؟

٦ - هل هناك من مسجد إسلامي فوق الكهف مباشرة؟ وهل هنـــاك كنيسة أو صومعة أو أي بناء آخر ؟ مع ذكر تواريخها إن أمكن .

إن هذه المعلومات ضرورية جدا لدائرة الآثار الأردنية، ونغـــد وا شاكرين إذا تفضلتم بإرسال ماتيسر بالسرعة الممكنة ،ونكرر الشكر ســـع جزيل وافر الاحترام - مدير الآثـار " .(١)

(١) أنظر : اكتشاف كهف أهل الكهف : ص١٠٧ ، وفيق وفا الدجاني .

ب - خطاب السفارة التركية لدائرة الآثار الأردنية :

" عزيزي السيد دجاني المحترم .. يسرني أن أرسل لكم المعلومات التي طلبتموها بشأن أهل الكهف قرب أفسوس ، بتحريركم ٢٤/٧/١٩٦٢ م.

١ - أرسل لكم برفقته أربع صور عن المقام المذكور .

٢ - يوجد عدة فرق تقوم بأعمال الحفريات في أماكن الخرائب .

٣ - إن المصادر الأثرية مكتوبة باللغة الألمانية ، ولكنه يوجد نشرة باللغة الافرنسية ، نشرتها وزارة السياحة . أرسل لكم نسخة عنها

٤ - مدينة " أزمير " هي أقرب المدن إلى الخرائب وتقع على مسافة ٧٤ كم .

٥ - مع أن مدخل المغارة لم يكن تحديده تماما إلا أنه يفترض أن يكون في الجهة الشمالية ، إذ يوجد هناك محل عبادة للمسيحيين .

٦ - لم يكن بالإمكان التأكد من أنه كان يوجد بناء فوق المغارة .

أرجو أن تتفضلوا ياعطوفة المدير بقبول فائق الاحترام " .

المخلص: دانيس طونا . سفير تركيا المفوض .(١)

ولم تقتصر جهود دائرة الآثار الأردنية على هذا ، بل طلبت من أحد خبراء الآثار في الأردن التابعين لهيئة الأمم المتحدة ، القيام بزيارة علمية إلى موقع الكهف في أفسوس بتركيا لموافاتها بالمعلومات والصور عنه وجاء في تقرير هذا الخبير ما ملخصه :

---

(١) اكتشاف كهف أهل الكهف : وفيق وفا الدجاني : ص ١٠٢ .

١ - لا يوجد بناء فوق الكهف مباشرة .

٢ - هناك آلاف القبور داخل كهف أفسوس .

٣ - باب الكهف يقع في الجهة الشمالية .

٤ - يبعد الكهف عن مدينة أفسوس مسافة كيلو ونصف كيلو متر تقريبا .

٥ - لا توجد نقوش ولا كتابات داخل الكهف سوى مخطوطه يونانية واحدة بالخط اليوناني الحديث[١] .

وواصلت دائرة الآثار الأردنية جهودها لمعرفة الحقيقة عن أى الكهفين هو كهف أهل الكهف والرقيم ، فاتصلت ببعض أهل الذكر في علم الآثار تسألهم عما يعرفون عن كهف أفسوس ، فجاءت معلوماتهم مطابقة تقريبا لمعلومات سفارة تركيا وخبير الأمم المتحدة[٢] .

ثم عقد المسئولون في دائرة الآثار الأردنية مقارنة بين كهف أفسوس بتركيا ، وكهف الرجيب بالأردن بعد التنقيب والحفريات ملخصها مايأتى :

١ - لم يعثر على أى بناء لكنيسة أو صومعة أو مسجد فوق كهف أفسوس كما عثر عليه في كهف الرجيب .

٢ - إن أقرب كنيسة لكهف أفسوس تبعد عنه مسافة ثلاثة كيلو مترات ، للجهة الشرقية منه ، أما أقرب المساجد لأفسوس فيقع على بعد عدة أميال منه ، بينما يوجد مسجد عند مدخل كهف الرجيب[٣] .

٣ - كان من نتيجة الحفريات والتنقيب في الكهفين : أن ظهرت مئات المدافن في كهف أفسوس ، بينما عثر على ثمانية قبور فحسب في كهف

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٤ .

(٢) اكتشاف كهف أهل الكهف : لوفيق وفا الدجاني ص ١٠٤ ، ١٠٥

(٣) المصدر السابق : ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

الرجيب منقورة فى الصخر عليها نقوش وزخرفة .

٤ - تبين أن باب كهف أفسوس من الشمال الشرقي ، وباب كهف الرجيب من الجنوب ، ويقع كهف أفسوس في سفح جبل : (بنابرداغ) من الجهة الشرقية بينما يقع كهف الرجيب على سطح الرقيم من الجهة الجنوبية ومن هنا يتضح أن آية الشروق لا تنطبق على كهف أفسوس وهى تنطبق على كهف الرجيب تماما ، فالله سبحانه وتعالى يقول : " وترى الشمس إذا طلعت تزور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه "[1] أى : يكون الكهف لليسار من غروب الشمس ، وهم فى فجوة منه أى بالداخل - وقد عثر على هذه الفجوة في كهف الرجيب ولم يعثر على أى فجوة فى كهف أفسوس ، والشمس تدخل كهف أفسوس عند الشروق لأن الشمس بعد الأعتدال الربيعي تشرق للجهة الشمالية الشرقية فتضرب بأشعتها لداخل كهف أفسوس .

أما كهف الرجيب فلا تدخله الشمس لأن بابه من الجهة الجنوبية وعند الظهيرة ترتفع الشمس في الأفق نظرا لأن الأردن فى النصف الشمالي من الكرة الأرضية فلا تصل أشعة الشمس الى الداخل أكا عند غروب الشمس فى أفسوس فلا ينطبق قوله عز وجل :

" وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال " .

لأن كهف أفسوس يقع فى سفح الجبل من الجهة الشرقية ، فيقع الظل مائلا لليسار بعد الزوال وعند الغروب .

أما كهف الرجيب فيبقي الظل مائلا لليسار حتى تغرب الشمس

---

(١) سورة الكهف من الآية : ١٧ .

وراء الأفق لأن هذا الكهف يقع في سفح جبل " الرجيب " الجنوبي وأطراف الجبل من الشرق مفتوحه .

٥ - إن تاريخ أقدم كنيسة في أفسوس يرجع للقرن الأول الميلادي أي قبل ظهور أصحاب الكهف والرقيم .

بينما يرجع تاريخ الصومعة المقامة فوق كهف الرقيم إلى ما بين عام ٥١٨ م ، و ٥٢٧ م ، وقد عثر في كهف الرجيب على نقود مضروبة في هذا التاريخ[1] ، وبعد التنقيب والبحث والمقارنة توصلت دائرة الآثار الأردنية إلى نتائج أذكرمنها :

١ - إن موقع كهف أهل الكهف والرقيم المذكور في القرآن الكريم هو كهف الرجيب بالأردن .

٢ - إن عدد أصحاب الكهف كان ثمانية[2] .

٣ - إن مدينة أصحاب الكهف هي مدينة عمان لا أفسوس .

٤ - إن أصحاب كهف أفسوس يظن أنهم غير أصحاب الكهف والرقيم المذكورين في القرآن الكريم ، لأن أصحاب كهف أفسوس يتأخرون عن أصحاب كهف الرجيب في العصر والتاريخ[3] .

والعلم بحقيقة هذا الأمر ظني إذ لم يبلغنا شيء حسب علمي عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - عن مكان كهف أهل الكهف والرقيم .

---

(١) انظر : اكتشاف كهف أهل الكهف لوفيق وفا الدجاني : ص ١٠٧ - ١١١ ، واهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى لمحمد تيسير طبيان ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) انظر الدجاني : المصدر السابق ص ١٣٤ .

(٣) انظر : المصدر السابق ص : ١٤٧ .

صفة الكهف

يقول الله تعالى عن صفة الكهف : " وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا "[1].

وبالتأمل في هذه الآية الكريمة نستخلص الصفات التالية : -

أولا : - إن الكهف يقع في سفح جبل الرقيم وبابه مفتوح لجهة الجنوب لذلك تزاور[2] الشمس عنه اذا طلعت بمعنى أنها إذا طلعت تعدل عن كهفهم وتطلع عليه من جهة اليمين اذ لو طلعت عليهم من أمامهم لدخلت أشعتها الكهف وأحرقتهم .

كما أن الشمس عند الظهيرة ترتفع عن الكهف في الأفق نظرا لأن الأردن يقع في النصف الشمالي من الكرة الأرضية ، فلا تصل أشعة الشمس إلى داخل الكهف .

أما عند غروب الشمس فإنها تعدل عن الكهف فلا تصل أشعتها إلى داخله وتتركهم الشمس عن شمالها . حيث يبقى الظل مائلا لليسار حتى تغرب الشمس .

---

(١) سورة الكهف الآية : ١٧ .

(٢) تزاور : الزور : الميل والانحراف عن الشئ .
أنظر : مختار الصحاح للرازى ص ٥٣٠ ، والمصباح المنير للفيومى ٢ / ٧٦٦

ثانيا : وجود الفجوة[1] في كهف أهل الكهف . وهي مكان متسع داخل الكهف يصله برد الريح ونسيم الهواء الطلق ،وكان موقعهم في الفجوة يسترهم من الشمس إلا أنها كانت تمسهم مسا خفيفا لصلاح أجسادهم .[2]

وفي صرف الشمس عن أصحاب الكهف قولان ذكرهما الرازى فى تفسيره:

أحدهما : أن الموقع الجغرافي الذى هيأه الله لأصحاب الكهف كان معدا بحيث لا تصل إليهم أشعة الشمس ويصل إليهم الهواء النقي والنسيم العليل فصان بذلك أجسادهم من الفساد ،وتهيئة الله تعالى لهم هذا المكان آية من آياته الباهرة .

ثانيهما : وهو قول الزجاج : أن الكهف كان بموقع تصل إليه أشعة الشمس إلا أن الله تعالى منع الشمس بقدرته وصرفها من الوصول اليهم فكانت تزاور عنهم إذا طلعت وتقرضهم إذا غربت حتى لا تفسد أجسادهم ،واستدل بقوله تعالى : " ذلك من آيات الله "[3].

ووجه الاستدلال عنده بالآية : أنه لو كان الأمر كما قال أصحاب القول الأول لما كان ذلك خرقا للعادة المألوفة ولا كرامة عظيمة خص الله تعالى بها هؤلاء الفتية .[4]

---

(١) الفجوة : الفرجة ،والساحة المتسعة : انظر المصباح المنير ٢/ ٧٠٩.

(٢) انظر : جامع البيان للطبرى : ١٥/ ٢١٠، ٢١١ ،وتفسير الماوردى : ٢/ ١٦٠ ،والجامع لأحكام القرآن . للقرطبى : ١٠/ ٣٦٨، ٣٦٩ ،والتفسير الكبير للرازى : ٢١/ ٩٩، ١٠٠ ،وتفسير القرآن العظيم . لابن كثير : ٣/ ٧٥ .

(٣) سورة الكهف من الآية : ١٧ .

(٤) أنظر : التفسير الكبير للرزى : ٢١/ ١٠٠ .

وبالتأمل في هذين القولين نجد أنه لا تعارض بينهما ، إذ إن صرف الشمس عن أصحاب الكهف ثم في الحالتين بقدرة - الله تعالى - حيث هيأ الله - حسب الرأى الأول لهم - موضعا جغرافيا قياسيا وصرف لوساطة الشمس عنهم حفاظا على أجسادهم من البلي ، وذلك آية من آيات الله وكرامة لأهل الكهف ، كما أن منع الله الشمس عن الوصول اليهم آية وكرامة لهم ففي كلتا الحالتين صرفت الشمس عنهم بقدرة الله عز وجل .

ب - إيمان أهل الكهف والرقيم :

في إيمان أهل الكهف والرقيم روايات للمفسرين متعارضة يرجع أهمها إلى روايتين :

الأولى : ذكرها الطبرى بسنده وغيره وهي أن الفتية خرجوا مع قومهم في عيد من أعيادهم ، حيث رأوا القوم يعبدون الأوثان التى لا تنفع ولا تضر ، وعندئذ أخذوا يفكرون كيف يكون ذلك منهم مع أن الله سبحانه وتعالى هو وحده المستحق للعبادة .

وكان كل واحد منهم يكتم هذا الإحساس عن الآخر وما أن انطلق أحدهم فجلس تحت شجرة يتأمل في ملكوت السموات والأرض حتى أخذ الباقون يأتون اليه الواحد تلو الآخر ، فكان الاجتماع الذى أبدى فيه كل منهم لصاحبه ما يشعر به ، وانتهي بهم هذا التأمل إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، وقذفه الله في قلوبهم بلا واسطة[1] وصاروا إخوة ، متحابين في الله يصدق طيبهم قول الرسول

---

(١) انظر : جامع البيان للطبرى : ١٥ / ٢٠٤ ، وانظر : التفسير الكبير للرازى ٢١ / ٦٧ ، ٦٨ ، وهامش الخازن للبغوى : ٤ / ١٥٧ ، ١٥٨ ، وتفسير القرآن

ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف "[1].

الرواية الثانية : رواها الطبرى بسنده عن وهب بن منبه ، وتقول هذه الرواية : إن إيمان أهل الكهف والرقيم كان بوساطة أحد حوارى المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ الذى كان قد أقام بالقرب من مدينة أهل الكهف ، وكان عاملا في أحد الحمامات ، وكان أهل الكهف ممن دعاهم إلى الدين فآمنوا بالمسيحية[2].

وهذه روايات تاريخية لا تستند الى دليل ، حيث يتعذر ترجيح إحداهما على الأخرة .

غير أن جمال الدين القاسمي يذكر أن ايمانهم عن طريق حوارى المسيح أوثق من إيمانهم عن طريق التفكير والتأمل[3]. وهذا يفتقر إلى دليل .

ويكفي أن نذكر عن إيمانهم قوله تعالى : " إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى "[4].

= = العظيم لابن كثير ٣/ ٧٤ ، والسراج المنير للخطيب الشربينى ٢/ ٢٩٠ ، ط : المطبعة الخيرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣١١ هـ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥/ ٢١٧ ، وظلال القرآن لسيد قطب: ٤/ ٢٢٦٢ ، وقصص الأنبياء للثعلبى . ص ٤٧٤ ، وحياة الحيوان الكبرى للدميرى : ٢/ ٢٩٨ ط : المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .

(١) متفق عليه . انظر: صحيح البخارى ٤/ ١٠٤ ، وصحيح مسلم ٤/ ٢٠٣١ .

(٢) جامع البيان : ١٥/ ٢٠٥ ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٠/ ٣٥٩ ، وهامش الخازن للبغوى : ٤/ ١٥٨ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥/ ٢١٧ .

(٣) محاسن التأويل : ١١/ ٤٠٢٧ .

حـ - مناهضة أهل الكهف للباطل وانتصارهم عليه : -

وفي ذلك يقول الله تعالى : " وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهًا لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا "(١).

حين آمن هؤلاء الفتية بربهم وألهمهم الصبر وشد على قلوبهم بقوة الإيمان ، ودعاهم الإمبراطور الروماني " تراجان " - حين وقفوا بين يديه - أن يتركوا دينهم الذى اعتنقوا وعاتبهم على تركهم عبادة أوثانه لم يثن عزائمهم بشدة بطشه وجبروته ، وصمدوا أمامه وأعلنوا له في قوة وثبات عزيمة : أن ربهم هو رب السموات والأرض ولن يتخذوا من دونه إلهًا مهما كانت العاقبة ، ثم قالوا : لئن دعونا غير رب السموات والأرض لقد بعدنا عن الحق وافترينا على خالقنا وكفرنا بنعمه .

وبعد أن صدعوا بالحق بين يدى هذا الإمبراطور الجبار ، توجهوا إلى قومهم ونعوا عليهم عبادتهم لآلهة لا تنفع ولا تضر وأنكروا عليهم ذلك ، وطلبوا منهم أن يأتوا بسلطان وبرهان على عقيدتهم هذه ، والإ فهو الكذب والافتراء على الله ، " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا "(٢).

---

(١) السورة الكهف الآيتان : ١٤ ، ١٥ .

(٢) انظر : المصدر السابق للطبرى : ١٥ / ٢٠٠ - ٢٠٤ ، والمصدر السابق للقرطبي ١٠ / ٣٥٩ ، والتفسير الكبير للرازى : ٢١ / ٩٧ ، ٩٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦ / ١٠٦ ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب مج : ٤ / ٢٢٦٢

ثم بعد ذلك دعوا قومهم إلى الإيمان بالله ، فلما أبوا عليهم ذلك اعتزلوهم وما يعبدون من دون الله وتبرأوا منهم ، وهذا النوع من الاعتزال مشروع في الإسلام لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يوشك أن يكون خير مال المرء غنم يتبع بها شعف الجبال[1] ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن "[2].

د - فترة مكثهم في الكهف :

يقول الله تعالى عن مدة لبثهم : " ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا "[3].

وهذه الآيات البينات تشير - والله أعلم بمراده - إلى أن أهل الكهف والرقيم ظلوا ماكثين في كهفهم بعد دخولهم فيه تسع سنين وثلاثمائة سنة ، ثم بعثهم الله بعد هذه الفترة ليتساءلوا فيما بينهم وليكونوا آية عجيبة لأهل الزمان الذي بعثوا فيه ولمن يأتي بعدهم من البشر وبذلك تكون هذه الآية الكريمة تفصيلا لما أجمله الله - عز وجل - من السنين في قوله " فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا "[4] ، ويكون قوله تعالى " الله أعلم بما لبثوا " ردا على أهل الكتاب في زعمهم بأن المدة المذكورة هي الفترة من بعث أهل الكهف إلى أيام الرسول - محمد صلى الله عليه وسلم - أو يكون المقصود بقوله تعالى : " الله أعلم بما لبثوا "

---

(١) شعف الجبال رؤوسها ، وجمعها شعوف وشعاف وشعف .
انظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة " شعف " .

(٢) الحديث أخرجه البخاري . أنظر : صحيح البخاري ١/ ١٠، ٣/ ١٥٩ ط : دار الفكر بيروت : ١٣٩٨ هـ .

(٣) سورة الكهف الآيتان : ٢٥، ٢٦ . (٤) السورة نفسها : الآية : ١١

توجيها ربانيا للرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن يكون رد ه على من يسأله من أهل مكة وغيرهم من الكفار وأهل الكتاب عن فترة لبث أهل الكهف والرقيم : أن ليس عند ه علم من الله بهذا الأمر ، ومن ثم لا يجيبهم بشيء بل يفوض الأمر إلى الله تعالى .

وهناك رأى آخر لفريق من المفسرين خلاصته :

أن هذ ه الآية تحكى قولا لأهل الكتاب في مدة مكث أهل الكهف في كهفهم ولكن الله رد ه عليهم وأبطله بقوله تعالى في هذ ه الآيات نفسها : " قل الله أعلم بما لبثوا "(١).

والقول الذى أميل اليه هو أن هذ ه الآية إخبار من الله تعالى لا حكاية عن غيره ، لأنه لا يجوز صرف إخبار الله تعالى الى غيره من غير دليل .

ويترتب على ذلك أن تكون مدة لبثهم غير مذكورة في القرآن الكريم ، علما بأن فترة مكثهم هي موطن العبرة والاتعاظ في القصة .(٢)

وهذا هو اختيار الطبرى ، والبغوى ، والنسفي ، وابن كثير .(٣)

---

(١) انظر : جامع البيان للطبرى : ١٥ / ٢٣٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٠ / ٣٨٦ ، والكشاف للزمخشرى : ٤ / ٤٨١ ، وزاد المسير لابن الجوزى : ٥ / ١٣٠ ، والتفسير الكبير للرازى : ٢١ / ١١١ ، ومدارك التنزيل للنسفي : ٣ / ٨ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٧٩ ، وروح المعانى للألوسي : ١٥ / ٢٥٢ .

(٢) انظر : احكام القرآن العظيم للجصاص : ٣ / ٢٦٥ .

(٣) انظر : جامع البيان : ١٥ / ٣١ ، وهامش تفسير الخازن : ٤ / ١٦٩ ، ومدارك التنزيل ٣ / ٨ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٧٩ .

هـ - بعثهم وعلتـــه :

يقول الله تعالى عن بعثهم : " وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا " (١).

يخبر الله - تعالى ذكره - في هذه الآيات الكريمة أنه كما أنام هؤلاء الفتية وحفظ أجسادهم من كل آفة وثيابهم من العفن والبلى على مر الأيام والسنين بقدرته تعالى بعثهم من نومهم العميق ليريهم من عجيب صنعه وقدرته في خلقه وعظيم سلطانه ليزدادوا يقينا في ايمانهم الذى تعرضوا بسببه لأذى الجبارين وسطوتهم .

ثم بينت هذه الآية الكريمة - أنه - سبحانه وتعالى - إنما بعثهم ليتساءلوا فيما بينهم ، فيقول بعضهم كم لبثتم في مناكم ؟
ويجيب البعض قائلا لبثنا في نومنا هذا يوما كاملا أو بعض يوم !!
وذلك لأنهم ناموا في أول نهار ولم يستيقظوا إلا في آخر نهار فظنوا أنهم لم يناموا الا يوما واحدا أو بعضه .

وآخرون منهم فوضوا الأمر في ذلك إلى الله ولم يروا داعيا الى التساؤل وقالوا : " ربكم أعلم بما لبثتم " ، وبعد تساؤلهم هذا بعثوا أحدهم إلى مدينتهم التي فروا منها بنقود كانت معهم وطلبها صورة إمبراطورهم الذى فروا من طغيانه وجبروته ، وطلبوا منه أن يشترى لهم

---

(١) سورة الكهف : الآيتان ١٩ ، ٢٠

طعاما حلالا طيبا إذ شعروا بالجوع الشديد بعد تلك الرقدة الطويلة وأوصوه أن يكون حذرا في ذهابه وإيابه وشرائه حتى لا يشعر به أحد من أهل المدينة خوفا من أن يصل أمرهم وخبرهم إلى امبراطورهم الذى يظنونه حيا يتحرى أخبارهم ويطلبهم ليعيد هم إلى ملته الوثنية .[1]

وهم فى ذلك كله لا يعرفون أن الأعوام والأجيال قد تعاقبت وأن المدينة التي ألفوها قد تغيرت معالمها ،وأن دولة الظالمين المشركين التي يخشونها على عقيدتهم وأنفسهم قد زالت ودالت ،وأن أخبارهم أصبحت يتناقلها الخلف عن السلف ،وأن الروايات حول عقيدتهم وقصتهم متضاربة[2] .

و - الإعثار عليهم :

يقول الله تعالى : " وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها . . . "[3].

أما عن الاعثار عليهم كما أخبرت هذه الآية الكريمة ،فإن الله تعالي قد قصد منا أنه إنما بعثهم بعد طول رقدتهم ليتساءلوا بينهم ، وليعلموا أن وعد الله حق ليزداد إيمانا وبصيرة ويقينا ،وليوقن الذين فى قلوبهم شك في قدرة الله على إحياء الموتى بالبرهان العملي ،على

---

(١) انظر: جامع البيان للطبرى : ١٥ / ٢١٦ ،والماوردى تفسيره : ٢ / ١٦١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٠ / ٣٧٤ - ٣٧٦ ،والتفسير الكبير للرازى ٢١ / ١٠٢ ، ١٠٣ ،وأنوار التنزيل للبيضاوى : ٢ / ٧ ، ٨ ،ومدارك التنزيل للنسفي ، ٣ / ٥ ،وباب التأويل للبكرى ص. ٤٣٠ ،وروح المعانى للألوسي ١٥ / ٢٢٩ ، ٢٣٢ .

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب : ٤ / ٢٢٦٤ .

(٣) سورة الكهف من الآية : ٢١ .

أن الله قادر على بعث الناس جميعا والساعة آتية لا ريب فيها "[1].

إذ البعث أهون من الإيجاد فالله تعالى لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء تعالى الله عما يقول المبطلون .

وكان أهل مدينة أصحاب الكهف قد اختلفوا فيما بينهم في البعث هل يكون بالجسد والروح ، أو بالروح مجردة عن الجسد ؟ وكان ملكهم آنذاك رجلا مؤمنا صالحا وهو الإمبراطور ثيود سيوس الصغير[2].

فألمه ذلك الاختلاف فدعا الله تعالى أن يبين الحق لقومه في أمر البعث فاستجاب لدعائه فبعث أهل الكهف في زمنه ، وأعثرهم الله عليهم ليكونوا آية وحجة في أن البعث بالروح والجسد جميعا[3] ، وأبطل الله ببعثهم والاعثار عليهم حجة القائلين بأن البعث بالروح مجردة عن الجسد ، وكان بعثهم والاعثار عليهم كذلك حجة وآية لكل المنكرين للبعث والنشور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أما عن كيفية الإعثار عليهم فقد ذكر الطبري بسنده ، وغيره أن الفتية بعد أن بعثهم الله تعالى من سباتهم الطويل وتساؤلهم ، بعثوا أحدهم " يمليخا " أو غيره إلى المدينة ، وهي عمان ، ليشترى لهم طعاما طيبا

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٢٥ والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٠٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٧٧ .

(٢) ورد اسمه عند الطبري والصقلي تندوسيس، وعند البغوى دسيوس، وذكر وفيق وفا الدجاني أن هذين الاسمين محرفان عن الاسم الأصلي المذكور في المتن : تيودسيوس الصغير الذى حكم ظنا بين ٤٠٨م الى ٤٥٠م انظر : المصدر السابق للطبري : ١٥ / ٢١٦ ، واليعقوبي : تاريخه ١ / ١٢٤ ، والثعلبي قصص الانبياء ص ٤٨٣ ، والدجاني : اكتشاف كهف أهل الكهف ص ٤٧ .

(٣) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢١٦ ، ٢١٧ ، والجامع لأحكام القرآن

حلالا ـ كما سبق أن ذكرت ـ فحمل معه ما بقي عندهم من ورقهم[1] فلما مر بباب الكهف رأى عليه حجارة منزوعة وأثر بنيان قديم ، فتعجب لما رآه من تغيير على باب الكهف[2] ، وذهب إلى المدينة حذرا خائفا حتى لا يشعر به أحد من القوم ، فلما أتى باب المدينة ، أطال نظره فيه فرأى علامة أهل الإيمان التي كانت توضع على أبواب المدن عادة ، فتعجب من ذلك الحدث الجديد ـ في ظنه ـ وفر إلى داخل المدينة ، وفيها رأى كل شيء متغيرا عما عهده من قبل ، وسمع الناس يرددون اسم المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فخيل إليه أنه ليس في المدينة التي خرجوا منها بالأمس فارين بدينهم وكان يعرف أهلها من قبل ، فلما تصفح وجوه من حوله من الناس لم يعرف أحدا منهم فتعجب في نفسه وقال : لعلي في حلم وأن بي لوثة من النوم !! ثم تقدم إلى بائع الطعام وطلب منه طعاما وقدم له قطعة من الفضة ، فأخذها البائع وأمعن النظر فيها ، فوجد هذه قطعة قديمة عليها ختم " تراجان " فقال البائع له : لعلك وجدت كنزا قديما ، وطلب منه أن يقاسمه ذلك الكنز ، أو يفشي أمره إلى أمراء المدينة ، ولما أنكر الفتى أمر الكنز وتحاور مع البائع اجتمع عليهما أهل

= = العظيم : ١٠ / ٣٨٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١١٢ ، وروح المعاني للألوسي ١٥ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، وحياة الحيوان للدميري : ٢ / ٢٢٣ .

(١) الورق : الفضة المضروبة دراهم ، وقيل الفضة مضروبة وغير مضروبة .
أنظر مختار الصحاح للرازي ص٧١٧ ، والمصباح المنير للفيومي ٢ / ١٠١٦

(٣) وسبب هذا التغيير : أن أحد الرعاة كان يرعي غنما حول الكهف قبل أن يبعثهم الله ، فلما أدركه المطر ولم يجد مكانا يستتر به توجه إلى الكهف ونزع الحجارة عن بابه وأدخل فيه غنمه ـ ثم بعثهم الله بعد ذلك ورد عليهم أرواحهم من الغد ـ ، وبعد أن تعجب الفتى مما شاهده على باب كهفهم .

السوق وتداولوا القطعة الفضية فيما بينهم ، ثم أخذوا الفتى أخيرا الى أمراء المدينة ، ولما أحضر بين أيديهم سألوه عن الكنز الذى وجده وطلبوا منه أن يدلهم عليه ، فقال لهم : إني لم أجد كنزا ، وهذه القطعة من نقود كانت معنا حين خرجنا من هذه المدينة ، بالأمس وأوينا إلى كهف قريب منها فرارا من بطش الإمبراطور ، فقال عند ذلك أحد الأمراء بعد أن علم أن الفتى صادق فيما يقول :

لعل هذه آية من آيات الله أظهرها الله على يد هذا الغلام فهيا انطلقوا بنا الى أصحابه في الكهف لنعرف حقيقة الأمر ونستقصي الخبر ، وكان الفتية حين ذاك في انتظار عودة صاحبهم بالطعام ، وبينما هم كذلك إذ سمعوا أصواتا خارج الكهف فتوقعوا أن أمرهم قد انكشف وأن الامبراطور الجبار قد علم بخبرهم ، فتألموا أشد الألم وفزعوا ثم نظروا خارج الكهف فإذا هم بحشد عظيم من الناس يتقدمهم صاحبهم " يملیخا " ، ثم دخل عليهم " يميلخا " و أخبرهم الخبر فعلموا أنهم كانوا نياما - بقدرة الله - زمانا طويلا ، وأن الله بعثهم ليكونوا آية لمن يعتبر ودرسا عمليا لمن أنكر البعث والنشور .

وبعد أن تيقن أمراء المدينة من خبر أصحاب الكهف وقصتهم بعثوا إلى امبراطورهم الصالح " ثيودوسوس " الصغير يخبرونه بخبرهم فما كان منه إلا أن بادر بالحضور بنفسه ، فلما أبصره الفتية فرحوا به وخروا جميعا سجدا لله - عز وجل - فعانقهم وبكوا وأخبروه خبرهم وقصتهم ، ثم توفي الله تعالى أصحاب الكهف جميعا بين يدى الامبراطور

" ثيودوسيوس " الصغير[1] ، وبقيت قصتهم خالدة عبر القرون والأجيال لتكون عظة وعبرة لمن يعتبر ومثالا حيا للمؤمنين الأتقياء .

ز - تخليد ذكراهم :

قال الله تعالى : " إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا "[2] بعد أن بعث الله أهل الكهف من سباتهم الطويل ، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان ثم توفاهم الله تعالى بين يدي الإمبراطور المؤمن الصالح " ثيودوسيوس " الصغير ، رأى هذا الإمبراطور أن يضع كل واحد من الفتية في تابوت من الذهب يصنعه لهذا الغرض ، غير أنه ذكر أنه رأى الفتية في المنام وهم يعاتبونه على ما عزم عليه ويقولون له : إنما نحن من التراب وإليه نعود فلا تفعل ما عقدت عليه ، فعدل الإمبراطور عن عزمه ورأيه الأول ، وصنع لهم توابيت من الخشب وضعهم فيها ودفنهم في الكهف ، وزاد على ذلك أن جعل باسمهم عيدا يقام كل عام عند كهفهم تعظيما لأمرهم وتخليدا لذكراهم[3] .

ثم تنازع الناس من قوم أصحاب الكهف الذين حضروا مع الامبراطور وأمراء المدن عند الكهف ، فقال المشركون من قومهم نقيم عليهم بنيانا لأنهم أبناء آبائنا المشركين لنخلد به ذكراهم .

---

(١) جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢١٨ ، ٢٢٢ ، وتفسير الماوردي والبيضاوي أنوار التنزيل : ٢ / ٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٦ / ١١٣ ، وفتح الباري لابن حجر ٦ / ٥٠٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٢ / ١٦٦ ، وحياة الحيوان للدميري : ٢ / ٢٨٩ .

(٢) سورة الكهف من الآية : ٢١ .

(٣) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٢٢ ، وتفسير للماوردي : ٢ / ١٦٢ ،

وقال المسلمون من قومهم ومعهم الإمبراطور وأمراء المدينة نبني عليهم مسجدا نعبد الله فيه ونخلد به ذكراهم فنحن أولي بهم من غيرنا .

ولما كان الأمر بعد الإمبراطور الصالح ومن معه من المؤمنين فهم الغالبون ، فقد أقيم مسجد عند باب الكهف تخليدا لذكرى الفتية المؤمنين من أصحاب الكهف .(١)

وذكر البيضاوى أن التنازع كان حول إقامة قرية أو مسجد حول الكهف(٢) ، وقال ابن كثير بعد أن ذكر القولين السابقين : " ولكن هل هم(٣) محمودون على ذلك أو لا ؟ فيه نظر ، لأن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد(٤) " ، وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه لما وجد قبر " دانيال " فى زمانه بالعراق أمر أن يخفي عن الناس ، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجد وها عنده فيها شيء من الملاحم "(٥) .

= = والجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٠ / ٣٧٩ ، وروح المعاني للألوسي : ٢٣٤/١٥ ، اكتشاف كهف أهل الكهف للدجاني ص ٥٢ .

(١) انظر المصدر السابق للطبرى : ١٥ / ٢٢٢ ، وتنوير المقياس من تفسير ابن عباس ص ٢٤٥ ، وزاد المسير لابن الجوزى : ٥ / ١٢٣ ، ١٢٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٧٨ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٧٧ ، ومحاسن التأويل للقاسمي : ١١ / ٤٠٣٧ وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٢٣٤ ، وقصص الأنبياء للثعلبي ص٤٧٣ .

(٢) أنوار التنزيل : ٢ / ٨ .

(٣) يعني قوم أصحاب الكهف الذين بنوا مسجدا على الكهف .

(٤) الحديث الذى استشهد به متفق عليه (أنظر صحيح البخارى) ١ / ١١٢ ، وصحيح مسلم : ٢ / ٣٧٦ ، كتاب المساجد . (٥) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٧٨ .

وتعقبه القاسمي فقال : " من العجب أن يذكر ابن كثير الحديث الصحيح الذى يلعن فاعل ذلك ثم يتردد في كونهم محمودين أو لا "[1].

والحق أنهم غير محمودين في بناء المسجد على أصحاب الكهف لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تبرأ من فاعل ذلك وتوعده بالطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى لأن بناء المساجد على القبور لتعظيمها قد يفضي إلى عبادة أصحابها وذلك شرك ،وقد ورد ذم فاعل ذلك في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ،فمنها قوله - صلى الله عليه وسلم - : " ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ،ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ،إني أنهاكم عن ذلك "[2].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرض الذى لم يقم منه : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت عائشة : فلولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا "[3].

ح - كلب أهل الكهف :

قال الله تعالى : " وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا "[4].

---

(١) محاسن التأويل : ١١ / ٤٠٣٧ .

(٢) من حديث أخرجه مسلم : انظر صحيح مسلم : ١ / ٣٧٧ ، ٣٧٨ " كتاب المساجد " .

(٣) انظر : صحيح البخارى : ١ / ١١٢ ، وصحيح مسلم : ٢ / ٣٧٦ (كتاب المساجد)

(٤) سورة الكهف من الآية : ١٨ .

وقال الله تعالى : " سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل "[1].

حقيقة الكلب :

اختلف المفسرون والمؤرخون في حقيقة كلب أهل الكهف والرقيم وهل كان كلبا حقيقيا أو شيئا آخر . فقال الأكثرون : إنه كلب حقيقي ، ويشهد لهم ظاهر الآية ، وقوله " باسط ذراعيه " يدل أيضا على أنه كلب حقيقي فمن عادة الكلاب بسط أذرعتها عند جلوسها[2].

وقال فريق آخر : إنه كان إنسانا ، إما طباخا لهم تبعهم على دينهم ، وإما أحدهم ، وسمي كلبا لملازمته للباب . وهذه رواية تاريخية لا تستند إلى دليل ، إلا أن " الزمخشري " نسب إلى جعفر الصادق أنه قرأ " وكالبهم باسط ذراعيه " أي صاحب كلبهم[3] ، وإن صحت هذه القراءة كانت مستندا لهذا الفريق ، ثم الذين رأوه كلبا حقيقيا اختلفوا في صاحبه ، فقال الطبري : إنه كان كلب المزارع الذي تبعهم على دينهم وفر معهم[4] ، وقال ابن كثير إنه كلب صيد لأهل الكهف

---

(١) سورة الكهف من الآية : ٢٢ .

(٢) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢١٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ١ / ٣٧١ ، وزاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ١١٩ أو تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣ / ٧٦ ، ولباب التأويل للبكري ص. ٤٣ ، وروح المعاني للألوسي ١٥ / ٢٢٦ ، وحياة الحيوان للدميري : ٢ / ٢٨٦ .

(٣) انظر : المصدر السابق للطبري والمكان نفسه ، وتفسير الماوردي : ٢ / ١٦٠ ، والكشاف للزمخشري : ٢ / ٤٧٥ المكان نفسه .

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٢ / ٤١ .

أو لأحدهم[1] ،وفي رواية ثالثة : إنه كان كلب طباخ الملك الذى تبعهم على دينهم[2] .

اسمه وصفته :

أما عن اسمه فقد ذكر عدد من علماء المسلمين إنه قطمير أو قطمرا ،أو ريان ،أو صهبا ،أو نتوى ،أو قنطوريا أو بسيط ،أو تفني ،أو قطفير ،أو مشيد[3].

وأما عن صفته فقد ذكرت الروايات التاريخية : أنه كان كلبا أنمر[4] أو صينيا[5] ،أو كان أحمر شديد الحمرة ،أو أصفر شديد الصفرة ،وقيل لونه الثلج ،أو لون الهرة ،أو لون السماء ،وقيل : كان (أغبر اللون)[6] .

---

(١) التفسير الكبير : ٢١ / ١٠١ ،وتفسير القرآن العظيم : ٣ / ٧٦ .

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوى : ٢ / ٧ ،وحياة الحيوان للدميرى : ٢ / ٢٨٨ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٠ / ٣٨٤ ،وفتح البارى لابن حجر: ٦ / ٥٠٥ ،ولباب التأويل للبكرى : ص. ٤٣ ،وحياة الحيوان للدميرى : ٢ / ٢٧٧ ،وقصص الأنبياء للثعلبى : ص ٤٧٠ .

(٤) الكلب الأنمر : النمرة بالضم: النكته من أى لون كان ،والأنمر ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء . انظر القاموس المحيط للفيروز آبادى ٢ / ١٤٨ ط: دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .

(٥) الكلب الصيني : ضرب من الكلاب تصير القوائم شديد الذكاء .انظر: حياة الحيوان للدميرى ٢ / ٢٨٧ ،والحيوان للجاحظ : ٢ / ١٧٩ ،تحقيق : عبد السلام هارون ط : دار الكتاب العربي بيروت: الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ

(٦) انظر: المصدر السابق للقرطبى ١٠ / ٣٨٤ ،والمصدر السابق للبكرى ، والمكان نفسه ،والمصدر السابق للدميرى : ٢ / ٢٨٧ ،والمصدر السابق المكان نفسه للثعلبي .

وهذه الروايات التي أوردتها في اسم الكلب وصفاته روايات تاريخية متضاربة لا تستند إلى دليل تطمئن إليه النفس ، وإنما هي أخبار محتملة للصدق ، والكذب ذكرتها قاصدا التنبيه إليها والتحذير من تداولها لأنه لم يصح عن المعصوم - حسب علمي - ما يؤيدها .

مكانه :

يقول الله تعالى : عن مكان الكلب : (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) والوصيد في اللغة : الباب أو عتبته[1] ، ومعنى الآية أن كلب أهل الكهف كان يجلس عند عتبة باب كهفهم باسطا ذراعيه كعادة الكلاب ، يحرس عليهم الكهف ، وشكله يثير الفزع والهلع في نفس من يراه[2] .

وإنما كان عند الباب - والله أعلم - لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة أو كلب كما في الحديث الصحيح[3] .

وقد ذكر المفسرون في معني الوصيد أقوالا منها :

أولا : روى الطبري بسنده عن ابن عباس ومجاهد وقتادة : أنه فناء الكهف .

ثانيا : روى الطبري بسنده أيضا عن ابن عباس وسعيد بن جبير : أن الوصيد : الصعيد أو التراب .

---

(١) انظر مختار الصحاح للرازي ص ٧٢٤ ، والمصباح المنير للفيومي ٢ / ١٠٢٦ .

(٢) انظر المصدر السابق للطبري ١٥ / ٢١٥ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣ / ٧٦ .

(٣) من حديث أخرجه البخاري ، قال جبريل للنبي - صلى الله عليه وسلم - حين تأخر وسأله عن سبب تأخيره قال : (انا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب) صحيح البخاري : ٧ / ٦٦ .

ثالثا : وقال آخرون : إنه الباب أو البناء الذى فوق الكهف أو تحتـــه أو عند عتبة باب الكهـــف [1].

ط - قيمة قصتهم في تاريخ الإنسان :

هذه القصة تناقلتها الأجيال والأمم عبر القرون والأزمنة ،ومـــن أدلة ذلك : اختلاف أهل الكتاب في عدد الفتية من أصحاب الكهف فيما حكاه القرآن عنهم في قوله تعالى : " سيقولون ثلثه رابعهـــم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعـــة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا "[2].

ومنها سؤال اليهود الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أهـــل الكهف فيما رواه الطبرى بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبـــار اليهود بالمدينة ،فقالوا لهم سلوهم عن محمد ووصفوا لهم صفتـــه ، وأخبروهم بقوله ،فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء ،فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود عـــن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووصفوا لهم أمره وبعض قولـــه ، وقالا : إنكم أهل التوراة ،وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هـــذا

---

(١) انظر: جامع البيان للطبرى : ١٥/ ٢١٤ ، ٢١٥ ،وتنوير المقباس فى تفسير ابن عباس ص ٢٤٥ ،وزاد المسير لابن الجوزى : ٥/ ١١٩ ،وتفسير الماوردى : ٢/ ١٦٢ ،والجامع لأحكام القرآن للقرطبى :١٠/ ٣٧٣ ،والتفسير الكبيـــر للرازى : ٢١/ ١٠١ ،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٧٦ ، وتاريـــخ اليعقوبي :١/ ١٢٤ ،وحياة الحيوان للدميرى ٢/ ٢٨٦ .

(٢) سورة الكهف : الآية : ٢٢ .

قال : فقالت لهم أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول فأروا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب .

وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ؟

وسلوه عن الروح ما هي ؟ ، فإن أخبركم بذلك فإنه نبي فاتبعوه .

وان هو لم يخبركم فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ...)[1] .

وهذا يعتبر دليلا قاطعا على صحتها وقيمتها في تاريخ الإنسان واشتهارها قبل الإسلام ، وقد اهتم المسيحيون بهذه القصة بصفة خاصة وترجموها إلى عدة لغات منها : اللغة الهندية ، والحبشية ، واللاتينية[2]

وقد ازدادت هذه القصة سموا ورفعة وشهرة بعد أن ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم ، وسميت السورة التي وردت فيها هذه القصة باسمها ، ومن ثم خلدت واشتهرت في الأوساط الإسلامية واهتم بها المسلمون في سائر العصور لكونها جزء سورة من سور القرآن العظيم الذي هو الكتاب الخالد المقدس والدستور الذي يهتدي به المسلمون في كل زمان ومكان .

ومما يؤكد قيمة هذه القصة أنها تعتبر دليلا علميا ثابتا على مكان البعث والنشور ، حيث بعث الله الفتية " أصحاب الكهف " بعد

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن : ١٥/ ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) انظر : تأملات في سورة الكهف ، لأبي الحسن الندوي ص٢٩ ، ٣٠ ، واكتشاف كهف أهل الكهف لوفيق وفا الدجاني ص ١٣ - ٥٢ .

نومهم الطويل وأعثر عليهم ليكونوا حجة لأهل العصر الذى بعثوا فيه ولمن بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فقال تعالى : " وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها " (١).

وبقيت هذه القصة وستبقى - إن شاء الله - مثلا وقدوة حسنة لكل المؤمنين الصالحين ، ولا سيما حين يتعرضون للاضطهاد والمضايقة والتشريد من قبل أعداء الاسلام (٢).

وهذه القصة ليست عملا فنيا بحتا كالقصة الفنية الحرة في موضوعها وطريقة عرضها ، وإنما هي كسائر قصص القرآن الكريم وسيلة لتحقيق غرض دينيّ بحت ، فهي تختلف عن سائر القصص الأدبية ، ولهذه القصة أهداف منها :

١ - بيان أن الله تعالى ينصر رسله وأنبياءه والمؤمنين بهم في نهاية المطاف ويهلك المعاندين والجاحدين ويخذلهم ، وذلك لتثبيت نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - والتأثير في تبليغ دعوة الإسلام .

٢ - بيان قدرة الله تعالى على الخوارق وصنع المعجزات ، وعاقبة الصلاح والتقوى ، ومصير المفسدين والأشرار .

٣ - التنبيه إلى الفارق بين الحكمة الالهية ذات الأهداف البعيدة والحكمة الإنسانية ذات المدى القريب .

---

(١) سورة الكهف من الآية : ٢١ .

(٢) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب مج ٤/ ٢٢٦٢ ، والمصدر السابق للندوى ص ٦١ ، ٦٢ .

٤ - تثبيت العظات والعبر في نفوس المؤمنين المتذكرين .

٥ - إن الله يقذف بالحق على كل باطل فيدفعه .

٦ - إظهار صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما يخبر به من قصص الماضين وأخبارهم .

٧ - إيضاح سبل الدعوة إلى الله تعالى ،وما يواكبها من صعاب .

٨ - تنبيه المؤمنين إلى أن الصراع بين الحق والباطل والكفر والإيمان باعتبارهما من الظواهر المتجددة - والمكررة - في الحياة الإنسانية قديم منذ أن خلق الله آدم وإبليس ومنذ أن أهبط الله آدم عليه السلام الى الأرض ،وقتل قابيل أخاه هابيل ،ثم كانت نشأة الصراع الأزلي .

ومن يستعرض القصة القرآنية ،عامة وهذه القصة بخاصة يدرك الحياة الانسانية ،ويدرك ما جبل الله عليه الناس من خير وشر وأن الخير يوطد أركانه على الحق ، والشرك ترتكز دعائمه على الباطل المحض ،والصراع بينهما سنة من سنن الحياة اقتضتها حكمة الله سبحانه وتعالى ،فالشيء لا يقاس إلا بضده .

وهذا الصراع القائم على أشده بين الحق والباطل والإيمان والكفر عبر العصور ،ليس إلا تمحيصا للمتقين وعسيرا للكافرين ،وإن صبغ أديم الأرض دما وخلف أنفسا تعيسة ،وأرامل وأيتاما وبؤساء .

صحيح أن للباطل جولات وجولات أول الأمر لكن الله تعالى ناصر الحق والايمان في نهاية المطاف،وستبقي هذه المعركة محتدمة بين الحق والباطل مادامت السموات والأرض .

ولكن العاقبة مهما طال الزمن ومهما تكالبت قوى الشر والطغيان للمتقين ،كما حدث في قصة الفتية من أهل الكهف ،وتلك العاقبة فيها عزاء وسلوى لأهل الحق في صراعهم ضد الباطل في كل زمان ومكان[1] ولم يحدد القرآن الكريم عدد الفتية ولا زمانهم وعصرهم ولا مكانهم بل ترك كل هذه الأشياء مطلقة دون تخصيص وتحديد لتكون هذه القصة عبرة وعظة يقتدى بها المصلحون والدعاة في سائر العصور والأزمنة والأمكنة ،شأنها كشأن سائر قصص القرآن التي تساق لتكون صالحة وشاملة لكل زمان ومكان ،اذ لو خصصت بزمان أو بمكان وأشخاص لقيل إن لهذا الزمان أوضاعه المساعدة وللمكان وللأشخاص ظروفهم . ، وإمكاناتهم الخاصة التي قد لا تتوفر لغيرهم .

*** ***

(١) انظر: القصص القرآني مفهومه ومنطوقه . لعبد الكريم الخطيب ص١٩٣-٢٠٣ ط: دار الفكر العربي بالقاهرة ،و (صراع بين الحق والباطل) لسعد صادق عرجون ص ١١ - ١٣ ط : دار اللواء بالرياض، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ .

الفصـــل الثانـــــي

الصراع فى قصة المؤمن ، وصاحب الجنتين

***

الزروع ،ويجرى بينهما نهر . إنه لمنظر بهيج خلاب وكلتاهما ،ذات أشجار يانعة الثمار .

أما صاحبهما فقد امتلأت نفسه بجنتيه بهجة وسرورا وازداد هارا بالنظر إليهما فانتابه كبر وزهو ،واختال مترفعا على صاحبه الفقير المؤمن حيث أمسك بيده ، فذهب به وأدخله إحدى جنتيه ،وهو في غاية البطر والغرور ،وقد نسي ربه ،وما أنعم به عليه ،واعتقد أن هذه الجنة لن تزول ولن تبيد مطلقا ،منكرا قيام الساعة ولئن قامت ليجدن خيرا مما عنده في هذه الحياة الدنيا .

وتلك طريقة الماديين الذين لا هم لهم غير التفاخر والتكاثر بالمال والأولاد والجاه معتقدين أن السعادة في ذلك فقط، مخدوعين بالمظاهر الزائلة الزائفة . وفي هذا المقام وفي تلك الحال يفتخر على صاحبه المؤمن فيقول : " أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا " .

افتخارا وتكبرا وترفعا على صاحبه ،واعتدادا بقوته المادية والبشرية واعتدادا عليها . وهذا هو منطق أولئك الذين ينسون مصدر النعم ويفتنهم المال ويعمي بصائرهم ،وهذا مثال مكرر في البشرية ،فكثير من هؤلاء يعتقد أن غناه بسبب علمه وكده ،فهو لذلك لا يقيم حسابا لمسدي النعم غير عابئ كيف يكسب وكيف ينفق ،ولا ينظر إلى الله ولا يخاف غضبه ولا يلتمس رضاه ،وغاب عن هؤلاء أن الله تعالى قد أهلك من هو أشد منهم قوة وأكثر فنى وثروة .(١)

= بيروت ١٣٩٨ - ١٩٧٨م ،والمعجم الوسيط ١٠ / ٤٢٦ ،اعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ابراهيم أنيس وآخرون ط : دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .

(١) مستفاد من الآيات الكريمة ٧٦ - ٨٣ من سورة القصص .

ومن حكمة الله في خلقه أن جعل للدنيا حرثا وللآخرة حرثا ، فمن اختار عرض الدنيا أعطاه الله منها رزقه المقدر له من دون أن ينقصه شيئا ، ولكن ليس له في الآخرة من نصيب ، لأنه آثر حرث الدنيا فعمل له ولم يعمل لحرث الآخرة فحرم منه ، وهذا من الجهالة بحقائق الأمور لأنه قدم شيئا قد قدر له منه نصيب لا يزاد ولا ينقص ، وترك ما هو أسمى[1] ، إذ نظر إلى هذه الحياة الهزيلة الزهيدة فاهتم بها وأقام لها وزنا ، وهي في حقيقة أمرها لا تعدو أن تكون لعبا ولهوا وزينة وتفاخرا وتكاثرا ، علما بأنها سريعة الزوال كمثل الزرع الذي يشتد فيهيج ، ثم يصفر ثم يكون حطاما تذروه الرياح .

فلا يغتر بهذه الدنيا إلا من أراد متاع الغرور[2] إذ ليس لهذا المتاع حقيقة ثابتة ، وإنما يستمد قوامه من الخداع والغرور فيلهي أهله وينتهي بهم إلى سراب[3] ، وفي ذلك يقول الله تعالى : " واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا . المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا "[4] .

جـ - أسباب النزول :

اختلف المفسرون في أسباب نزول هذه الآيات الكريمة على أقوال :

١ - ان المشركين سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أن يطرد

---

(١) مستنبط من الآية ٢٠ من سورة الشورى .

(٢) مفهوم من الآية ٢٠ من سورة الحديد .

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ٥ / ٢٧٧٠ ، ٢٧٧٤ ، ٣١٥١ / ٣٤٩١ .

(٤) سورة الكهف ، الآيتان ٤٥ - ٤٦ .

٥ - نزلت في عيينة بن حصن وأصحاب بلال وسلمان وعمار وأصحابهم من فقراء المؤمنين.[1]

وهذه أسباب ذكرها المفسرون ولا مسوغ لترجيح أحد هما على الآخر لعدم وجود الدليل الناهض.

*** ***

(١) انظر: المصدر السابق للقرطبي . المكان نفسه .

المبحث الثانـــي

التفكير الايمانـــي وعمقـه

أ - آيات الموضـوع :

قال الله تعالى : " قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالـــذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحـدا ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ."(١)

ب - مجمل معاني الآيات :

ومما سبق تبين لنا أن ذلك الكافر ثارت في نفسه طبيعته المادية فنسي نعمة خالقه عليه وأن الله هو خالق الأسباب ومسبباتها ، غير أن صاحبه المؤمن الذي فتح الله قلبه للحق وأسعده بمعرفته ومعرفة صفاته وأفعاله ينبهه ويذكره بأصل خلقه ومنشئه ، ومصيره ، حيث أخذ يفهمه بلطف وحكمة على سبيل التقريع والإنكار لجحوده مفهما اياه أن أصله من تراب ، اذ انه فرع آدم ، وآدم من تراب .

ونسله من سلالة من ماء مهين ، أو لكون النطفة التي خلق منها أصلها من الغذاء والغذاء إما نباتي وإما حيواني وكلاهما من التراب، وفي ذلك تذكير للكافر بمنشئه القريب . وفي قوله " ثم سواك رجـــلا "

---

(١) سورة الكهف ، الآيات : ٣٧ - ٤١ .

تبيين الحال التي هو عليها ، وسواك بمعنى عدلك وجعلك بشـــرا سويا في صورة متكاملة ذكرا لا أنثى .

وأصل التسوية جعل الشيء مستويا ، وتستعمل بمعنى الخلـــق والإيجاد من العدم ، فإذا اقترنت بالخلق كما في هذه الآية فمعناها الخلق على صورة متكاملة بلا زيادة ولا نقصان ، فلسان حال المؤمـــن يقول له : كيف تنسى من فعل بك هذا وأنشأك من العدم الـــى الوجود ؟! ، ومع ذلك تشك في قدرته ونعمه ، فالأجدر بك حســـن التأدب مع المنعم المتفضل عليك[1] .

ثم أخذ المؤمن يعلن لصاحبه الكافر في صراحة تامة ملؤهـــا الإيمان : أن ربه هو الله تعالى ولن يشرك معه أحدا ، ومفهـــوم هذه الآيـــة - والله أعلم - يدل على أن الآخر كان مشركا ، كما يحتمل أن المؤمن ربما أراد أن يقول : اني لا أرى الفقر والغنى إلا من اللـــه وحده يغني من يشاء ، ويفقـــر من يشاء ، وهو قادر على أن يسلـــب الغني ثروته ، ويغني الفقـــير بمنه وفضله[2] .

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٤٧ ، والجامع لأحكام القـــرآن للقرطبي : ١٠ / ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٢٦ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣ / ٨٣ ، وفي ظلال القرآن لسيد قطـــب مج ٤ / ٢٢٧٠ ، وتأملات في سورة الكهف لأبي الحسن الندوي ص ٧١ ، والتفسير الموضوعي لمحمد البهي ، ص ٢٢ .

(٢) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٤٧ ، والكشاف للزمخشري : ٢ / ٤٨٤ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣ / ٨٣ ، وروح المعاني للألوســـي : ١٥ / ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، وتفسير سورة الكهف للصابوني ص ٢٥ .

وهكذا تتجلى عزة الإيمان في النفس المؤمنة فلا تبالي المال والفقر ولا تدارى الغنى والبطر ، ولا تتعلثم في الحق ولا تجامل فيه الأصحاب ، وبهذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال وأن ما عند الله خير من عرض الحياة ، وأن فضل الله عظيم ، وهو يطمح في فضله "(١).

ثم إن هذا الرجل التقي كما اعترف بوحدانية الله تعالى يعلن لصاحبه في صراحة تامة ويقين ثابت اعترافه بنعم الله تعالى وأنه هو المدبر والمسخر لكل النعم الظاهرة والباطنة ، فأخذ يذكر صاحبه الكافر الجاحد بنعم الله عليه ويلفت نظره في حكمة ولين إلى الاعتراف بصنع الله وقدرته ونعمته ويحذره من سوء عاقبة الجحود وكفران النعم ، كما يحثه على الاعتراف بفضل موجد النعم ومسخرها ، واسدا ء كلمة الحمد والشكر له وحده .

واستمر المؤمن يرشد صاحبه ويعلمه أن النعم إذا لم تشكر فإن في ذلك مدعاة إلى زوالها .

ويقول له : هلا حين دخلت جنتك وأعجبتك منظرها الخلاب ورونقها وثمارها المتنوعة ، أن تحمد الله على ما أنعم وأغدق عليك من كثرة المال والولد ، مما لم يعطه غيرك ، ثم قلت : ماشاء الله اعترافا بأنها وكل ما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها لك وإن شاء سلبها منك ، ثم قلت لا حول ولا قوة إلا بالله اقرارا منك بأنك لم

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ، مج ٤/ ٢٢٧١ .

(٢) انظر: تأملات في سورة الكهف لأبي الحسن الندوي ص ٧٤ .

تقو طى عمارتها وتد بير أمورهـا وتشييد كيانها إلا بقـدرة اللـــــه ومعونته وتأييـــده :

إذ لا يقوى أحـد كائن من كان طى شيء من ذلك إلا بالله[1].

وليست كلمة " ما شاء الله " التى أوصي بها المؤمن صاحبـــــه الجاحد مقصوره طى الأعمال الفرديـة والحوادث التافهـة ، بل هـــي تقال في جميع الأعمال الاجتماعيـة العظيمة التى تؤثر في حياة الأمـم والمجتمعات ومصائرها ، مع السعي الحثيث والجد والاجتهاد والأخذ بالتدابير والاحتياطات اللازمة[2]، فما شاء الله كان وما لم يشأ لـــم يكن ، ولذلك قال الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى فضـــــل هذه الكلمة لأبي موسى الأشعرى - رضي الله عنه - :

" ألا أدلك طى كنز من كنوز الجنـة ؟ لا حـول ولا قـوة إلا بالله[3] "

ومن ثم يقول لصاحبه بيقين وإيمان راسخين : إن كنت فى نظـــــرك أقل مالا وولدا وعشيرة وجاها فإن ذلك لا يثنيني عن إيمانـــــي ولا ينقص من شأني ، لأني أرى كل ذلك الذى تفتخر وترفع بـــه من أعراض الدنيا الزائلة الزائفة التى هي متاع الغرور كما قـــال الله تعالى فى شأنها :

" واضرب لهم مثل الحيوٰة الدنيا كماء أنزلنٰه من السماء فاختلـــط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله طى كـل

---

(١) انظر: المصدر السابق للطبرى : ١٥ / ٢٤٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٠ / ٤٠٦ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى : ١٢/٢ ، ومدارك التنزيل للنسفي : ١١/٣ ، وباب التأويل للمكرى ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، وتفسير الحديث د . حجازى حـ ١٥ / ٥٦ .

(٢) انظر: تأملات في سورة الكهف لأبي الحسن الندوى ص ٧٤ .

(٣) متفق عليه : انظر صحيح البخارى ٥ / ٧٥ كتاب المغازى ، وصحيح مسلـــم

شـــــيء مقتـــدرا "[1].

غير أني أطمح إلى ما عند الله وأرجوه تعالى أن يؤتيـــــني خيرى الدنيا والآخرة "[2].

ويستمر المؤمن في حواره موضحا نعم الله لصاحبه الجاحـــد مبينا أن السعادة ليست في كثرة المال والولد والعشيرة ، وأن كل ما يملكه الإنسان من ذلك ليس من صنع الأسباب كما يتصـــور المادييون الملحدون الجاحدون ولا من كسب الإنسان وقوته ، بل كل ذلك من صنع خالق الأسباب وموجدها ، وفي ذلك تعليـــم وتوجيه للبشر جميعا ليعتمدوا على خالق الأسباب دون الأسباب[3].

جـ - الصراع في القصة :

هذه القصة تصور مثالين للنفس البشرية ، النفس المؤمنـــة المعتزة بإيمانها المفتخرة به ، والنفس الجاحدة الكافرة المزهوة بزينة الحياة الدنيا ، وكل مثال منهما يمثل طائفة من البشر فـــي واقع الحياة الدنيا فصاحب الجنتين مثال للغنى الذى غرته النعمة فنسي قدرة الله وفضله ومنه عليه ، معتقدا أن هذه النعمـــة خالدة باقية لا تزول أبدا ، فاعتمد على قوته وجاهه مـــن دون الله .

= = مج : ٤/ ٢٠٧٦ " كتاب الذكر والدعاء " .

(١) سورة الكهف الآية : ٤٥ .

(٢) انظر: جامع البيان للطبرى ١٥ / ٢٤٨ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣/ ٢٨٧ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٢٨٠ ، وتفسير المراغي ١٣ / ١٥١ .

(٣) انظر: الندوى المصدر السابق : ص ٧٢ ، ومحمد المهدي في التفسيـــر

أما المؤمن فهو مثال الرجل الصالح المعتز بالله الذاكر لربه المعترف بأن النعمة فضل وكرم من الله ، موجبة للشكر والعرفان لا الجحود والكفران (١).

وفي هذين المثالين يبين الله للناس عموما الطريق السوي الذي يجب أن يسلكه المؤمنون ، ويحذر من طريق الكفر والجحود الذي ينبغي عليهم أن يجتنبوه .

*** ***

= الموضوعي ص ٢٢ ، وقصص القرآن لجاد المولى وآخرين ص ٢٢٠ .

(١) في ظلال القرآن . لسيد قطب مج ٤/ ٢٢٧٠ .

المبحث الثالث

نتائج الصراع

أ - آيات الموضوع :

يقول الله تعالى : " فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا، وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا، هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا "[1]

ب - مجمل معاني الآيات :

يوجهنا (جل ذكره) في هذه الآيات الكريمة إلى قول المؤمن الذي ثبت على إيمانه بيقين راسخ ، حيث لم تزعزعه الأعاصير المادية بمختلف أنواعها ، ولا محاولات صاحبه الكافر الذي خدعته الدنيا بزخارفها وملذاتها ، وأبطرته بمظاهرها المادية حيث قال المؤمن لصاحبه في قوة وثبات : " إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا "[2] . أي : في هذه الدنيا التي يعطيها الله من يحب ومن لا يحب وقد يغدقها على من لا يحب ، ولولا أن يكون في إغداقها فتنة للناس لجعل الله لمن يكفر به بيتا سقفه من فضة ومصعده من ذهب ، ذا أبواب متعددة

---

(١) سورة الكهف الآيات ٤٠ - ٤٤ .

(٢) السورة نفسها : من الآية : ٣٩ .

فيه سرر يتكئ عليها وزخارف متنوعة متناثرة في أرجائه يتمتع بها في دنياه الفانية تأكيدا لحقارة هذه الدنيا وما فيها من ذهب وفضة وزروع وثمار فتغدو رخيصة زهيدة .

هكذا لمن يكفر بالرحمن[1]، متاع لا يتجاوز إطار هذه الحياة الزائلة الزائفة التي لم ينخدع بها المؤمن حيث قال لصاحبه :

إنني أرجو من الله تعالى أن يعوضني خيرا مما عندك من مباهج وملذات الحياة المادية ،وأن يبدل فقري غنى ،وغناك فقرا لكفرك وجحودك بنعم الله ،وأن يرسل تعالى بقدرته على بستانك الذي قلت إنه لن يبيد ولا يفنى أبدا . آفة سماوية فتجتاحه وتهلكه فيكون حصيدا كأن لم يكن فيصبح أرضا جدباء ملساء لا تنبت شجرا ولا زرعا ولا تخرج ثمرا ولا تمسك ماء ،حيث يصبح ماؤها غورا في طبقات الأرض ، السفلي ولا تستطيع له طلبا .

وهكذا حقق الله أمل المؤمن وأهلك جنة الكافر وأذهب أمواله فصارت خاوية وساقطة على عروشها ،وأصبحت أثرا بعد عين . وهكذا حينما تبلغ فتنة المادة ذروتها في نفوس العباد يمن المخدوعين بزينة الحياة الدنيا وبهارجها استدراجا من الله لهم من حيث لا يعلمون يرسل الله عليهم بقدرته ما يضع حدا لكبريائهم وغرورهم ،فعندذلك يدرك المغرورون المخدوعون - كصاحب الجنتين - عاقبة الكفر والجحود والإلحاد .

---

(١) مفهوم من سورة الزخرف الآيات : ٣٣ - ٣٥

(٢) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٥/ ٢١٨٨ .

لذا تضاءل الجاحد بعد أن كان مفتخرا مزهوا بكثرة ماله وولـــــده ومشيرته ،وأصبح يقلب كفيه ندما وحسرة ،مقرا بخطئه حيث ظهر لـــه جليا بعد فوات الأوان أن العزة والقوة لله جميعا وأن قدر الله كائـن لا محالة ولا يقدر على رده أحد (١).

وإذا بذلك الإنسان الذى كان يتحدى قدرة الله وينكر نعمـــه يقر ويعترف بضعفه وضآلته ،وقد علم عن يقين وتجربة أن ما وقع عليـــه كان بسبب جحوده وشركه ،وهكذا يتجرد من آثار القوة التى كان يعتمد عليها ويتطاول بها ،ومن أوهام العزة والمنعة التى كانت تخالج نفسه وقد تحررت من الكبر والغرور ،فظهرت له الحقيقة ناصعة لا غبار عليهـــا وتيقن أن الاعتماد على قوه غير قوة الله خسران ووبال(٢) ،ولما وقع بصاحب الجنتين من أمر الله ما وقع لم تكن له فئة ينصرونه من دون الله ولـــم يستطع أن يحمي نفسه مما حل به من العذاب ولم يجد له ملاذا يحميه، وفى ذلك المقام ،وفى تلك الحال يتأكد قوله :

" هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا(٣) " .

فالله وحده ينصر عباده المؤمنين ويخذل الكافرين ويعلي كلمة الحـــق على الباطل ،وكما ينصر أولياءه المتقين في الدنيا يجعل لهم فـــى

---

(١) انظر: جامع البيان للطبرى : ١٥ / ٢٥٠ ،والجامع لأحكام القرآن : ١٠ /٤١٠ للقرطبى ،والتفسير الكبير للرازى : ٢١ / ١٢٨ ،ومدارك التنزيل للنسفى : ٣ / ١٢ ،وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٢٨٣ / ٢٨٤ ،وفى ظلال القـــرآن لسيد قطب : مج ٥ / ٢٧١٣ ،والتفسير الموضوعي لمحمد المهدي : ص٢٣ .

(٢) انظر : قصص وعبر لمحمد المجذوب ص ١٥٦ .

(٣) سورة الكهف : آية ٤٤ .

الآخرة ،دار الخلود والكرامة .

فنصر الله لا يعد له نصر وثوابه لا يدانيه ثواب ،وجند الله هم الغالبون.(١)

ومما سبق عرضه نستخلص النتائج التالية :

١ - إن هذه الحياة الدنيا زائلة زائفة ،فهي تخدع بمظاهرها ضعاف النفوس ،فينخدعوا بها ويتنافسوا فيها ويتصارعوا عليها ، فتفتنهم عما هو أسمى منها وهي الدار الآخرة ،فتهلكهم كما أهلكت الذين من قبلهم .

٢ - إن الله تعالى يغدق الأموال في هذه الدنيا على من يحب ومن لا يحب ،ولولا أن يفتتن بها الناس عن طاعة الله لأغدقها على الكافرين أكثر من المؤمنين .

٣ - إن العاقبة الحميدة مهما طال الزمن ومهما انخدع المغرورون بهذه الدنيا تكون للمؤمنين المتقين الذين لا يقيمون للدنيا وأعراضها ومباهجها الفاتنة حسابا ،ولا يعتزون إلا بالله .

٤ - إن الله تعالى قد يغدق متاع الحياة الدنيا وزخارفها استدراجا واختبارا للناس ،وتمحيصا لإيمان المؤمنين .

٥ - إن الدنيا مهما أبهجت الإنسان بزخارفها فإنها حقيرة وضيعة فإن أسرت سرة فإنها تحزن مرارا .

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٥٠ ، ٢٥١ ،وتفسير الماوردي : ٦٦٢ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٤١٠ ، ٤١١ ،ومحاسن التأويل للقاسمي : ١١ / ٤٥٦٣ ،وفي ظلال القرآن لسيد قطب مج ٤/ ٢٢٧١ .

٦ - إن الله قد يعاقب من يكفر ويجحد نعمه في الدنيا بتعجيل العقوبة ،وإن الباطل مهما حسن في نفوس أصحابه فمصيره الهلاك

٧ - إن النفس البشرية - إلا من رحم الله - تنخدع بزخارف الدنيا ومظاهرها الزائفة فإذا هي سراب .

٨ - يبين الله تعالى للناس الفرق بين - ميزان الذين آمنوا وعملوا الصالحات للقيم والأحوال والأشخاص وبين ميزان الذين كفروا وجحدوا نعم الله ،فانشغلوا بعرض الحياة الدنيا واهتماماتها الصغيرة ووقفوا أنظارهم عليها فلم يتجاوزوها إلى ما هو أسمى منها ،ولم يعرفوا سوى قيم الدنيا ،فلم يرق تصورهم إلى تلك الإهتمامات الرفيعة التي يحظي بها المؤمنون .

ان المؤمن لا يحب الدنيا جل اهتمامه لا لكونه سلبيا ،ولكن يتطلع الى ما هو أرفع منها ،فهو يصبو إلى أمل أكبر وغاية أظى وأجل انه يريد أن ينقذ البشرية ،ويطبق منهج الله في الأرض ،ويحمل لواءه ليصبح خفاقا تهتدي به الناس .

أما ضعاف النفوس ،فهم منهمكون في أوحال الأرض ،ظانين أن المؤمنين ليسوا أهلا لإعمار الأرض ،وذلك لأنهم لا يدركون سر اهتمام المؤمنين ،فيسخرون منهم .

وهذا الميزان الذي يزن به الكافرون القيم إنما هو ميزان جهالة وكفر، وميزان الحق بيد الله - سبحانه وتعالى - فيجعل المؤمنين يوم القيامة فوق الكافرين وهم فوقهم في حقيقة الأمر بشهادة الله لهم وهو أحكم الحاكمين ، فقد ادخر لهم في الآخرة ما هو أعظم وخير ، حيث يرزق من

يشاء بغير حساب[1] ، وقد يمنح الكافرين مباهج الدنيا استدراجا وامهالا لهم لحكمة لا يعلمها الا هو ، وسنة الله في هذه الحياة أن يبقي المؤمنون الذين يستمدون قيمهم ومنهج حياتهم من كتاب الله مطمئنين بما أتوا من نصيب والكافرون الذين خدعتهم المادة بأشكالها ومباهجها حتى استعبدتهم وصرفتهم الى موازينها وقيمها الحقيرة[2] .

وسيظل المؤمنون ينظرون من عل الى أولئك الهابطين مهما أوتوا من المتاع والاعراض ، على حين يعتقد الهابطون أنهم هم الموهوبون ، وأن المؤمنين هم المحرومون ، فيشفقوا عليهم تارة ويسخرون منهم تارة وهم أحق بالرثاء والاشفاق[3] وهكذا حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٩ - ان هذه الحياة في حقارتها وفنائها كماء أنزله الله من السماء ، فاختلط به نبات الأرض فسرعان ما صار هشيما كأن لم يكن ، وبهذا فان الدنيا لا ينخدع بها الا من كان على بصيرته غشاوة ، فما أقصر هذه الحياة وما أهونها !!

*** *** ***

---

(١) مفهوم من الآية رقم ٢١٢ من سورة البقرة .

(٢) انظر : سيد قطب في ظلال القرآن مج ١/ ٢١٤، ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق مج : ١/ ٢١٥ .

الفصـــل الثالـــث

الصـــراع فى قصـــة آدم وإبليـــس

المبحث الأول

التعريف بآدم وإبليس

أ - التعريف بآدم عليه السلام :

١ - خلقه عليه السلام :

هو أبو البشر ، خلقه الله بيده من التراب الذى أخذ من سائر أنواع الأرض .

* وسمي آدم لكونه من أديم الأرض أى ما ظهر منها .
* وهو اسم عربي على وزن " أفعل " من الأدمة وهى السمرة أو البياض أو من الأدمة بمعنى الأسوة . أو من الأدم أو الأدمة بمعنى الموافقة والألفة وأصله الأدم ويمنع من الصرف لأنه علم على وزن الفعل .
* وقيل : إنه اسم أعجمي على وزن " فاعل " كآزر وشامخ ، ويشهد له جمعه على أوادم (١) .
* وقد ذكر الطبرى بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن الله تعالى حين أراد خلق آدم - عليه السلام - بعث جبرائيل - عليه السلام - إلى الأرض ليأتيه بالتراب من كل أنواع الأرض ، فاستعاذت الأرض بالله فرجع جبرائيل وأرسل الله ميكائيل - عليه السلام - فلما

---

(١) انظر : محمد بن ادريس : ابو حاتم الرازى تفسيره : ٢/ ٢٦ مخطوط : برقم ٩٥ ، مكتبة الرياض السعودية ، وأنوار التنزيل للبيضاوى : ١/ ٤٦ ، ومدارك التنزيل للنسفي ١/ ٣٣ ، ومحاسن التأويل للقاسمي : ٢/ ٩٨ .

استعاذت الأرض بالله قال : إني أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من تربة حمراء وسوداء وبيضاء ، ولذلك خرج أبناء آدم مختلفين[1] ثم ذكر بسنده عن ابن عباس أيضا أن المرسل هو إبليس طيه اللعنة لا جبرائيل ولا ميكائيل[2].

ويشهد لهذا المعنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - :

" إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض : منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب[3].

وسواء قبض الله هذا التراب بيده ، أو أرسل أحد ملائكته لقبضه فإن هذا التراب قد بل بالماء وعجن حتى صار طينا لازبا ، يلزم بعضه بعضه ، ثم ترك حتى أصبح حمأ مسنونا منتنا ، ثم خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام منه بيده ، وبقيت صورته أربعين عاما ، وكانت الملائكة تمر بها وتفزع منه ، وكان إبليس أشد هم فزعا من هذا المخلوق الجديد وإذا مر بها يضربها برجله فتحدث صلصلة .

ثم نفخ الله الروح في صورة آدم ، فلما وصلت إلى رأسه عطس فحمد الله ، فرد الله عليه يرحمك الله يا آدم ، فلما وصلت إلى عينيه ونظر بهما إلى ثمار الجنة ، ثم اشتهى الطعام حين بلغت جوفه

---

(١) انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك : ١/ ٤٥، ٤٦ .

(٢) انظر : المصدر السابق : ١/ ٤٦ .

(٣) اخرجه الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح ، راجع الجامع الصحيح للترمذي : ٥/ ٢٠٤ " كتاب التفسير " باب: "ومن سورة البقرة "الحديث رقم ٢٢٩٥ .

فوثب يريد القيام ولم تبلغ الروح قدميه متعجلاً[1] قال تعالى :
" وكان الانسان عجولا "[2].

ومما يشهد لما سبق ما رواه الامام أحمد عن أنس بن مالك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه فجعل إبليس يضيق به فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك "[3].

وما أورده ابن كثير ونسبه الى ابن حبان في صحيحه عن أنس أيضا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لما نفخ في آدم فبلغ الروح رأسه عطس فقال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله "[4].

٢ - نبوته ورسالته :

وآدم - عليه السلام - هو أول الأنبياء والرسل ، ويدل على هذا ما ذكره ابن كثير وعزاه في صحيحه عن أبي ذر الغفاري أنه قال : " قلت يارسول الله كم الأنبياء ؟ قال : " مائة الف وأربعة وعشرون ألفا ، قلت يارسول الله : كم الرسل منهم ؟ قال : (ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير) قلت يارسول الله : من كان أولهم ؟ قال : (آدم) . قلت يارسول الله : نبي مرسل ؟ قال : " نعم : خلقه الله بيده ، ثم

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري : ١ / ٢٠١ ، ٢٠٣ ، وتاريخ الأمم والملوك : ١ / ٤٦ ، ٤٧ ، والكامل لابن الأثير : ١ / ٢٧ ، ٢٨ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ١ / ٨٦ ، وقصص الأنبياء للثعلبي : ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة الاسراء جزء الآية : ١١ .

(٣) انظر : مسند الامام احمد : ٣ / ٢٤٠ .

(٤) انظر البداية والنهاية : ١ / ٨٦ ، وتفسير ابن كثير : ١ / ٧٥ .

نفخ فيه من روحه ثم سواه رجلا [١].

ومن أدلة ذلك أيضا ما رواه محمد بن جرير الطبري بسنده عن أبي ذر الغفاري قال : " قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ياأبا ذر أربعة (يعني من الرسل) سريانيون : آدم وشيثا ونوح وخنوخ [٢].

وما ورد في الحديث الصحيح من أن الناس يوم القيامة يأتون نوحا - عليه السلام - طالبين منه أن يشفع لهم قائلين له : " يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض "[٣]، فقد أشكل ذلك ،وتوضيحه :
أن آدم كان نبيا مرسلا على شريعة من العبادة فأخذ أولاده ذلك عنه، فعلى هذا فهو أول رسول أرسل الى بنيه ،فتكون الأولية في رسالة نوح مقيدة بأنها أول رسالة إلى أهل الأرض المرسل بها من ذرية آدم [٤].

٣ - ذريته عليه السلام :

أما عن ذرية آدم - عليه السلام - فكلهم من زوجه حواء التي خلقها الله تعالى من نفس آدم : كما قال الله تعالى : " ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء "[٥] وخلق الله منهما الرجال والنساء ونشرهم في أنحاء العالم على اختلاف أشكالهم وألوانهم وألسنتهم لحكمة يعلمها ،ثم إليه معادهم

---

(١) المرجعان السابقان .

(٢) انظر : الطبري . تاريخ الأمم والملوك : ١/ ٨٦ .
وخنوخ : هو إدريس - عليه السلام - انظر : ابن حجر. فتح الباري : ٦/ ٣٧٢

(٣) من حديث أخرجه البخاري : راجع صحيح البخاري "كتاب الأنبياء" : ٤/ ١٠٦ .

(٤) انظر: المصدر السابق لابن حجر : ٦/ ٣٧٢، ٣٧٣ .

(٥) سورة النساء من الآية : ١ .

ومحشرهم جميعا يوم القيامة[1]، وكان يولد لهما في كل بطن ذكر وأنثى، ويتزوج كل ذكر أخته من البطن الآخر، ولا يجوز له أن يتزوج من توأمته التي ولدت معه، وعدد ما ولدته حواء لآدم عشرون ومائة بطن، أو هم أربعون في عشرين بطن، أولهم قابيل وتوأمته قليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث[2].

٤ - خصائص آدم عليه السلام :

لقد اختص الله تعالى آدم - عليه السلام بخصائص منها : -

١ - خلقه بيده ونفخ فيه من روحه .

٢ - خلقه في أكمل صوره وأحسن هيئة كما قال تعالى : " والتين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " .

٣ - لقنه الحمد حين عطس وقال له : يرحمك الله .

٤ - أسكنه جنته .

٥ - علمه الأسماء كلها كما قال تعالى : " وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة . . . "[4]

٦ - أمر ملائكته بالسجود له إكراما، كما قال تعالى : " وإذ قلنا

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ١ / ٤٤٨ .

(٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك للطبري ١ / ٧٠ - ٧٣، والبداية والنهاية لابن كثير ١ / ٨٨، وقصص الأنبياء للثعلبي : ص ٤٣ .

(٣) سورة التين الآيات : ١ - ٤ .

(٤) سورة البقرة من الآية : ٣١ .

للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس كان من الجن . . . " .

٧ - جعله أبا البشر .

٨ - جعله خليفته في الأرض ،كما قال تعالى : " وإذ قال ربك للملئكه إني جاعل في الأرض خليفة . . . . "[٢] .

٩ - هو أول حامد ،وأول تائب ،وأول مجتبى ،وأول مصطفى[٣] .

١٠ - إن آدم وذريته يختلفون عن طبيعه الملائكه وهي الطاعه المطلقه ، وعن طبيعة الشيطان وهي العصيان المطلق ،فهم مزودون بالاستعداد للخير والشر ،والهدى والضلال ،والتمييز بينهما واختيار أحدهما[٤] .

ب - التعريف بابليس عليه اللعنه :

١ - اسمه :-

ذكر ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس أن إبليس كان اسمه الحارث أو عزازيل ،وإنما سمي إبليس بعد طرده من رحمه الله وإبعاده عنها ،وإبلاسه عن رحمة الله .

قال صاحب اللسان : وأبلس من رحمه الله أي يئس وندم ومنه سمي ابليس وكان أسمه عزازيل وفي التنزيل العزيز (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) وإبليس لعنه الله مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله أي أويس . وقال أبو اسحق لم يصرف لأنه أعجمي معرفة .

وقيل أن إبليس سمي بهذا الأسم[٥] لأنه لما أويس من رحمة الله أبلس يأسا .

---

(١) سوره الكهف من الآية : ٥٠

(٢) سوره البقرة من الاية : ٣٠

(٣) انظر : البداية والنهاية لابن كثير : ١ / ٧٣ ، وقصص الانبياء للثعلبي ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٤) يفهم من سورة الشمس الآيات ٧ - ١٠ ، وانظر : في ظلال القرآن لسيد قطب مج ٣/ ١٢٦١ ، ومج ٦/ ٣٩١٥ .

(٥) لسان العرب حـ ٧ ص ٣٢٨ ، الدار القومية للتأليف والترجمة ٦٣٠هـ - ٧١١ هـ والقاموس المحيط حـ ٢ ص ٢٠١ ، مطبعه دار المأمون ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨م

وعلى هذا فهو اسم عربي مشتق ، وقيل هو اسم أعجمي على وزن افعيل ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة .(١)

وإبليس هذا حي الآن منظر إلى أن تقوم الساعة بنص الكتاب العزيز(٢) وله عرش على سطح البحر جالس عليه يبعث بجنوده إلى أنحاء الأرض ليفسدوا على الناس عبادتهم وطاعتهم لله تعالى وليلقوا بينهم الفتن والشرور والآثام .(٣)

والدليل على كون عرش إبليس على سطح البحر ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " عرش إبليس في البحر ، يبعث سراياه في كل يوم يفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة ، أعظمهم فتنة للناس .(٤)

٢ - أصله :

واختلف في أصل " إبليس " ، هل هو من الملائكة أو من الجن ؟ ؟

* فروى الطبري بسنده عن ابن عباس وابن اسحق ، وقتادة والضحاك أنه من الملائكة واسمه عزازيل ، وإنما سمي هو وقبيلة بالجن لأنهم كانوا خزّان الجنة ، أو لأنهم من الملائكة .

---

(١) جامع البيان : ٨/ ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان ١/ ١٥٣ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/ ٧٧ ، وروح المعاني للألوسي: ١/ ٢٢٩ والكامل في التاريخ لابن الأثير : ١/ ٢٥ .

(٢) انظر سورة الاعراف الآية : ١٤ ، وسورة ص : الآية : ٧٩ .

(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٥٨ .

(٤) المسند : ٣/ ٣٨٤ ، ط. حيدر آباد بالهند : مسند جابر بن عبد الله .

سكان الأرض .[1]

* وروى الطبرى - أيضا - بسنده عن الحسن البصرى وقتادة وشهر ابن حوشب وسعد ابن مسعود : أنه من الجن وهو أصلهم وأبوهم كما أن آدم أبو الإنس وأصلهم[2] .

وبالتأمل في القولين نجد أن القول الأول لا يستند إلى دليل ناهض .

أما القول الثاني فهو الراجح لصحة أدلته التي منها :

أ - قوله تعالى : " وإذا قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه "[3].

ب - إن الله تعالى أخبر أنه خلق إبليس اللعين من نار السموم ومن مارج من نار . قال الله تعالى : " والجان خلقناه من قبل من نار السموم "[4].

وقال تعالى : " وخلق الجان من مارج من نار "[5].

---

(١) جامع البيان : ١ / ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، و ١٥ / ٢٥٩ ، ٢٦١ ، وانظر : تفسير الماوردى : ٢ / ١٦٧ ، ١٦٨ ، وتفسير ابى حاتم الرازى : ٢ / ٢٦ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ١ / ١٥٣ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى : ١ / ٤٨ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٢٢٣ - ٢٢٩ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى : ١ / ٤١ ، ٤٢ ، والكامل لابن الأثير : ١ / ٢٤ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ١ / ٥٥ .

(٢) جامع البيان للطبرى : ١ / ٢٢٦ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبرى : ١ / ٤٤ ، والمصدر السابق لابن كثير : ١ / ٥٥ ، ٥٦ .

(٣) سورة الكهف من الآية : ٥٠ (٤) سورة الحجر الآية : ٢٧

(٥) سورة الرحمن الآية : ١٥ .

أما الملائكة فهم مخلوقون من نور كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار . وخلق آدم مما وصف لكم "[1].

جـ - لإبليس ذرية ،ونسل والملائكة لا تتوالد ولا تتناسل[2].

د - أما من الاستثناء في قوله تعالى : "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن "[3]. فهو متصل عند من قال انه من الملائكة ومنفصل عند من قال إنه من الجن[4].

والراجح أن الاستثناء منفصل لأن إبليس من الجن وليس من الملائكة فالاستثناء هنا لا يدل على أن إبليس من جنس الملائكة لأن وجوده معهم يجوز هذا الإستثناء لقول القائل : جاء بنو زيد إلا طيء وليس منهم بل من عشيرتهم[5].

هـ - إن القائلين بأنه من الملائكة قولهم استنتاجي ،فهم يقولون بالدلالة أما القائلون بأنه من الجن فدليلهم صريح اللفظ في قوله تعالى :

" إلا إبليس كان من الجن " وصريح اللفظ مقدم على الدليل الاستنتاجي لذا فمن غير الجائز أن ينسب إبليس إلى غير ما نسبه الله إليه .

---

(١) صحيح مسلم : ٤/ ٢٢٩٤ " كتاب الزهد " .

(٢) انظر : جامع البيان للطبري : ١٠/ ٢٢٦ ،وتفسير الماوردي ٢/ ١٦٧ ، وتفسير القرآن لابن كثير ١/ ٧٧ ،وفي ظلال القرآن لسيد قطب: ١/ ٥٨.

(٣) سورة الكهف من الآية : ٥٠ .

(٤) انظر : النهل لعلوم التنزيل لجزي الكلبي : محمد بن أحمد : ١/ ٣٨ ، ط : المكتبة التجارية الكبرى بمصر. الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ .

(٥) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب : ١/ ٥٨ .

المبحث الثانـــي

نشـأة الصراع وأسبابـه

أ - مجمل قصـة الصـراع :

لقد خلق الله آدم - عليه السلام - وجعله خليفته في أرضنـه ومنحه المعرفة التي تعينه على أداء هذه الخلافة ، وسلم له زمـام الأرض ، وهيأ له تسخير ما في الأرض من إمكانات لتحقيق المشيئـة الإلهية ، وقد كرم الله هذا الإنسان بهذه المنزلة العظيمة ، وزاده في التكريم والتفضيل حين أمر الله ملائكته بالسجود له ، وسجد الملائكـة له امتثالا لأمر الله إلا إبليس اللعين امتنع عن السجود لآدم حسـدا وتكبرا وعداوة لهذا المخلوق .

ومن هنا بدأت معركة الصراع بين كفتي الخير (آدم) والشـر (إبليس) وبدت خليقة الشر في " إبليس " بعصيانه لله وإبائه عن السجود ثم محاولته لإخراج آدم وزوجه من الجنة ، وكان هـذا بداية لانطلاق المعركة في المجال المقدر لها بين الإنسان والشيطان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .(١)

ب - آيات الموضـوع :

قال الله تعالى مخبرا عن ذلك : " وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظلمين بدلا ما أشهدتهم

---

(١) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب : مج ١/٥٥ - ٥٩ .

خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا "[1].

جـ - مجمل معاني الآيات الكريمة :

تتناول هذه الآيات الكريمة نشأة الصراع وأسبابه إذ أخبر الله - جل ذكره فيها : أنه حين خلق آدم - عليه السلام - أمر الملائكة بالسجود له وذلك تكريما وتشريفا لآدم على سائر الخلق ، فامتثل الملائكة كلهم أجمعون لذلك الأمر طاعة لله تعالى إلا إبليس ، فإنه لم يمتثل حيث إنه أصل الجن الذين يغلب عليهم التمرد والعصيان والفسوق والعداوة التي كان يضمرها لآدم وذريته حسدا وتكبرا ، وقد بدأت هذه العداوة منذ كان آدم جسدا بلا روح ، فقد روى الطبري بسند في هذا المعنى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن إبليس كان يمر على آدم حين كان جسدا بلا روح فيركله برجله ، ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ، ويقول " لست شيئا ، ولشيء ما خلقت ، ولئن سلطت عليك لأهلكنك ، ولئن سلطت عليّ لأعصينك "[2].

وعلى أية حال فإن هذا الخبر الذي رواه " الطبري " - إن صح - يدل على العداوة المتأصلة في نفس " إبليس " على آدم عليه السلام حين خلقه الله وكرمه وفضله .

ولما أراد الله تعالى أن يكشف ما في نفس إبليس من العداوة التي كان يضمرها لآدم - عليه السلام - أمره بالسجود مع الملائكة

---

(١) سورة الكهف : الآيتان : ٥٠ / ٥١ .

(٢) جامع البيان : ١/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، وانظر : الكامل لابن الأثير : مج ١/ ٢٨ وقصص الأنبياء للثعلبي : ص ٢٧ .

لآدم - عليه السلام - فأبى الإمتثال لأمر الله ، فكان ذلك إيذانا بإظهار تلك العداوة التي كان يخفيها .

وقد أخبر الله تعالى أن عداوة إبليس وذريته لآدم وذريته قائمة منذ أن خلق الله آدم ، لم تهدأ ولم تفتر طرفة عين ، حتى قيام الساعة لحكمة التقتضيها مشيئة الخالق ، ثم حذر الله - سبحانه وتعالى - بني آدم من أن يتخذوا إبليس وذريته أولياء من دونه والحال أنه ما يفتأ طرفة عين وهو يحاول إغواءهم ، ويشغلهم بشتى الوسائل والطرق عن طاعة الله وتنفيذ أوامره ، وقد خسر من انقاد لإبليس وانصرف عن طاعة الله بعد علمه أن إبليس وذريته هم أشد أعدائه فكيف يتخذهم أولياء من دون الله ؟ ، بئس هم للظالمين بدلا عن طاعة الله .

فإن الله هو الخالق وحده ، وهو المستحق للطاعة والعبادة دون غيره لم يستعن بأحد في خلق السموات والأرض ولا خلق ابليس وذريته ولم يشهدهم على ذلك ، ولم يتخذ الظالمين عونا له سبحانه تعالى عن ذلك (١) .

إن من حق المسلم أن يسأل نفسه هذا السؤال : لماذا نشأ الصراع بين آدم وإبليس ؟ وهل هو بداية للصراع الأزلي بين الحق والباطل ، والإيمان والكفر ليميز الله به الخبيث من الطيب والصالح

---

(١) جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، وتفسير الماوردي : ٢ / ١٦٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٠ / ٤٢٠ ، التفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٣٦ ، ١٣٧ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣ / ٨٩ ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب : ٤ / ٢٢٧٤ ، ٢٢٧٥ .

من الطالح ، والحسن من السيئ ؟

نعم فقد نشأ هذا الصراع بين آدم وذريته من جهة وبين إبليس وذريته من جهة أخرى ليكون بداية الصراع الأزلي وليميز الله الخبيث من الطيب ،لأن أحداث هذه القصة تذكير بطبيعة هذه المعركة التي هي بين عهد الله وبين غواية الشيطان ،والإنسان نفسه هو الخاسر أو المنتصر في هذا الصراع وفي ذلك تنبيه له بالحذر واليقظة .

وحين يتصور الإنسان أن عدوه يتربص به فإنه يكون على أهبة الاستعداد حتى لا يباغته على حين غفلة منه ،فيكون في حالة استعداد دائم لهذه المعركة التي لا تهدأ ولا تفتر ولا تضع أوزارها في الأرض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها (١).

وبعد أن أظهر " إبليس " العداوة " لآدم " - عليه السلام - وزوجه " حواء " أخذ يوسوس لهما مستغلا نقط الضعف الفطرية ليظهر لهما عوراتهما التي كانت مخفية عنهما لا يريانها ، محاولا ان يتلمس رغبات الإنسان الكامنة في نفسه كحب الخلود والملك لأنهما أقوى شهوات الإنسان حيث علم اللعين أن الله قد نهاهما عن الأكل من شجرة معينة من أشجار الجنة ،وأن النهي ثقيل على النفوس البشرية ،فاستمان على إغوائهما بأن أقسم لهما أنه لهما ناصح أمين ،فنسي آدم - عليه السلام - وزوجه أن إبليس عدوهما اللدود الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يدلهما على خير ،وغاب عن

---

(١) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب : مج ٥/ ٢٩٢٦ .

بالهما . أن الله تعالى أمرهما أن لا يقربا تلك الشجرة نسيا ذلك كله واستجابا لاغراء "ابليس" فوقعا في شرك خدعته وعصيا أمر الله تعالى ،فهبطا الى مرتبة دنيا أرادها لهما الشيطان فعند ذلك شعرا بالندم والخذلان وبرزت لهما عوراتهما ماثلة بعد أن كانت خافية(١) ولحكمة إلهية تحقق للشيطان ما أراد ،وبعد أن تسبب ابليس في إخراج آدم وحواء من الجنة وإهباطهما إلى الأرض ،أهبطه الله أيضا .

وفي الأرض كانت البداية الحقيقية لقصة الصراع بين الإنسان والشيطان ،والخير والشر ،والحق والباطل ،والإيمان والكفر(٢) تلك سنة الله في خلقه ولا تزال قائمة طى أشدها حتى قيام الساعة .

د - مواطن العبرة في هذه القصة :

في قصة آدم وإبليس عبر وعظات كثيرة لأولي البصائر النيرة نذكر منها ما يلي :

١ - وظيفة الإنسان في الأرض كما أراد الله - عز وجل - أن يكون خليفة الله في أرضه لتعميرها والاستفادة من خيراتها (٣).

---

(١) مفهوم من سورة الأعراف الآيات ٢٠ - ٢١ .
وسورة طه : الآيتان : ١٢٠ - ١٢١
وانظر: في ظلال القرآن لسيد قطب : مج ٣/ ١٢٦٨ .

(٢) وردت قصة آدم وإبليس في عدد من سور القرآن الكريم بالاضافة الى سورة الكهف، فقد ذكرة في سورة البقرة: الآيات ٣٠ - ٣٨ ،وسورة الأعراف: ١١ - ٢٤ ،وسورة الحجر: ٢٦ - ٣٨ ،وسورة الإسراء: ٦١ - ٦٥ ،وسورة طه : ١١٥ - ١٢٣ ،وسورة ص : ٧١ - ٨٥ .

(٣) مفهوم من سورة البقره : آية ٣٠ .

٢ - إظهار مكانة العلم وأنه وحده الأساس الذى استحق به الإنسان أن يكون خليفة الله في الأرض[١].

٣ - إظهار مدى إكرام الله تعالى للإنسان على سائر المخلوقات بما هيأ الله له من إدراك وإرادة ليستحق حمل الأمانة ، حيث جعله سيد هذه الأرض ومن أجله خلق الله كل شيء وسخره لخدمته[٢].

٤ - سنة الله لاختيار إرادة الإنسان في مدى ارتكابه للمحظورات .

٥ - التحذير من نزعات الشيطان والترغيب في طاعة الله والترهيب من عصيانه[٣].

٦ - هذه القصة فوق ذلك كله عبرة لبني آدم الذين يمرون بتلك التجربة والذين يعرفون قصة أبيهم آدم - عليه السلام - ، فيتوقون العودة إلى الجنة التى أخرج منها أباهم من قبل حيث وقع في المعصية بسبب وسوسة الشيطان وتزيينه له قبل ذلك .

*** ***

---

(١) مفهوم من سوره البقره آيه : ٣٧

(٢) ،، السورة نفسها : ٣٥ ، وسورة الأعراف الآية : ١٩ .

(٣) ،، سورة طه : ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .

المبحث الثالث

نتائج هذا الصراع

وكان من نتائج هذا الصراع بين آدم - عليه السلام - وابليس عليه اللعنة ما يلي : -

١ - التوبة سبيل المؤمنين عند وقوعهم في معصية الله تعالى[١] .

٢ - تهاون الإنسان سبب في وقوعه في معصية الله تعالى[٢] .

٣ - إن الله خلق آدم ليكون خليفة في الأرض .

٤ - إن الله لم يترك آدم وذريته وحدهم للشيطان المتربص بهم ، بل هداهم إلى سبيل الهدى ، وزودهم بالدستور الذي ينظم حياتهم على الأرض ليسيروا على معرفة وبصيرة من أمرهم تمكنهم من إجتياز العقبات التي تعترض طريقهم ولتيسر لهم مهمتهم ، وتكشف لهم عن طاقات أنفسهم الحقيقية[٤] .

٥ - من اتبع هدى الله من آدم وذريته فإنه لا يضل ولا يشقى وجزاؤه الجنة[٥] .

---

(١) مفهوم من سورة البقرة آية : ٣٧ .

(٢) " " سورة النساء آية : ٢٦ .

(٤) انظر : محمد قطب . منهج الفن الاسلامي : ص ١٦٨ ط : دار الشروق بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ .

(٥) مفهوم من سورة البقرة آية : ٣٨ .

٦ - هذه القصة درس صالح للاقتداء به ، وطريق للموعظة التي توجه الناس إلى الخير والكرامة والطاعة[١].

٧ - لقد خاض آدم - عليه السلام - بداية التجربة بأكله من الشجرة فكان هذا بداية تذوقه مرارة الندامة ، وليعرف عدوه فيحذره ، فيلتجئ إلى خالقه - عز وجل - بالتوبة والطاعة .

٨ - إن اتخاذ بني آدم لإبليس وذريته أولياء يتمثل في تلبية دواعي المعصية والشهوة والأعراض عن داعي طاعة الله تعالى .

٩ - إن آدم نسي ما عهد الله إليه وضعف أمام وسوسة الشيطان ، وكان هذا ابتلاء من ربه له ودرسا لذريته يتخذون منه العظة والعبرة ،

١٠ - أباح الله لآدم أن يأكل من جميع الأشجار إلا شجرة واحدة تمثل المحظور الذي لا بد منه ، لتربية الارادة وتأكيد الشخصية وبنائها والتحرر من رغبات النفس وملذاتها ومتطلباتها ولتكون محصنة فلا تسيطر عليها الرغبات والشهوات ولا تقهرها .

وهذا هو المعيار الحقيقي الذي يعرف على أساسه الرقي البشري فكلما كانت النفس تستطيع ضبط رغباتها وتتحكم فيها ، وتكبح جماحها كانت أكثر سموا وارتقاء ، وكلما سيطرت الرغبات على النفس وانقادت لها انحطت الى مستوى البهيمية ، ومن هنا كانت عناية الله التي توجه هذا المخلوق الإنساني وتعده ليكون خليفة في الأرض باختيار إرادته ، وتكوين قوة المقاومة فيه ليكون على أهبة الاستعداد لما ينتظره من عدوه إبليس الذي يزين له الشهوات ليوقعه في المعاصي[٢].

---

(١) انظر المصدر السابق : محمد قطب ص ١٦٩ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب : ٤/ ٢٣٥٣ .

١١ - بداية معركة الصراع : حين أمر إبليس مع الملائكة بالسجود لآدم - عليه السلام - فأبى واستكبر فانكشف ميدان الصراع بين الحق والباطل الذى يمثل آدم فيه جانب الخير والحق وإبليس جانب الباطل والشر .

وينتصر الحق بمقدار ما يتمسك الإنسان بالإيمان ويفي بعهده مع ربه ، وينهض الباطل بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهواته وينسى عهد ربه[(١)] .

١٢ - إهباط الله تعالى الإنسان والشيطان إلى الأرض كان إيذانا لانطلاق الصراع بين الحق والباطل في مجاله الذى قدره الله له ، تلك سنة الله تعالى في خلقه في هذا الصراع الأزلي[(٢)] .

١٣ - إن جزاء إبليس وجنوده الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، والخلود في النار .

١٤ - إن إبليس حين حسد آدم - عليه السلام - وازدرى أصله حينما خلقه الله من الطين وأبى السجود احتقارا له لم يقف عند هذا الحد ، بل هدد وتوعد بأنه سيغويه وذريته حتى يوقعهم في المعاصي ويبعدهم عن طاعة الله تعالى ، فطلب من الله أن يمهله لذلك ، فأذن الله له بأن يذهب ويحاول إغواء بني آدم بشتي الوسائل والطرق إلى اليوم المعلوم[(٣)] .

١٥ - إن إبليس مهما حاول إغواء عباد الله المخلصين بوسائله

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب مج ١ / ٥٨ .

(٢) المرجع نفسه : مج ١ / ٥٨ .

(٣) المرجع نفسه : مج ٤ / ٢٢٣٨ ، ٢٢٣٩ .

المختلفة فإنه ليس له سلطان عليهم ،لأن الله تعالى قد حفظهم منه ووقاهم شره وشر جنوده .

وقد اعترف "إبليس" نفسه وأقر بأنه ليس له سلطان على عباد الله المخلصين (١).

١٦ - ان الله يعصم المؤمنين من الشيطان بالاكثار من فعل الطاعات والاخلاص لله تعالى في العبودية (٢).

١٧ - إن إبليس كان يعلم أن الله تعالى هو الخالق وهو المدبر الذى لا يحدث شيء في هذا الكون إلا بتدبيره وإذنه ،غير أنه عصى الأمر حينما أمر بالسجود لآدم - عليه السلام - فكان جزاؤه أن أهبطه الله الى الأرض فلم ينفعه علمه واعتقاده ،ويلحق به كل من سار على شاكلته ولم ينفذ أمر الله تعالى ،فالذى يرد أمرا قضاه الله في قضية ويجعل لنفسه نظرا في قبوله أو رفضه يكون من جنود إبليس اللعين (٣).

١٨ - المعركة مع الشيطان هي المعركة الرئيسية . انها المعركة مع الهوى باتباع الهدى ،والمعركة مع الشهوات باستعلاء الإرادة والمعركة مع الشر والفساد في الأرض الذى يقود الشيطان أولياءه اليه باتباع شريعة الله المصلحة للأرض - والمعركة في الضمير والمعركة في الحياة الواقعية متصلتان لا منفصلتان فالشيطان وراءهما جميعا (٤).

---

(١) مفهوم من سورة الحجر : ٤٢ ،والإسراء : ٦٥ ،وص : ٨٢ - ٨٣ .

(٢) مفهوم من سورة الحجر : ٤٢ ،والإسراء : ٦٥ .

(٣) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب : مج ٣/ ١٢٦٦ .

(٤) المصدر نفسه : مج ٣/ ١٢٧٥ .

وبعد فهذه ليست قصة إنما هو عرض للتعريف بدور الإنسان وحقيقته ونشأته ، وما يحيط به من عوالم ، والمنهج الذى اختاره الله ورضيه له في هذه الحياة .

والابتلاء الذى قدره الله له والمصير الذى ينتظره وكلها حقائق تشارك في بناء مقومات التصور الإسلامى[1] .

فمن حكمة الله في خلقه أن خلق الخير والشر ، فالخير يكمن في من آمن بالله والشر فيمن كفر بالله ، والصراع مستمر في هذه الحياة بين أنصارهما ليمحص الله به ويميز الخبيث من الطيب ، فالمسلم في هذه الحياة يخوض المعركة سواء مع الشيطان أو مع أنصاره ، وهكذا دواليك إلى أن تقوم الساعة .

*** *** ***

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب : ٣/ ١٢٧٠ .

الفصل الرابع

الحوار في قصة موسى والخضر عليهما السلام

المبحث الأول

التعريف بالخضر عليه السلام

١ - اسمه وكنيته :

اختلف في اسمه على أقوال منها :

١ - خضرون أو الخضر .

٢ - عامر

٣ - بليا بن ملكان

٤ - أرميا بن خلقيا

٥ - اليسع

٦ - الياس

٧ - المعمر[1]

والصحيح أن اسمه الخضر ،لما رواه " البخاري " عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " انما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء[2]،وما سوى هذا فلا دليل عليه حسب علمي .

---

(١) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي : ٢ / ١٩ ،والبحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٤٧ ،وزاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ١٦٧ ،وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣ / ٩٩ ،وجامع البيان للطبري : ١٥ / ١٨٥ ، ط : دار الفكر ببيروت، وفتح القدير للشوكاني ٣ / ٢٩٩ ،وروح المعاني للألوسي ١٥ / ١٨٥ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري : ١ / ١٨٨ ،والكامل لابن الأثير: ١ / ١٦٠ ، الاصابة في تمييز الصحابة :لابن حجر: ٢ / ١١٤ ، ١١٥ ط : دار السعادة بمصر ١٣٢٣ هـ،والمنهاج للنووي ١٥ / ١٣٦ .

(٢) صحيح البخاري: ٤ / ١٢٩ .

ويكني بأبي العباس عند جمهور العلماء [1].

ب - نسبـــــه :

واختلف في نسبه على أقوال منها :

١ - هو ابن آدم لصلبـــه .

٢ - ابن قابيل بن آدم .

٣ - ابن ملكان بن فالخ بن شالخ بن عابر بن ارمخشد بن سام بـــن نوح عليه السلام .

٤ - ابن عائيل بن العيص بن إسحاق عليه السلام .

٥ - إنه من سبط هارون بن عمران عليه الســـلام .

٦ - ابن مالك بن نصر بن الأزر .

٧ - ابن فرعون أو ابن بنت فرعون .

٨ - إنـه فارســيّ .

٩ - كان أبوه فارسيا ، وأمه روميه ، أو العكس .

١٠ - ابن أحد المؤمنين بإبراهيم الخليل عليه السلام [2].

وهذه الأقوال لا تستند الى دليل يرجح أحدها على الآخر حسب علمي فمن الصعب ترجيح قول على قول بلا مسوغ لذلك .

---

(١) انظر: المنهاج للنووي : ١٥ / ١٣٦ ، وفتح الباري لابن حجر: ٦ / ٤٤٣ ، والاصابة في تمييز الصحابة : ٢ / ١١٥ ، والقول الدال على حياة الخضـــــر والابدال : لمصطفى نوح ص ٦ مخطوط بالمركزية بجامعة الملك سعود .

(٢) انظر : البحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٤٧ ، وتفسير ابن كثير: ٣ / ٩٩ ، وتفسير أبي السعود : ٣ / ٥٣٨ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٣١٨ ، ولباب التأويل للبكري ص٤٣٨ ، والمنهاج للنووي : ١٥ / ١٣٦ ، وفتح الباري لابن حجر : ٦ / ٤٣٣ ، والاصابة في تمييز الصحابة : ٢ / ١١٥ ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري : ١ / ١٨٨ ، والكامل لابن الاثير : ١ / ١٦ ، القول الدال

جـ - حياتـــه ومـوتـــه :

اختلف العلماء في حياة الخضر وموته على قولين :

أحدهما : ما ذهب إليه الصوفية الذين قالوا بوجوده الآن ، واستدلوا بأدلة منهـــا : -

١ - ما أخرجه ابن عدى من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع وهـو في المسجد كلاما فقال : ياأنس اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لي ، فذهب إليه فقال : قل له : إن الله فضلك طـى الأنبياء كما فضل به رمضان على الشهور ، قال : فذهبـوا ينظرون فإذا هو الخضـر ".(١)

ونقل ابن حجر عن أبي الحسن بن المبارك أن هـذا الحديث واه وضعيف لوجود الوضاح في سنده ، وأنه منكـر الإسناد مستقيم المتن ، وأنه لم تحدث مراسلة بين النـبي - صلى الله عليه وسلم - وبين الخضر ولا لقاء ، كما نقل عـن ابن الجوزى أنه استبعد إمكان التقاء الخضر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه لو حدث ذلك لجاء إليه بنفسه وكلمه(٢) .

٢ - ما رواه الدار قطني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن الخضر قد نسئ له في أجله حتى يكذب الدجال "(٣) .

-- حياة الخضر والابدال لمصطفى نوح ص ٦ .

(١) ذكره ابن حجر وعزاه لابن عدى في الكامل : انظر فتح الباري : ٦ / ٤٣٤ ، ٤٣٥

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة : ٢ / ١٢٢ .

(٣) ذكره ابن حجر في الفتح وعزاه إلى الدارقطني في الإفراد . انظر: فتح الباري : ٦ / ٤٣٤ .

٣ - ما رواه الطبرى بسنده عن عبد الله بن شوذب أن الياس والخضر يلتقيان كل عام بالموسم.[١]

٤ - ما ذكره أبو اسحاق[٢] أن الرجل الذى سيقتله الدجال على أبواب المدينة هو الخضر - عليه السلام -[٣].

وقال النووى تعليقا على قوله : "وهذا تصريح منه بحياة الخضر - عليه السلام - وهو الصحيح[٤]" وان صح ما قاله "أبو اسحاق" فليس ذلك دليلا على كون الخضر حيا والاحتمال قائم على أن ذلك الرجل المقتول على أبواب المدينة على يد الدجال هو غير الخضر - عليه السلام - .

٥ - ما ذكره ابن الصلاح في فتاويه "وهو من الأحياء عند جماهير الخاصة من العلماء الصالحين والعامة معهم في ذلك ، وانما شذ بإنكار ذلك بعض أهل الحديث"[٥].

٦ - وما ذكره النووى حيث قال : "وجمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا ، وذلك متفق عليه عند الصوفية ، وأهل الصلاح والمعرفة ، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه ، وسؤاله وجوابه ، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن يحصر وأشهر من أن يستر"[٦].

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك : ١/ ١٨٨ .

(٢) أبواسحاق : ابراهيم بن سفيان أحد رواة صحيح مسلم عن مسلم .
انظر: المنهاج للنووى ١٨/ ٧٢ .

(٣) انظر: المصدر السابق للنووى : المكان نفسه .

(٤) المصدر السابق المكان نفسه .

(٥) فتاوى ابن الصلاح : ص ٢٤ ، مجموع الأحاديث النجدية . ط : ادارة الطباعة المنيرية بالقاهرة .

(٦) المنهاج : ١٥/ ١٣٦ ، ١٣٧ .

إلى غير ذلك من الأدلة والأقوال التي استدلوا بها على حياة الخضر ووجوده الآن . أما دليلهم الأول فقد كفانا " ابن حجر " الرد عليه حيث نقل عن ابي الحسن بن المبارك أنه حديث واه ضعيف .

أما الدليل الثاني والثالث فهما مردودان بالأحاديث الصحيحة التي تنفي حياة الخضر - عليه السلام - .

وأما الدليل الرابع وهو قول أبي اسحاق : إن الرجل الذي سيقتله الدجال على باب المدينة المنورة هو الخضر فكما قلت: إن صح فإنه لا دليل فيه على حياة الخضر لوجود الاحتمال فمتى وجد الاحتمال بطل الاستدلال ،والاحتمال موجود اذ من الجائز أن يكون ذلك الرجل غير الخضر .

أما قول ابن الصلاح والنووي فلا دليل يسنده .

الثاني : ما ذهب إليه الباقون من أنه ميت ،واستدلوا بأدلة منها :-

١ - قوله تعالى : " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإين مت فهم الخالدون "[1].

ووجه الدلالة في الآية الكريمة أن الخضر من البشر ،وما جعل الله لأحد من البشر خلدا قبل محمد صلى الله عليه وسلم .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - " أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منها لا يبقي ممن هو على ظهر الأرض أحد "[2].

---

(١) سورة الانبياء الآية : ٣٤ .

(٢) أخرجه البخاري . انظر : صحيح البخاري : ١/ ٣٧ " كتاب العلم " .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - : " ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ "[1].

ووجه الدلالة في الحديثين أن الخضر لو كان من الأحياء يوم قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - ذلك فإنه لم يبق بعد مائة سنة إلا وقد مات .

٣ - وقول علي وابن عباس رضي الله عنهما : " ما بعث الله نبيا الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو حي ليؤمن به ولينصرنه "[2].

ووجه الدلالة في هذا القول أن الخضر لو كان حيا لأتى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فآمن به ونصره .

٤ - وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر " اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض "[3].

ووجه الدلالة في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه لو هلك هؤلاء المؤمنون لم يبق أحد يعبد الله على الحق في الأرض غيرهم فلو كان الخضر حيا لما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذلك وقد علق أيضا " ابن حجر " على قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا فقال : لو كان الخضر حيا موجودا يومئذ لم يصح هذا النص "[4].

---

(١) أخرجه مسلم . انظر: صحيح مسلم ٤/١٩٦٦ ، كتاب فضائل الصحابة ".

(٢) اخرجه الطبري بسنده ، انظر : جامع البيان ٣/٣٢٢ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام : ٢/٣٦٧ .

(٤) فتح الباري : ٦/٤٣٤ .

٥ - قوله - صلى الله عليه وسلم - " والذى نفسي بيده لو أن موسي كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني "[1].

ووجه الدلالة في هذا الحديث الشريف أن الخضر - عليه السلام - لو كان موجودا لكان من باب أولى أن يأتي إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيتبعه .

ومن القائلين بموت الخضر - عليه السلام - الإمام البخارى وابراهيم الحربي وابن الجوزى ، والحسن بن المبارك ، وأبوالفضل ابن ناصر ، وأبو بكر بن العربي والنقاش ، وشيخ الإسلام ابن تيمية وشرف الدين محمد بن أبي الفضل[2].

وبعد التأمل والنظر في أدلة الفريقين ، يتضح أن أدلة الفريق الأول على كثرتها لا تنهض لإثبات حياة الخضر عليه السلام لضعفها ولمعارضة الأحاديث الصحيحة لها .

أما ما استدلوا به من رؤية بعض الصالحين له واجتماعهم به في بعض المواطن الشريفة ، وغيرها فهو قول غير مسلم به ويحتاج الى ما يثبته من الأدلة والنصوص الشرعية .

كما يتضح أن أدلة القائلين بموت الخضر - عليه السلام - أدلة صحيحة صريحة فى ذلك .

وقد ذكر الألوسي بعد أن استعرض أدلة الفريقين : أن العقل الراجح مع القائلين بموت الخضر - عليه السلام - ولا داعي

---

(١) أخرجه الإمام أحمد . مسند أحمد : ٣/ ٣٧٨ .

(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : ٢/ ١٢١ ، ١٢٢ .

للعدول عما تدل عليه تلك الأخبار الصحيحة إلى الحكايات والقصص التي تحتمل الصدق والكذب ، بصرف النظر عن جلالة قدر قائليها ، لأن المعول عليه ما نقل بالدليل الثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (١) .

وبعد فإن قول القائلين بموت الخضر - عليه السلام - هو الأرجح . والله أعلم لثبوت الدليل الراجح حسب علمي .

د - الخضر - عليه السلام - بين النبوة والولاية :

اختلف العلماء في الخضر - عليه السلام - هل هو رسول ، أو نبي أو ملك أو عبد صالح ؟

فذهب إلى القول بأنه رسول : إسماعيل بن أبي زياد ، ومحمد بن اسحاق وأبو الحسن الرماني (٢) .

وذهب إلى القول بنبوته كثير من أهل العلم منهم : ابن عباس ، ووهب بن منبه ، والطبري ، والماوردي ، وأبو حيان وابن الجوزي ، والقرطبي ، والرازي ، والبيضاوي ، وابن كثير ، والشوكاني ، وأبو السعود والبكري ، والألوسي - كل في تفسيره - ، والنووي ، وابن حجر ، وابن الصلاح ، والثعلبي (٣) .

---

(١) انظر : روح المعاني للألوسي ١٥ / ٣٢٠ .

(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : ٢ / ١١٦ ، وفتاوى ابن الصلاح ص ٢٤ ، وروح المعاني للألوسي ١٥ / ٣٢٠ .

(٣) انظر : تنوير المقياس بتفسير بن عباس: ص ٢٤٩ ، وتفسير الماوردي : ٣ / ٣٩١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ١٦ ، وزاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ١٦٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٤٧ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٤٨ ،

وحكي الماوردى أنه كان ملكا من الملائكة يتصور في صورة الآدميين[١].

وذهب بعض الصوفية إلى أنه ولي من أولياء الله تعالى[٢].

والصحيح ما ذهب إليه الجمهور من أنه نبي ، وقد ذكر الفخر الرازى أدلتهم[٣]، منها : -

١ - قوله تعالى : " فوجدا عبدا من عبادنا ءاتيناه رحمة من عندنا[٤] ".

ووجه الدلالة أن الرحمة المذكورة في هذه الآية الكريمة ، هي النبوة بدليل قوله تعالى : " وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين "[٥].

ولقوله تعالى : " وقالوا لولا نزل هذا القرءان على رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجت[٦].

= = وأنوار التنزيل للبيضاوى : ٢ / ١٩ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ٩٩ ، وتفسير أبي السعود : ٣ / ٣٣٨ ، ومجمع البيان للطبرى : ١٥ / ١٨٥ ، ولباب التأويل للبكرى : ص ٤٤١ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٩٩ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٣٢٠ ، والمنهاج للنووى : ١٥ / ١٣٦ ، وفتح البارى لابن حجر : ٦ / ٤٣٤ ، والإصابة في تمييز الصحابة : ٢ / ١١٥ ، ١١٦ ، وفتاوى ابن الصلاح : ص ٢٤ ، وقصص الأنبياء للثعلبى : ص ٢٤٦ .

(١) تفسير الماوردى : ٢ / ١٧١ ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١٠ / ١٥ .

(٢) انظر : الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر : ٢ / ١١٦ ، والمصدر السابق للقرطبى المكان نفسه ، القول الدال على حياة الخضر . لمصطفى نوح ص ٧ .

(٣) التفسير الكبير : ٢١ / ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٤) سورة الكهف : من الآية : ٦٥ .

(٥) سورة القصص : الآية : ٨٦ .

(٦) سورة الزخرف : الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

٢ - وقوله تعالى : " وعلمناه من لدنا علما "[١].

ووجه الدلالة في الآية الكريمة ،أن الخضر - عليه السلام - علمه الله تعالى بلا واسطة وكل من علمه الله بلا واسطة ،فهو بمنى حيث لا يتلقى الوحي من الله إلا الأنبياء " .[٢]

٣ - وقوله تعالى : " وما فعلته عن أمري "[٣].

ووجه الدلالة في الآية الكريمة ،أن الخضر - عليه السلام - فعل ما فعل بالوحي من الله ولا خلاف في أن الخضر - عليه السلام - هو صاحب موسى - عليه السلام - في هذه القصة ومن أدلة ذلك ؛ ما ورد في الصحيحين عن سعيد بن جبير قال :

" قلت لابن عباس - رضي الله عنهما - ؛ إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثني أبيّ بن كعب أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ؛ " إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال ؛ أنا ! فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه ،فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك .... وجعا يلتمسان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسجي بثوبه فسلم عليه موسى فقال ؛ الخضر :وأني بأرضك السلام ،قال : أنا موسى قال ؛ موسى نبي إسرائيل ؟؟ ... " .[٤]

---

(١) سورة الكهف من الآية : ٦٥ .

(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي : ٢١ / ١٤٨

(٣) سورة الكهف من الآية : ٨٢ .

(٤) من حديث متفق عليه .راجع صحيح البخاري : ٥ / ٢٣٠ ، ٢٣١ ،وصحيح مسلم : ٤ / ١٨٤٧ .

المبحث الثانـــي

التعريف بموسى ـ عليه السلام ـ وفتاه

١ ـ التعريف بموسى عليه السلام :

قال الله تعالى : " وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلـغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا " .(١)

فموسى المذكور في الآية الكريمة ، هو موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ رسول بني إسرائيل ، وأحد أولي العزم من الرسل عليهم السلام ، هـذا قول جمهور العلماء ومن أدلة ذلك الحديث الصحيح المتقدم الذكر(٢) .

أما فتى موسى فقد اختلف فيه : فقيل إنه يوشع بن نون ، أو أخوه ، أو هو عبد لموسى ـ عليه السلام ، والعرب تسمى العبد فتى (٣) .

والصحيح أنه " يوشع بن نون " بدليل قول النبي ـ صلى الله عليـه وسلم ـ في الحديث الصحيح : " . . . ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نـون حتى أتيا الصخرة . . . . . (٤) .

وكان يوشع بن نون مرافقا لموسى لخدمته وليتعلم منـه(٥) .

---

(١) سورة الكهف الآية : ٦٠ .

(٢) انظر صحيح البخاري : ٥ / ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وصحيح مسلم : ٤ / ١٨٤٧ .

(٣) انظر : التفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٤٤ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٨٢/٢ ، والكشاف للزمخشري : ٢ / ٤٩٠ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٣١١ .

(٤) صحيح البخاري : ٥ / ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وصحيح مسلم : ٤ / ١٨٤٧ .

(٥) انظر : زاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ١٦٤ ، والمعد والسابق للزمخشري : ٢ / ٤٩٠ .

ب - سبب خروج - موسى عليه السلام - للقاء الخضر - عليه السلام - :

أما سبب خروج موسى للقاء الخضر عليهما السلام فقد أنبأ عنه الحديث الذى رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبى - صلى الله عليه وسلم - : " أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ ، فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فقال له بلى لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك ، قال رب ومن لي به . . . . " (١).

فاذا كان موسى - عليه السلام - مع جلالة قدره ووفرة علمه عندما ظن أنه لا أحد أعلم منه بعد الله عاتبه ربه ، وأرشده إلى أن هناك من هو أعلم منه ، ودله عليه فخرج يطلبه ليتعلم منه ، والدرس المستفاد من هذا أن المرء إذا ظن أنه قد علم فقد جهل لأن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم متفاوتين في العلم حتى ينتهى العلم إليه جل جلاله ، وقصة موسى مع العبد الصالح خير شاهد على ذلك ، ويؤكد ذلك قوله تعالى : " وفوق كل ذى علم عليم " (٢).

* - سفر موسى وفتاه الى مجمع البحرين :

١ - أحداث السفر :

يقول الله عز وجل فى ذلك : " واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ، أو أمضى حقبا ، فلما بلغا مجمع بينهما نسيا

---

(١) صحيح البخارى : ٥ / ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وصحيح مسلم : ٤ / ١٨٤٧ .

(٢) سورة يوسف الآية (٧٦) .

حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا،فلما جاوزا قال لفتاه ،آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا،قال أرأيت اذ أوينا إلى الصخـــــرة، فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا،قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على ءاثارهما قصصا [1].

وجاء في الحديث الشريف الصحيح : أن موسى - عليه السلام - سأل ربه كيف السبيل إلى الخضر ؟ فأرشده ربه - عز وجل - على نحو ما جاء في الحديث : " تأخذ حوتا فتجعله في مكتل[2] فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه "يوشع بن نون " ،حتى أتيا الصخرة . وضعا رأسيهما فناما ، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فأتخذ سبيله في البحر سربا ،وأمسك الله عن الحوت جريه فبقي الماء . فصار عليه مثل الطاق ... فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ،حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه : آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال : ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله به ،فقال له فتاه : أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا .

قال : فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا ... [3].

---

(١) سورة الكهف : الآيات : ٦٠ - ٦٤ .

(٢) المكتل : زنبيل يسع خمسة عشر صاعا . انظر : القاموس المحيط للفيروز ابادي : باب اللام فصل الكاف .

(٣) حديث متفق عليه . انظر : صحيح البخاري : ٥ / ٢٣٠ ، ٢٣١ ، وصحيح مسلم ٤ / ١٨٤٨ .

وهذا الحديث قد اشتمل على أحداث منها : سفر موسى وفتاه .

وما كابداه في أثناء سفرهما من المشقة والتعب ، وكانت الحكمة من أخذ الحوت معهما ، ليكون سربا ودخوله إلى الماء علامة على مكان الخضر - عليه السلام - الذي يقصده موسى - عليه السلام - حيث انجاب[1] الماء في المكان الذي سلكه الحوت فصار كالكوة حتى رجع موسى ورآه وهذه آية من آيات الله لموسى عليه السلام .

وفي ذلك روى الطبري بسنده عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :

" ما انجاب ماء منذ كان الناس غيره ثبت مكان الحوت الذي فيه فانجاب كالكوة[2] حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه فقال ذلك ما كنا نبغ "[3].

كما روى الطبري بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما " جاء - يعني موسى - فرأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء "[4].

فالآية قد تحققت لموسى - عليه السلام - ووصل بها إلى ما يقصده وهو الخضر - عليه السلام - سواء أكانت بانجياب الماء أم بتجمده ، أو تحوله إلى حجر على إختلاف العلماء في تفسير كلمة سربا .

---

(١) انجاب : انجاب عنه الظلام انشق ، وانجابت الأرض انخرقت .
انظر : لسان العرب لابن منظور مادة " جوب " .

(٢) الكوّة ، بضم ، والكِوّ : الخرق في الحائط ، أو التذكير للكبير ، والتأنيث للصغير . انظر : القاموس المحيط " باب الواو والياء - فصل الكاف " .

(٣) جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٧٣ .

(٤) المصدر السابق : ١٥ / ٢٧٤ .

فالعبرة بتحقيق الغاية لا بالوسيلة ، طما بأن أصح هذه الروايات - حسب ما يظهر لي - هو أن السرب كان بانجياب الماء عن الحوت بدليل حديث أبي عن النبي - صلى الله عليه وسلم[1] - .

٢ - مجمع البحرين :

إختلف المفسرون في مكان مجمع البحرين على أقوال منها :

١ - اجتماع بحر فارس ببحر الروم[2] .

٢ - إجتماع البحر المتوسط بالمحيط عند طنجة بالمغرب العربي[3] .

٣ - إجتماع البحر الأحمر بالبحر المتوسط عند البحيرات المرة وبحيرة التمساح بالقرب من قناة السويس في مصر[4] .

٤ - اجتماع خليج العقبة ، بخليج السويس في البحر الأحمر[5] .

٥ - إجتماع موسى والخضر عليهما السلام : لأنهما بحرا علم[6] .

---

(١) المصدر السابق : ١٥ / ٢٧٣ .

(٢) المصدر السابق : ١٥ / ٢٧١ ، وتفسير الماوردي : ٢ / ١٧٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٠ / ٩ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٤٥ ، والبحر المحيط لابي حيان : ٦ / ١٤٤ ، ومدارك التنزيل للنسفي : ٣ / ١٥ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ٩٢ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٣١٢ .

(٣) انظر : تفسير الماوردي : ٢ / ١٧٠ ، وجامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٧١ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ٩٢ .

(٤) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب : ٤ / ٢٢٧٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٤ / ٢٢٧٨ .

(٦) انظر : التفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٤٥ ، ١٤٦ .

ولعل أرجح هذه الأقوال أن يكون مجمع البحرين هو : مكان اجتماع البحر الأحمر بالبحر المتوسط عند البحيرات المرة ، وبحيرة التمساح بمصر ، أو اجتماع خليج العقبة بخليج السويس وذلك لكون موسى - عليه السلام - قريبا من هذين الموضعين سواء حين كان بمصر أو حين كان بالتيه في أرض سيناء .

والعبرة بوقوع الحدث لا بالمكان الذى وقع فيه الحدث ، كما أنه ليس في لفظ القرآن الكريم ما يدل على مكان مجمع البحرين ، ولو كان هناك ثمة فائدة لأخبرنا الله تعالى عنه .

د - إجتماع موسى بالخضر - عليهما السلام - وبدء الحوار بينهما :-

قال الله تعالى مخبرا عن ذلك : " فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما "(١).

لما علم موسى - عليه السلام - من فتاه " يوشع بن نون " أن الحوت قد سرب في البحر عند الصخرة ، رجع هو وفتاه يقصان أثرهما إلى الصخرة حيث فقدا الحوت ، وهناك وجدا الخضر - عليه السلام - يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مخبرا عن ذلك :

" فرجعا فوجدا خضرا - قال لي عثمان بن أبي سليمان - على طنفسة(٢)

---

(١) سورة الكهف الآية : ٦٥ .

(٢) الطنفسه ، والطنفسه : النمرقة فوق الرحل . وجمعها : طنافس، وقيل : هي البساط الذى له خمل رقيق ، وقيل : السبط ، والثياب ، والحصير انظر : لسان العرب مادة " طنفس " .

خضراء على كبد البحر ، قال سعيد بن جبير - مسجى[1] بثوبه ، قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى ، فكشف عن وجهه وقال : هل بأرضي من سلام . من أنت ؟! قال أنا موسى قال : موسى بني إسرائيل ؟ قال نعم : قال : فما شأنك ؟ قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا .

قال : أما يكفيك أن التوراة بيدك ؟ وأن الوحي يأتيك يا موسى إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه ، وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر . وقال : والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر . . . "[2].

فقال له موسى عليه السلام : " هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا "[3]. أي أنه طلب من الخضر - عليه السلام - أن يعلمه مما علمه الله تعالى علما يرشده إلى الهدى والحق ، وذلك في لطف وأدب وإجلال فقال له الخضر - عليه السلام - : " إنك لن تستطيع معي صبرا "[4] أي : إنك لن تقوى وتتحمل وتطيق وتصبر معي على ما ستشاهده من الأمور والأحداث التي تخالف ظاهر ما تعلمه ، لأني على علم من الله لا تعلمه ، كما أنك على علم من الله تعالى لا أعلمه ، ثم بين له العلة في عدم استطاعته على الصبر معه كما حكاه القرآن الكريم عنه " وكيف تصبر

---

(١) مسجى بثوبه : أي مغطى به ، والتسجية : التغطية .
انظر : القاموس المحيط : " باب الواو ، والياء - فصل السين " .

(٢) من حديث متفق عليه . انظر : صحيح البخاري : ٥ / ٢٣٣ ، وصحيح مسلم : ٤ / ١٨٤٨ ، ١٨٤٩ .

(٣) سورة الكهف الآية : ٦٦ .

(٤) السورة نفسها : الآية ٦٧ .

على ما لم تحط به خبرا [١] فأنا أعلم أنك ستنكر أمورا لا تعرف بواطنها .

فقال له موسى في تواضع ورفق وأدب : " ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا "[٢]. أي : سأصبر على ما أرى منك ولا أخالفك في شيء تفعله . عند ذلك اشترط عليه الخضر - عليه السلام - قائلا ما حكاه القرآن الكريم عنه : " فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا "[٣] ، أي لا تسألني عما أفعل مما لم تحط به علما حتى أبدأك وأخبرك به "[٤].

هـ - مصاحبة موسى للخضر عليهما السلام :

وعلى ذلك تم الاتفاق بين موسى والخضر - عليهما السلام - وبدأت صحبة الشيخين ، ولقد جرى في أثنائها حوار حول أمور ثلاثة اتضح من خلالها ما كان عليه الخضر - عليه السلام - من حق لا تدل عليه ظواهر الأمور ، ولا مه موسى عليه السلام على ذلك إستنادا إلى وقائع رآها بأم عينيه ولم يدرك كنهها ، إذ لم يكن الأمر في حقيقته كما ظنه وهذه الأمور الثلاثة هي : -

---

(١) سورة الكهف الآية : ٦٨ .

(٢) السورة نفسها : الآية ٦٩ .

(٣) السورة نفسها : الآية ٧٠ .

(٤) انظر : جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٨٣ ، وتفسير الماوردي : ٢ / ١٧١ ، والجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ١٧ / ١٨ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٥٣ وزاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ١٦٨ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٦ / ١٤٨ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٢ / ٢٠ وتفسير ابن كثير : ٣ / ٩٣ ، وروح المعاني للألوسي : ١٥ / ٣٣١ - ٣٣٥ .

١ - خرق السفينة :

قال الله تعالى : " فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا "[١].

انطلق موسى والخضر - عليهما السلام - كما تشير هذه الآية الكريمة حتى وصلا إلى شاطئ البحر ، فوجدا سفينة فركبا فيها ، فلما توسطت البحر قام الخضر - عليه السلام - ينزع من أسفلها لوحا أو لوحين ، وقيل من جدارها الأعلى حتى يظهر العيب لمن يراها فعاتب موسى الخضر - عليهما السلام - قائلا - ما حكاه القرآن الكريم عنه - " أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا " .

فلما انتهى موسى عليه السلام من عتابه ذكره الخضر - عليه السلام - بالعهد الذى سبق أن قطعه موسى - عليه السلام - على نفسه ، فقال له - كما حكى القرآن الكريم عنه - " ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا "[٢].

قال موسى - عليه السلام - معتذرا على ما بدر منه من نسيان كما ذكره القرآن الكريم عنه - " لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا "[٣]

أى لا تؤاخذنى بنسياني لعهدك[٤] ولا تضيق علي الأمر فيكون ذلك سببا

---

(١) سورة الكهف الآية : ٧١ .

(٢) السورة نفسها : من الآية : ٧٢ .

(٣) سورة الكهف من الآية : ٧٣ .

(٤) ويؤكد هذا المعنى ما رواه البخارى من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " كانت الأولى من موسى نسيانا ، انظر : صحيح البخارى : ٥ / ٢٣١ .

لا نقطاع صلتي بك ، وحرماني من الاستفادة مما منحك الله من علم "[1].

وفي الصحيح بيان لما جرى بينهما حين ركبا السفينة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمرت سفينة ، فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول[2] ، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ[3] إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم ، فقال موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها !؟ لقد جئت شيئا امرا ... ، وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة قال له الخضر : ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر نقرة ..... "[4].

٢ - قتل الغلام :-

وفي الأمر الثاني - وهو قتل الغلام - يقول الله - عز وجل - :

" فانطلقا حتى إذا لقيا غلما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا، قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا "[5].

---

(١) انظر جامع البيان للطبري : ١٥ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، وتفسير الماوردي : ٢ / ١٧١ ، ١٧٢ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٥٤ ، وابن كثير : ٣ / ٩٦ .

(٢) النول : جعل السفينة . انظر : القاموس المحيط : " باب اللام فصل النون "

(٣) يفجأ : يعاجل . انظر : المصباح المنير للفيومي : ٢ / ٧٠٩ .

(٤) صحيح البخاري : ٥ / ٢٣١ .

(٥) سورة الكهف الآيات : ٧٤ - ٧٦ .

ومن ثم انطلق موسى والخضر - عليهما السلام - بعد خروجهما من السفينة يمشيان على الساحل فلقيا غلمانا يلعبون ، فاختار الخضر - عليه السلام - من بينهم غلاما طريفا وضيء الوجه .

" كما ورد في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" لقيا غلاما فقتله " قال يعلى : قال سعيد وجدا غلمانا يلعبون فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين . قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس لم تعمل بالحنث[1] ."[2]

اختلف في اسمه فقيل : جيسور ، وحيسور ، وجنسور ، وشمعون والأصح حيسور لورود ه في الحديث الصحيح[3] . فأخذ ه الخضر - عليه السلام - فقتله ففزع موسى - عليه السلام - لذلك ، ونسي العهد مرة ثانية .

وقال منكرا على الخضر - عليه السلام - فعلته : " أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا "[4] .

إن موسى عليه السلام لم يصبر على خرق السفينة ، لأن في ذلك احتمال إغراق من فيها ، فمن باب أولى أنه لم يستطع أن يتحمل قتل نفس بريئة ، لم ترتكب ذنبا - حسب علمه - فأنكر هذ ه الفعلة ، لأنه

---

(١) الحنث بالكسر : الاثم ، والحلف في اليمين . والميل من باطل الى حق وعكسه . القاموس المحيط " باب الثاء - فصل الحاء " .

(٢) انظر : صحيح البخاري : ٥ / ٢٣٣ .

(٣) صحيح البخاري : ٥ / ٢٣٣ .

(٤) سورة الكهف من الآية : ٧٤ .

لم يستطع الصبر على مثل هذا العمل الذى لم يكن عالما بتأويله .

إذ إن هذا الغلام لم يبلغ الحلم بعد ، فكيف بهذه النفس تقتل بدون سبب انه لأمر جلل يدعو إلى الدهشة والإنكار[1] ومن هنا يرده الخضر - عليه السلام - إلى شرطه ووعده قائلا له :

" ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا " .

ثم رجع موسى عليه السلام إلى نفسه ووجد أنه نسي ما تعهد به مرتين مع تذكير الخضر - عليه السلام - له فيبادر إلى تأكيد إلزام نفسه بالعهد ، على أن تكون هذه آخر فرصة له - قائلا - ما حكاه القرآن الكريم عنه - " قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا "[2].

وفي ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة[3] قال : " إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا . ولو صبر لرأى العجب "[4].

٣ - إقامة الجدار :

وعن الأمر الثالث يقول الله تعالى : " فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه . قال : لو شئت لتخذت عليه أجرا قال هذا

---

(١) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب : ٤/ ٢٢٨٠ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٧٦ .

(٣) جاء في لسان العرب : أخذته من صاحبه ذمامة : أى حياء وإشفاق من الذم واللوم . انظر: مادة " ذمم " . باب الميم فصل الذال .

(٤) اخرجه الامام احمد ، انظر: الفتح الرباني بترتيب مسند الامام احمد: ١٨/٢٧

فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا[١] .

وبعد ذلك انطلق موسى والخضر - عليهما السلام - إلى قرية أهلها لئام لم يكرموهما ، مع أنهما قد طلبا منهم الضيافة ، والجمهور على أنها " أنطاكية "[٢] . وقيل : غير ذلك ، وبما أن القرآن لم يسمها ، لأنه ليس هناك ثمة فائدة من ذكر اسمها ، فالتوقف عن مثل هذا أولى ، فالعبرة بالحديث لا بمكانه ، وكان في هذه القرية جدار مائل قد آل إلى السقوط ، فبادر الخضر - عليه السلام - فأقامه فاستقام ، كما ورد في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " فانطلقا فوجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه .

قال سعيد : بيده هكذا ورفع يده ، فاستقام .

قال يعلي : حسبت أن سعيدا قال : فمسحه بيده ، فاستقام"[٣] .

وهنا تعجب موسى من هذا التناقض الغريب ؛ أهل قرية لم يضيفوهما ومع ذلك يسارع الخضر - عليه السلام - إلى بناء جدارهم ويتعب نفسه في إقامته !! فيقول موسى وهو في حالة دهشة :

---

(١) سورة الكهف الآية : ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) أنطاكية : بالفتح ثم بالسكون والياء مخففة : هي قصبة الثغور الشامية بينها وبين حلب يوم وليلة ، قيل بناها انطاكية ، بنت ملك الروم وسميت باسمها . انظر : معجم البلدان ياقوت الحموي : ١/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٣) من حديث متفق عليه : صحيح البخاري : ٥/ ٢٣٣ ، وصحيح مسلم : ٤/ ١٨٤٩ ، ١٨٥٠ .

" لوشئت لتخذت عليه أجـرا " . وذلك أقل ما يطلب من قوم لئام وورد في الحديث الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " قال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا ، لو شئت لاتخذت عليه أجرا ... ودت لو أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما "[1] وكان هذا نهاية للصحبة بين موسى والخضر - عليهما السلام - ، وفي هذا يقول الخضر - عليه السلام - كما حكاه القرآن الكريم عنه : " قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا "[2].

***** *****

---

(١) من حديث أخرجه البخاري : المصدر السابق المكان نفسه .

(٢) مفهوم من سورة الكهف الآية : ٧٨ .

المبحث الثالث

تحد للتفكير المادي

أ - آيات الموضوع :

يقول الله تعالى مخبرا عن كشف العبد الصالح - عليه السلام - للحقائق التي كانت خافية على موسى - عليه السلام - :

" أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة وأقرب رحما، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا "(١).

ب - مجمل معاني الآيات :

هكذا أخذ الخضر - عليه السلام - يوضح لموسى - عليه السلام - ما خفي علمه عليه ، من أفعاله التي لم يستطع موسى - عليه السلام - الصبر عليها ظنا منه أنها مخالفة لأمر الله - عز وجل - التي تأمر بالعدل والإحسان وتنهى عن الظلم والعدوان ، فما فعله بالسفينة من خرقها ، وعيبها إنما حدث لأنها كانت لقوم مساكين يرتزقون من العمل عليها وخرقها يبقيها لهم ، ويصرف عنها طمع الملك الظالم الذي يغتصب كل

---

(١) سورة الكهف الآيات : ٧٩ - ٨٢ .

سفينة صالحة عدوانا وظلما .

وكان ذلك الضرر الصغير الذى أحدثه وألحقه الخضر - عليه السلام - بالسفينة إنما هو اتقاء من الضرر الأكبر الذى ينتظرها لو بقيت سالمة وهو أن تؤخذ غصبا من أصحابها المساكين.[1]

وأما الغلام فقد قتل لأنه سيكون كافرا عند بلوغ سن التكليف ، يؤيد ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا[2] ، فى حين كان أبواه مؤمنين ، وهو كما علم الخضر - عليه السلام - من ربه سيرهقهما بكفره واستكباره على الله .

وقد أبدلهما الله تعالى خيرا منه صلاحا ودينا وبرا بهما ، وقد ذكر الطبرى في تفسيره لهذه الآية الكريمة : أن الله تعالي أبدلهما بغلام أو بجارية.[3]

وأما الجدار فقد أقامه الخضر - عليه السلام - وأصلحه ، لأنه كان ملكا لغلامين في هذه المدينة التى أمتنع أهلها عن ضيافة موسى والخضر - عليهما السلام - وكان تحت هذا الجدار كنز خبأه لهما والدهما ، ولو ترك الجدار يسقط لانكشف كنز اليتيمين ، وإندفع الناس إليه وأخذوه ، وما كان في استطاعة اليتيمين الدفاع عن كنزهما ، وقد حفظ الله لهما هذا الكنز لضعفهما ولصلاح والدهما فأراد الله تعالى أن يحفظ لهما الكنز حتى يبلغا الرشد ويستخرجا كنزهما في حال قدرتهما على حمايته .

---

(١) انظر: فى ظلال القرآن لسيد قطب : ٤/ ٢٢٨١ .

(٢) من حديث أخرجه مسلم : ٤/ ١٨٥٢ .

(٣) جامع البيان للطبرى : ١٦/ ٣ - ٤ .

وكان ذلك لطفا ورحمة بهما من الله - عز وجل - ، ثم يوضح الخضر - عليه السلام - لموسى - عليه السلام - أنه فعل ما فعل بأمر من الله تعالى لا بأمر من نفسه (١).

فهو عبد مأمور ينفذ أمر الله - عز وجل - ، فهذه رحمة من الله اقتضت هذا التصرف حماية لمصالح هؤلاء الناس ، إذ إن الله تعالى قد أطلعه على هذه الأسرار التي كانت خافية على موسى - عليه السلام - والتي جعلته يوقن أن هناك من هو أعلم منه ، وما تصرف الخضر إلا وفق أمر الله تعالى ، بدليل قوله تعالى حكاية عن الخضر - عليه السلام - :

" رحمة من ربك وما فعلته عن أمري " .

إن قصة موسى والخضر - عليهما السلام - وما اشتملت عليه من مغزى تعد تحديا للتفكير المادي الذي يقوم على أساس أن الظواهر هي المعول عليها ، وأن الإنسان قد فهم كل شيء من أسرار هذا الكون ، وأن الحياة هي التي ألفها الانسان وعرفها ، وأن الحقيقة فيما تراه العيون ، ولكن سورة الكهف وبخاصة قصة موسى والخضر - عليهما السلام - تنقض هذه الفلسفات التي قامت على أساس من التفكير المادي ، فهي توضح أن الظواهر ليست هي المعول عليها ، وأن الإنسان لم يعرف بعد من أسرار هذا الكون وما يحيط به من خفايا كائنة إلا القليل . كما أنها تكشف أن الحقيقة ليست ما تراه العيون فحسب (٢) وتتصوره العقول البشرية

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري: ١٦ / ١ - ٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠ / ٣٤ - ٣٩، وتفسير الماوردي: ٢ / ١٧٣، ١٧٤، والتفسير الكبير للرازي: ٢١ / ١٦٠، ١٦٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣ / ٩٨، ٩٩، وفتح القدير للشوكاني: ٣٠٣، ٣٠٥، وروح المعاني للألوسي: ١٦ / ٩ - ١٤، وفي ظلال القرآن لسيد قطب: ٤ / ٢٢٨١، ٢٢٨٢.

(٢) انظر: تأملات في سورة الكهف لأبي الحسن الندوي: ص ٩٥.

- القاصرة - ،ولو كان الأمر كذلك لكان من حق السفينة التي حملتهما أن يحافظ عليها ،ومن حق أصحابها الذين حملوهما بغير أجر ألا يساء إليهم وأن يكافؤا على صنيعهم .

وكان من حق الغلام الوضيء ألا يقتل ،ومن حق أهل القرية اللئام البخلاء ألا يحسن اليهم ،وألا تحفظ أموالهم .

ولكن الخضر - عليه السلام - خالف الظاهر المعروف ،واتخذ من هذه الأمور الثلاثة موقفا لا يؤيده العقل ولا يستسيغه الذوق .

لذلك عاتبه موسى - عليه السلام - وهو النبي المرسل الغيور على الحق - على هذه التصرفات العجيبة الغريبة المخالفة للظاهر والمألوف والمعقول ،ونسي وعده ،وسارع إلى الإنكار .

ويتجلى في نهاية المطاف أن الخضر كان مصيبا وحكيما في تصرفاته في المواقف الثلاثة ،ولم يكن مسيئا في موضع الإحسان ،ولا محسنا في موضع الإساءة ،فقد أحسن إلى أصحاب السفينة بخرقها فحفظها لهم من الإغتصاب وكافأهم على إحسانهم بذلك ،وقد أحسن إلى أبوي الغلام بقتله وحفظهما من الوقوع في الفتنة لقد رأى أن الغلام قد يعوّض ،ولا عوض عن الدين والعاقبة والسلامة . وقد أحسن إلى اليتيمين إذ حفظ لهما مالهما ،ولو تهدم الجدار لانكشف الكنز الدفين واختطفه السراق والناهبون ولبقي الغلامان بلا مال[1] .

---

(١) انظر : تأملات في سورة الكهف - لأبي الحسن الندوي : ص ٩٢ ، ٩٣ .

ولو كان الأمر موكولا إلى الظاهر فحسب لما كان للخضر عليه السلام إلا أن يتصرف وفق الظاهر ، وليس لغير الله عز وجل كائنا من كان - إلا من أطلعهم الله على الغيب - أن يحكم على شيء قد استأثر الله بعلمه ، ولا أن يرتب على علمه الظاهر حكما غير الحكم التي تأخذ به الشريعة في الأمور الظاهرة .

وهذه القصة لها ارتباط وثيق بقصة أهل الكهف وهي قصة الصراع بين الحق والباطل ، فالهدف في هاتين القصتين دعوة جميع البشر لترك الغيب لله وحده الذي يدبر ويصرف الأمور كيفما يشاء ويريد ، فهو الخبير البصير بذلك (١).

فالحق في هذه القصة : " قصة موسى والخضر - عليهما السلام - " هو التسليم المطلق والإيمان والرضا الكاملين بقضاء الله وقدره .

والباطل فيها ، هو الاعتراض على قضاء الله وقدره وعدم الإيمان أو التسليم بذلك (٢).

وإذا كان أصحاب التفكير المادي يؤمنون بالمشاهد المحسوس فحسب ويبنون أحكامهم القاصرة الواهية عليها ، فإن ذلك دليل على قصور تفكيرهم وذلك يوقعهم في الخطأ ، فإن الكون واسع فسيح وما يجهلونه عنه أكثر مما يعرفونه فوراء المشاهد المحسوس أسرار وغيبيات لا يعلمها إلا الله يقصر الإنسان عن إدراكها ومعرفة كنهها مهما بلغ من الدقة والعلم والمعرفة بوسائلها المختلفة .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب : ٤/ ٢٢٨١ .

(٢) انظر : التفسير الموضوعي لسورة الكهف لمحمد البهي : ص ٣٦ .

فنظر الإنسان المادى قاصروعلمه محدود ، حيث قام على نظريات وفلسفات مادية بحتة (١).

وهذه القصة تتحدى أولئك الماديين وتكشف وتفضح قصور نظرياتهم وتعلن بطلانها .

جـ - العبر والدروس المستفادة :

من العبر والدروس المستفادة من قصة موسى والخضر عليهما السلام ما يلي : -

١ - معاتبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعدم مسارعته إلى عقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤوا به (٢).

٢ - على الإنسان ألا يبادر إلى إنكار مالا يستحسنه عقله حتى يعمل فكره في تمحيصه وتدبر أوله وآخره ، فلعل فيه سرا لا يدرك كنهه .

٣ - على العالم أن يتواضع ولا يتعالى بعلمه ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل ، ولا يزال المرء عالما ما طلب العلم " وفوق كل ذى علم عليم " (٣).

٤ - إن الإسلام يقدم المصالح العامة على المصالح الخاصة ، ومن ذلك تحمل الضرر الأصغر في سبيل دفع الضرر الأكبر .

٥ - إن الأمور في غالب الأحيان تجرى أحكامها على الظواهر والله يتولي السرائر .

---

(١) انظر : تأملات فى سورة الكهف لأبي الحسن الندوى : ص ٩٠ .

(٢) جامع البيان للطبرى : ١٦ / ٧ .

(٣) سورة يوسف من الآية : ٧٦ .

٦ - إن صلاح الآباء قد ينفع الله به الأبناء في حالة ضعفهم ، ويكون سببا في حفظهم وإسعادهم .

٧ - بغزارة العلم يسمو الإنسان وتتعمق نظرته للأمور وعليه أن يحرص على تحصيل العلم ولو تحمل المشاق والأسفار في سبيل ذلك .

٨ - على العالم أن يكون أبويا حكيما شفيقا على المتعلمين مخاطبا إياهم على قدر عقولهم .

٩ - على العالم أن يبذل النصح والتوجيه والإرشاد بطريقة محببة للمتعلمين .

١٠ - إن تعلم العالم الفاضل ممن هو أعلم منه أو مثله أو أقل منه علما يحتاج إليه لا ينقص من شأنه وجلالة قدره .

١١ - على المتعلم ألا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم ولا يتعجل الأمور قبل أوانها .

١٢ - التأدب مع العالم ، ومخاطبته بألطف وأحسن الألفاظ وإظهار الاحترام له وتوقيره وإجلاله[1] ، أمور ينبغي للمتعلم سلوكها .

هذا وعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يستفيدوا من العبر والعظات المستنبطة من قصص القرآن الكريم - وبخاصة قصص سورة الكهف ، فإن فيها الكثير من الحقائق والتوجيهات والأمثلة والشواهد التي ينبغي على الدعاة الاستفادة منها في حياتهم العملية وفي دعوتهم الى الله تعالى فسلاح الدعاة إلى الله هو العلم قبل العمل والفهم الدقيق للقرآن

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٦٢ ، وتفسير المراغي : ١٦ / ٩ ، ١٠ ، والتفسير الواضح للحجازي : ١٦ / ٤ ، وتيسير الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي : ٥ / ٦٣ - ٧٢ ط : المؤسسة السعدية بالرياض

الكريم وقصصه والسنة النبوية المطهرة ، ومعرفتهم بغايتهم في الحياة ومركزهم بين الناس يحتم عليهم أن يقوموا بمهمتهم الجليلة في هداية الناس وترشيدهم في الحياة ، وبالأخص في عصرنا الحاضر الذى أخذت المذاهب الهدامة تعصف به من كل جدب وصوب ، فالمسلم اليوم يعيش في صراع مرير مع هذه العقائد الإلحادية ، وعلى الدعاة ألا يركنوا إلى الدنيا ويتعلقوا بها فتفتنهم عن دورهم السامي النبيل .

وعليهم أن يتسلحوا بالعلم والإيمان العميق بالله تعالى لكي تتوثق صلتهم بربهم ، ويصبروا على ما ينالهم في سبيل الدعوة إلى الله من مشاق ومتاعب ، وعليهم أن يدعوا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنه ومجادلة خصومهم بالتى هي أحسن ، وذلك تأسيا واقتداء بقوله تعالى : " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين "(١) .

وقوله تعالى : " ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم "(٢) .

**** ***

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة فصلت : الآيات : ٣٣ - ٣٥ .

الفصـــل الخامـــس

قصـــة ذى القـــرنـــين

المبحث الأول

التعريف بذي القرنين وعلة تسميته

١ - اسمه ونسبه :

اختلف في اسمه ونسبه على أقوال منها :

١ - ما روى عن علي - كرم الله وجهه - أن اسمه : عبد الله بن الضحاك.[١]

٢ - وقيل : إنه الإسكندر بن فليبوس اليوناني[٢]، إلا أن شيخ الاسلام "ابن تيمية" يرد على من زعم أن ذا القرنين هو "الإسكندر المقدوني" بأن أرسطو كان وزيرا للاسكندر وأرسطو كان قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة.[٣]

ويقال : إن نسبه ينتهي إلى العيص بن إسحاق بن إبراهيم - عليه السلام -.

٣ - وقيل اسمه الصعب بن قرن بن همال من ملوك حمير.[٤]

٤ - وعن ابن أبي خيثمة وغيره أنه : الصعب بن جابر، أو الصعب بن الحارث الرائشي ذو مراثد بن عمرو بن عامر ذو شدد الحميري.[٥]

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان : ٦/ ١٥٨

(٢) الرازي : ٢١/ ١٦٣ .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص ٤٤ .

(٤) فتح الباري ٤/ ٣٨٤ .

(٥) التيجان في ملوك حمير لابن إسحاق : ص ٨١، ١١٠، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . الهند ١٣٤٧ هـ .

٥ - إنه مصعب بن عبد الله من قحطان[١] .

٦ - وقيل : مرزبان بن مرزبة ، من ولد يافث بن نوح - عليه السلام - .[٢]

٧ - افريدون بن اسفيان بن جشميد من الفرس .[٣]

٨ - شمر بن عبيد بن افريقس الحميري .[٤]

٩ - الهميع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .[٥]

١٠ - هرمي ، أو هرديس بن ولد يونان بن يافث .[٦]

١١ - وقيل في نسبه : إنه من الروم ابن عجوز من عجائزهم .[٧]

وكل هذه الأقاويل لا تعتمد على دليل ناهض ، وانما ذكرتها استقصاء لما قيل في تسمية ذي القرنين .

ب - علة تلقيبه :

في علة تلقيبه بذي القرنين أقوال منها :

١ - أنه دعا قومه إلى التوحيد وعبادة الله فضربوه على قرنه - صفحة رأسه - فهلك ، فأحياه الله ، ثم دعاهم مرة ثانية فضربوه على قرنه الآخر ، فلقب بذي القرنين ، وهذا القول مروى عن أمير المؤمنين

---

(١) و (٢) انظر روح المعاني للألوسي : ١٦ / ٢٦ . (٣) فتح الباري ٦/٣٨٤

(٤) التفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٦٤ .

(٥) فتح الباري : لابن حجر : ٦ / ٣٨٤ .

(٦) جامع البيان للطبري : ١٦ / ١٧ .

(٧) المرجع السابق لابن حجر : ٦ / ٣٨٣ .

طي كرم الله وجهه[١].

٢ - أو لأنه سار إلى مغرب الشمس ومطلعها وبلغهما ، ولم يبلغ ذلك أحد قبله[٢].

٣ - وقيل لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس[٣].

٤ - أو لأنه رأى في المنام كأنه امتد إلى السماء ، وأخذ بقرني الشمس، فقص رؤياه على قومه فلقبوه بذلك[٤].

٥ - أو لأنه ملك الفرس والروم[٥].

٦ - وقيل : لأنه كان له في رأسه ما يشبه القرنين[٦].

٧ - وقيل : لأنه كانت له غديرتان أو ضفيرتان من شعره[٧].

٨ - وقيل : إنما لقب بذي القرنين لأنه كان كريم الطرفين من أب وأم ينتسبان إلى بيت ذي شرف وفضل[٨].

٩ - وقيل : لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس وهو حي[٩].

١٠ - وقيل : لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا[١٠].

---

(١) المرجع السابق . للرازي : ٢١ / ١٦٣ .

(٢) المرجع السابق . للرازي : ٢١ / ١٦٣ .

(٣) المرجع السابق . للطبري : ١٦ / ١٧ .

(٤) قصص الأنبياء . للثعلبي : ٤ / ٤ .

(٥) أنوار التنزيل . للبيضاوي : ٢ / ٢٣ .

(٦) جامع البيان . للطبري : ١٦ / ٩ .

(٧) المرجع السابق . للبيضاوي : ٢ / ٢٣ .

(٨) فتح الباري . لابن حجر : ٦ / ٣٨٣ .

(٩) المرجع السابق . لابن حجر : ٦ / ٣٨٣ .

(١٠) المرجع السابق . للبيضاوي : ٢ / ٢٣ .

١١ - وقيل : لأنه كان لتاجه قرنان[١].

١٢ - أو لأنه بلغ مطلع الشمس وقرني الشيطان هناك[٢].

١٣ - أو لأنه كان إذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعا[٣].

١٤ - وقيل : إنما لقب بذلك لأنه أعطى علم الظاهر والباطن[٤].

وهذه الأقوال لا تعتمد على دليل ناهض ، وإنما ذكرتها أيضا للإلمام بما قيل حول علة تسميته .

ولعل أرجحها قول من قال : سمي بذي القرنين لأنه انقرض في زمانه قرنان من الناس وهو حي .

حـ - حقيقة أمره :

اختلف في حقيقة أمره على أقوال : -

١ - يرى بعضهم أنه نبي[٥] ، وروى ذلك عن عبد الله بن عمرو[٦] واستدل بظاهر قوله تعالى : " إنا مكنا له في الأرض[٧] . وقوله تعالى : " وآتيناه من كل شئ سببا "[٨]. وبقوله تعالى : " قلنا يا ذا القرنين "[٩].

---

(١) فتح الباري : للبيضاوي : ٢/ ٢٣ .

(٢) المرجع السابق : لابن حجر : ٦/ ٣٨٣ .

(٣) فتح الباري : لابن حجر : ٦/ ٣٨٣ .

(٤) المرجع السابق : ٦/ ٣٨٤

(٥) التفسير الكبير : للرازي : ٢١/ ١٦٥ .

(٦) فتح الباري : لابن حجر : ٦/ ٣٨٣ .

(٧) سورة الكهف من الآية : ٨٤ .

(٨) السورة نفسها من الآية : ٨٤ .

(٩) السورة نفسها من الآية : ٨٦ .

٢ - وقيل : إنه عبد صالح ناصح الله فنصحه ، وروى ذلك عن الامام علي كرم الله وجهه (١).

٣ - وقيل : ملك من الملائكة قد روى عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه سمع رجلا ينادي آخر : ياذا القرنين ، فقال : اللهم غفرا !! أما كفاكم أن تسميتم بأسماء الأنبياء حتى تسمو بأسماء الملائكة (٢).

٤ - وذكر ابن كثير القول بأنه رسول مبعوث (٣).

د - عصره :

واختلف في عصر ذي القرنين على أقوال :

القول الأول : إنه كان في القرون الأولى من عهد ولد يونان بن يافث بن نوح (٤).

القول الثاني : أنه كان بعد ثمود (٥).

القول الثالث : أنه كان في الفترة بين عيسى - عليه السلام - ومحمد - صلى الله عليه وسلم - روى ذلك وهب بن منبه اليماني (٦).

القول الرابع : إنه كان في عهد الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام (٧).

---

(١) جامع البيان للطبري : ١٦/ ٩ .

(٢) التفسير الكبير للرازي : ٢١/ ١٦٥ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : ٢/ ١٠٣ .

(٤) فتح الباري لابن حجر : ٦/ ٣٨٤ .

(٥) زاد المسير . لابن الجوزي : ٥/ ١٨٤ .

(٦) المرجع السابق لابن الجوزي : ٥/ ١٨٤ .

(٧) روح المعاني للألوسي : ١٦/ ٢٨ ، ٢٩ ، والبداية والنهاية لابن كثير : ٢/ ١٠٣ ، وفتح الباري ، لابن حجر : ٦/ ٣٨٤ .

وروى الأزرقي ما يؤكد هذا فذكر أن ذا القرنين حج بيت الله الحرام في مكة المكرمة مع إبراهيم - عليه السلام - ماشيا على قدميه[1].

إن الهدف المقصود في هذه القصة وغيرها : العبرة المستفادة لا التسجيل التاريخي بصرف النظر عن الاسم والنسب واللقب والعلة والزمان والمكان ، حيث لم يذكر القرآن شيئا من ذلك ، لأنه لا فائدة من تخصيصها بالذكر ، وهذه هي سمة القرآن في سائر القصص ، فالقرآن يسمو على كتب التاريخ ، ولا تجوز مقارنته بهذه الكتب ، لأن التاريخ مولود حديث العهد فاتته أحداث كثيرة من تاريخ البشرية لا يعلم عنها شيئا ، وفي القرآن أحداث لا يعرفها التاريخ .

ولأن التاريخ وإن عرف بعض الأحداث فهو عمل من أعمال البشر يعتريه ما يعتريهم من النقص والقصور والخطأ والنسيان[2].

....

---

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . للأزرقي : ١/ ٣٤ .

(٢) انظر في ظلال القرآن . سيد قطب : ٤/ ٢٢٨٩ ، ٢٢٩٠ .

المبحث الثانـــــي

سيرته وماهيأ الله لـه من أسبـــــاب

أ - سيرتـــه :

أما عن سيرته فقد كان ذو القرنين مثالا طيبا للحاكم الصالـــــح الذى ينبغي أن يحتذى حذوه القادة . والفاتحون في كل مكان وزمان كما كان مثالا للقائد الفاتح المؤمن ، فقد كان في كل فتوحاته منتصرا للحق ناصرا للضعفاء متوخيا العدل ، قاهرا للمتجبرين الطغاة .(١)

أما عن مكان حكمه فلم يرد في القرآن الكريم ولا السنة المطهـــرة - حسب علمي - تحديد المكان وكذلك الفتوحات ، ولم أعثر على مرجـــع أصيل يذكر تلك الفتوحات .

وكان ذو القرنين قد اتخذ مبدأ فريدا ساميا يسير عليه في معاملته لسائر البلاد التى افتتحها وقد ذكر الله تعالى هذا المبدأ في قولـــه - عز وجل - : " قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربـــه فيعذبه عذابا نكرا، وأما من ءامن وعمل صالحا فله جزاء الحســـنى وسنقول له من أمرنا يسرا " .(٢)

أى : ان من ظلم نفسه باستمراره في الكفر فسوف نعذبه في الدنيا بالقتل ثم يرد الى ربه فسيجـــد عذابا شديدا ، أما من آمن وعمل عملا صالحا فجزاؤه الجنة عند ربـــه ثوابا على إيمانه ، وسنعلمه أيضا في هذه الدنيا ما تيسر له تعليمه مما

---

(١) انظر : تأملات في سورة الكهف لأبى الحسن الندوى : ص ١٠٢ .

(٢) سورة الكهف : الآيتان : ٨٧ - ٨٨ .

يقربه إلى الله تعالى ، ولا نكلفه بما لا يطيق من الأمور الشاقة ، ولكن بالأمور التي يستطيع فعلها كالزكاة والخراج (١).

وهذه السيرة التي انتهجها ذو القرنين في فتوحاته لا نظير لها فيما يعرفه البشر من سير الملوك الجبابرة في القديم والحديث ، فسيرته كما تبدو من آيات سورة الكهف تمثل دستورا للحكم الصالح القائم على الإيمان والتقوى والقائم على مجازاة المؤمنين بالحسنى والمعاملة الطيبة والتيسير والإكرام ، وعلى معاقبة الكافرين والظلمة والمجرمين المعاندين البغاة بما يستحقونه من العقاب ، ولا شك أن هذه السيرة تشجع الناس في المجتمع على الصلاح والاستقامة (٢).

ولقد خالف ذو القرنين بهذه السيرة الطيبة ما عهد في الغزوات العسكرية القديمة والحديثة في عدم تفريقها بين الصالح والطالح والمحسن والمسيء لتحقيق أهدافها ، فتحيل المدن خرابا وتهلك الحرث والنسل وذلك لتكبر وتجبر هؤلاء القادة ولإشباع حب الانتقام والسيادة في نفوسهم الخالية من الإيمان بالله .

أما فتوحات ذي القرنين فقد كانت لإقامة مثال رائع للحكم الصالح ، وتحقيق العدل ، ونشر الدين ، وحماية الضعفاء ، ورد الناس إلى شرع ربهم .

إن في فتوحاته دروسا وعبرا وعظات للحكام والفاتحين في كل زمان ومكان ليضعوا كل طاقاتهم وإمكاناتهم لخدمة الحق ، ودحض الباطل ،

---

(١) انظر : جامع البيان . للطبري : ١٦/ ١٢ ، ١٣ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١/ ١٦٧ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٢/ ٢٤ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن . سيد قطب : ٤/ ٢٢٩١ .

و لا خضاع سائر تصرفاتهم لشرع الله[١].

ولقد كان ذو القرنين - كما تدل على ذلك آيات سورة الكهف والأحاديث الواردة في هذا الشأن - عبدا صالحا شاكرا لنعم الله وفضله عليه، فهو لا ينسب عملا قام به إلى نفسه سواء كان صغيرا محدودا أم كبيرا محمودا، ولقد حكى الله عنه أنه بعد إتمامه السد العظيم[٢] أرجع العمل كله لله وحده، فقال تعالى حكاية عنه " هذا رحمة من ربي "[٣].

فالله تعالى هو الذي أعانني على بنائه برحمته وسويته بمشيئته، ومنعت بذلك يأجوج ومأجوج من الظلم والإفساد.

وصفوة القول عن سيرته: أنها سيرة عبد صالح مؤمن تقي جدير بالمؤمنين أن يتأسوا بها، وكان داعيا مبلغا لرسالة الله، ما وطئ أرضا إلا دعا أهلها إلى الله تعالى بالقول والعمل، وهو بهذا يكون قدوة للدعاة عبر القرون والأزمان.

ب - <u>التمكين له في الأرض</u>:

قال تعالى: " إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا "[٤].

ومعنى تمكين الله له في الأرض أنه - سبحانه - أعطاه ملكا عظيما واسعا تحت تصرفه كسائر ما يؤتى الملوك من التمكين وكثرة الجند

---

(١) انظر: قصص وعبر. محمد المجذوب: ص ٢٠١.

(٢) لم يرد في القرآن الكريم ولا السنة المطهرة تحديد لمكانه وزمانه حسب علمي.

(٣) سورة الكهف الآية ٩٨.

(٤) السورة نفسها: الآية: ٨٤.

والأعوان ووفرة آلات الحرب ومعداتها مما أتاح له امتلاك مشارق الأرض ومغاربها ودانت له سائر المعمورة وخضعت لنفوذه وقوته وامرته طوعها ، وخدمته أمم الأرض قاطبة ومنحه الله العلم والمعرفة وسهل له السير في الأرض وطواها له حتى قصرت لديه المسافات الشاسعة وجعل له هيبة في قلوب أعدائه ووقارا في قلوب المؤمنين من أتباعه ، وأجرى على يديه من المعجزات والخوارق والكرامات الكثيرة ، وأعطاه قدرة على التدبير وحسن الرأى ومنحه الصحة والقوة والغنى والعقل السليم كما أعطاه قدرة على الاصرار لم تعط لأحد قبله[1].

ومما يؤكد تمكين الله له في الأرض قوله تعالى : " وآتيناه من كل شئ سببا " أى منحه الله من علمه العلم الذى يتوصل به إلى كل ما يريد ، وسهل بلوغ ما يريد ، وعلمه لكل ما يحتاج إليه البشر وما يحتاج إليه الملوك لقهر الاعداء وفتح المدائن وغير ذلك ، كما علمه لسان كل قوم أتى إليهم وبين له منازل الأرض وأعلامها[2].

---

(١) انظر : جامع البيان للطبرى : ١٦/ ٩ ، وتفسير الماوردى : ٢/ ١٧٥ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١١/ ٤٨ ، وزاد المسير لابن الجوزى : ٥/ ١٨٤ ، ١٨٥ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى : ٢/ ٢٣ ، وفى ظلال القرآن . سيد قطب : ٤/ ٢٢٩٠ .

(٢) انظر : جامع البيان . للطبرى : ١٦/ ٩ ، وتفسير الماوردى : ٢/ ١٧٥ والجامع لأحكام القرآن . للقرطبى : ١١/ ٤٨ ، وزاد المسير لابن الجوزى : ٥/ ١٨٥ .

حـ - الارتحـــال الى مغرب الشمس :

قال تعالى : " فأتبع سببا، حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يٰذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا "[1].

ومن الأسباب التي هيأها الله لذي القرنين : القدرة علـــى الارتحال ، فقد أتبع أول سبب وطريق يوصله إلى المغرب فسار متوجها إلى حيث تغرب الشمس ، أي : إلى حيث وجدها تغيب في عين حمئة أي ذات طين أسود ، وماؤها شديد الحرارة[2] ، وقد روى الطبري بسنده في هذا المعنى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : حين نظر إلى الشمس حين غابت " في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض "[3].

ومعنى تغرب في عين حمئة أي فيما ترى العين ، وليس كما يعتقد بعض المفسرين أن الشمس تدخل تلك العين لأنها أكبر من الأرض التي تعتبر العين جزءا صغيرا منها ، كما يرى المشاهد للشمس عند غروبها في الأرض المستوية المنبسطة كأنها تدخل فيها وليس كذلك ، وكما يرى راكب البحر الشمس كأنها تغيب في البحر وليس كذلك[4] ، ويجوز أن تكون هذه العين جزءا من البحر المحيط والشمس تغيب من وراءها[5] أنها تغرب

---

(١) سورة الكهف : الآيتان : ٨٥، ٨٦ .

(٢) انظر : جامع البيان . للطبري : ١٦/ ١٢ .

(٣) انظر : المصدر السابق : ١٦/ ١٢ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي : ١٦/ ٥٠ ، والبحر المحيط لأبي حيان : ٦/ ١٥٩ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١/ ١٦٦ ، ١٦٧ ، وتفسير ابن كثير : ٣/ ١٠٢ .

(٥) انظر : البحر المحيط : لابي حيان : ٦/ ١٥٩ .

فيه لأنه لم يكن أمام نظره غير الماء[١] .

وقد وجد ذو القرنين عند مغرب الشمس قوما كفارا لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وهي أمة عظيمة كثيرة العدد لا يحصيهم إلا الله ولهم قوة وبأس لا يطيقها أحد ، فلما رأى ذلك منهم قهرهم بما آتاه الله من قوة وأحاطهم بها حتى غلبهم ، ثم دعاهم - حسب منهجه - إلى الله تعالى ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وقد طبق ذو القرنين المبدأ العظيم الذي أعلنه وسار عليه في سائر غزواته وفتوحاته[٢] وهو قوله تعالى : " أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا . وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا[٣] .

د - الارتحال إلى مشرق الشمس :

قال تعالى : ثم أتبع سببا ، حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ، كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا "[٤] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) انظر : جامع البيان للطبري : ١٦ / ١١ ، وتفسير الماوردي : ٢ / ١٧٦ ، وزاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ١٨٦ ، ١٨٧ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٢ / ٢٤ ، والبحر المحيط لابي حيان : ٦ / ١٦٠ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٦٧ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٢ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٢٠٨ ، وروح المعاني للألوسي : ١٦ / ٣٤ ، وقصص الأنبياء للثعلبي : ص ٤٠٨ .

(٣) سورة الكهف : الآيتان : ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) السورة نفسها : الآيتان : ٨٩ ، ٩٠ .

في هذه الآيات البينات إشارة إلى توجه ذى القرنين الى مشرق الشمس ،وسلوكه طريقا موصلة إلى ذلك .

وقد وصل إلى مكان قصي لا يفصله عن مطلع الشمس بنيان ، بل تطلع من وراء هذا الموضع بمسافة بعيدة[1] ويسكن هذه الأرض قوم اختلف فى نسبهم .

فقيل هم الزنج[2] ، وذكر القرطبى عن الكلبى " هم تارس وهاويل ومنسك ، حفاة عراة عماة عن الحق ، يتسافدون[3] مثل الكلاب ويتهارجون[4] تهارج الحمر " .

ولا دليل يرجح أحد هذين القولين على الآخر حسب علمي . وإنما ذكرتها للتنبيه والعلم .

وهؤلاء القوم لم يجعل الله لهم ساترا يسترهم من الشمس ، وذلك لأن بلادهم مكشوفة خالية من الجبال والأشجار والبناء فهم لا يسكنون بيوتا مبنية لأن أرضهم لا يستقر عليها البناء ، بل يأوون إلى أسراب[5]

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى : ١١ / ٥٣ .

(٢) انظر : جامع البيان . للطبرى : ١٦ / ١٤ ، وتفسير الماوردى : ٢/ ١٧٦ ، والجامع لأحكام القرآن . للقرطبى : ١١ / ٥٣ ، والكشاف للزمخشرى : ٢/ ٤٩٨ ،

(٣) سفد الذكر على الأنثى " كضرب ، وعلم " سفادا بالكسر : أنزل . انظر : القاموس المحيط ، للفيروز آبادى " باب الدال - فصل السين " .

(٤) هرج الناس يهرجون : وقعوا فى فتنة واختلاف وقتل ، والهراجة : الجماعة يهرجون في الحديث . القاموس المحيط : " باب الجيم - فصل الهاء " .

(٥) سرب بالتحريك : هو الحفير تحت الأرض . القاموس المحيط " باب الباء - فصل السين " .

ومحاباة يدخلون فيها أو يغورون في الماء وهم عراة لا تسترهم ثياب[١]، وقد روى الطبري بسنده عن الحسن عن إبراهيم بن المستمر قال : حدثنا سليمان بن داود ، وأبو داود ، قال حدثنا سهل بن أبي الصلت السراج قال : " كانت أرضا لا تحتمل البناء كانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغوروا في الماء ، وإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم[٢].

وروى بسنده أيضا عن قتادة : قال : " ذكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه البناء ، وإنما يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت عنهم الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم "[٣].

قال القرطبي : " وربما يكون منهم من يدخل النهر ومنهم من يدخل السرب فلا تناقض بين قول الحسن وقتادة "[٤].

وذكر ابن كثير أنهم كانوا قوما قصارا مساكنهم الغيران وطعامهم السمك[٥].

---

(١) انظر : جامع البيان . للطبري : ١٦ / ١٤ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٦٨ .

(٢) و(٣) انظر : جامع البيان للطبري : ١٦ / ١٤ ، التفسير الكبير . للرازي : ٢٨ / ١٦٨ ، والجامع لأحكام القرآن . للقرطبي : ١١ / ٥٤ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٣ ، وروح المعاني . للألوسي : ١٦ / ٣٦ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن . للقرطبي : ١١ / ٥٤ .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٣ .
وقد ذكر " الماوردي " أسماء هؤلاء القوم ، وصفاتهم ، ومدنهم ، وصفات أخرى نقلها عن أهل الكتاب ، وقد عقب على ذلك بقوله : وكل هذه الأسماء والنعوت التي نذكرها ونحكيها عن سلف إن لم تؤخذ من صحف النبوات السليمة لم يوثق بها ، لكن ذكرت فذكرتها .
انظر : تفسير الماوردي : ٢ / ١٧٦ .

أما قوله تعالى : " وقد أحطنا بما لديه خبرا " ففي معنـــاه وجوه منها : -

الوجه الأول : وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما فلا يخفي علينا مـــا هنالك من الخلق وأحوالهم ومعايشهم وأسبابهم .

الوجه الثاني : وقد علمنا حين منحنا ذا القرنين هذا الملك ، ما عنـــده من القدرة والصلاح والاستطاعة لإدارة ملكه وحسن تصرفه وادارته له .

الوجه الثالث : أن ذا القرنين تصرف مع أهل المشرق وقضى فيهم كمـــا قضى الأولون لتشابههم في الحكم ، فأحسن إلى من آمن منهم وعـــذب من كفر منهم .

الوجه الرابع : قد أحاط الله علما بما عند ذي القرنين من أسباب الملـــك وآلات الحرب والجنود وغير ذلك .

الوجه الخامس : قد أحاط الله علما بما لقيه ذو القرنين وبما حدث لـــه في أثناء سيره من المغرب إلى المشرق (١) .

والسياق القرآني لم يحدد بقعة بعينها يسكنها هؤلاء القوم ، وانما وصف لنا حالهم والمكان الذي يعيشون فيه بأنه مكان مكشوف لا يحجـــب الشمس عنهم ، وهذا الوصف ينطبق على السهول والصحارى الشاسعـــة ،

---

(١) أنظر : جامع البيان . للطبري : ١٥/١٦ ، وزاد المسير . لابن الجوزي : ١٨٨/٥ ، وأنوار التنزيل . للبيضاوي : ٢٤/٢ ، والكشاف للزمخشري : ٤٩٨/٢ ، والتفسير الكبير . للرازي : ١٦٨/٢١ ، ١٦٩ ، وتفسير ابن كثير : ١٠٣/٣ ، وروح المعاني للألوسي ٣٦/١٦ .

ولم أعثر على دليل يحدد المكان بشكل قاطع ولكني أميل إلى أن هذا المكان في أقصى الشرق حيث يجد من ينظر إلى الشمس هناك أنها تطلع على أرض مكشوفة ،ولعل ذلك المكان على شاطئ أفريقيا الشرقي

أما ما صنعه ذو القرنين بأهل المشرق فإن السياق القرآني لم يذكر عنه شيئا . لأن القرآن - والله أعلم - لما بين منهج ذي القرنين في معاملة أهل مغرب الشمس اكتفى بذلك لدلالته على معاملته لأهل مشرق الشمس لأن مبدأ ذي القرنين واحد لا يختلف .

ولو وقفنا هنا وقفة تأمل وتروٍ نجد التشابه بين مشهد بين يعرضهما السياق القرآني هما مشهد الأرض المكشوفة ،ومشهد الشمس الساطعة التي لا يحجبها ساتر ،ومشهد ضمير ذي القرنين المكشوف لعلم الله تعالى [1].

فالله يعلم ما انطوى عليه صدره من العدل بين الناس وحب الخير وهداية الضالين وإصلاح المجتمع والسعي لإسعاد المؤمنين في كل أرض تطؤها قدماه [2] .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن . سيد قطب : ٤/٢٢٩٢ .

(٢) انظر : قصص من القرآن محمود زهران : ص ٢٤٣ .
ط : دار الكتاب العربي بالقاهرة - الطبعة الاولى : ١٣٧٥هـ

هـ - الارتحال إلى الشمال :

قال تعالى : " ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين[1] وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا "[2].[3]

ثم أتبع ذو القرنين طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب من الجنوب إلى الشمال يوصله إلى ما بين السدين حتى بلغهما ، والسدان هما الجبلان اللذان من ورائهما سد يأجوج ومأجوج ، وقيل : أرمينية وأذربيجان ، وموقعهما من ناحية الشمال ، قيل : في منقطع أرض الترك وقيل بين أرمينية وأذربيجان وقيل : موقعهما الربع الشمالي الغربي من المعمورة .[4]

---

(١) قرأ حمزة والكسائي السّدين ، بضم السين ، وقرأها حفص عن عاصم بالفتح وقيل : ما كان من صنع الله تعالى فهو بضم السين ، والجمع سدد ، وما كان من صنع البشر فهو بفتح السين : فما كان بالضم فهو فعل بمعنى مفعول ، وبالفتح مصدر حدث يحدثه الناس .

انظر: جامع البيان . للطبري : ١٦/ ١٥ ، والكشاف : للزمخشري : ٢/ ٤٩٨ . والتفسير الكبير . للرازي : ٢١/ ١٦٩

(٢) قرئ يفقهون ، بفتح الياء ، وعلى هذه القراءة يكون المعنى : انهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم ، وقرئ بضم الياء يفقهون ، وعلى هذه القراءة يكون المعنى : لا يمكنهم تفهيم غيرهم وجائز أنهم يفهمون غيرهم بصعوبة ومشقة لعلل في منطقهم أو بألسنتهم .

انظر : المصادر السابقة .

(٣) سورة الكهف : الآيتان : ٩٢ ، ٩٣ .

(٤) انظر : أنوار التنزيل . للبيضاوي : ٢/ ٢٤ ، ٢٥ ، والكشاف . للزمخشري : ٢/ ٤٩٨ ، وتفسير ابن كثير : ٣/ ١٠٤ ، وتفسير الماوردي : ٢/ ١٧٦ .

وهذه الأقوال لا ينهض بعضها على بعض لعدم وجود الدليل الثابت من القرآن والسنة .

فلما بلغ بين السدين وجد من ورائهما ومجاورا لهما أمة من الناس وصفهم الله تعالى بأنهم قوم لا يفقهون، أو لا يفهمون من غيرهم إلا بصعوبة ومشقة ، وذلك لغرابة لغتهم ، أو قلة فطنتهم أو تلعثمهم وعدم تبينهم الحروف[1] .

و - يأجوج ومأجوج[2] :

١ - أصلهم :

اختلف في أصلهم على أقوال منها : -

أ - إنهم من ولد آدم - عليه السلام - ومن نسل وذرية نوح - عليه السلام - وقد ورد ذلك في القرآن الكريم ، والسنة المطهرة .

قال تعالى : عن نوح عليه السلام حين نجاه ومن معه في

---

(١) جامع البيان : للطبري : ١٦/ ١٥ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١١/ ٥٥ أنوار التنزيل للبيضاوي ٢/ ٢٥ ، الكشاف للزمخشري : ٢/ ٤٩٨ ، تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٤ .

(٢) يأجوج ومأجوج : اسمان أعجميان لقبيلتين ، والألف فيهما كالألف في هارون وماروت ونحوهما ، والهمزة على ذلك فيهما على غير قياس ، وقيل هما إسمان عربيان مشتقان من : أج وأجج وأجاج ، من أج الماء إذا اشتدت ملوحته ، وأججت النار تؤج أجيجا إذا توقدت واشتد لهيبها ، وأج الظليم إذا اضطرب في مشيه ، وأج القوم إذا اضطربوا في مشيهم أيضا ، وقيل : يأجوج اسم للذكران منهم ، ومأجوج اسم للإناث ، وإذا قيل إنهما مشتقان

السفينة " وجعلنا ذريته هم الباقين "[1].

قال الطبرى في تفسيره لهذه الآية " وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه ، وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك قوم نوح الى اليوم إنما هم من ذرية نوح ، فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح ، والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح والسودان أولاد حام ، وبذلك جاءت الآثار وقالت العلماء "[2] فالآية تفيد الحصر وتدل على أن كل الناس قد فنوا سوى نوح وذريته[3].

ومما سبق يتضح أن " يأجوج ومأجوج " ابنا آدم ، ومن ذرية نوح - عليه السلام - أبى البشر الثاني ، وجاء فى الكشاف أن يافث : أبو الترك ويأجوج ومأجوج[4] وقد دلت الأحاديث على أنهم من ذرية آدم ونسل نوح - عليهما السلام - فمنها ما ورد فى الصحيح أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " يقول الله تعالى ياآدم فيقول لبيك وسعديك والخير بين يديك فيقول : أخرج بعث النار !! قال :

= من أججت النار ، فالهمز فيهما أصل ، ووزنهما يفعول ومفعول ، وعلى هذا ترك الهمزة فيهما للتخفيف ، فهما يهمزان ويخففان .
انظر : أساس البلاغة للزمخشرى : ص ٢٠٥ ، ومختار الصحاح ص ٦، والمصباح المنير للفيومي : ١/ ١١ .

(١) سورة الصافات : الآية : ٧٧ .

(٢) جامع البيان ٢٢/ ٦٧ ، تفسير ابن كثير ٤/ ١٢ ، الكشاف ٣/ ٣٤٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ١٢ .

(٤) البداية والنهاية ٢/ ١٠٩ ، ١١٠ .

وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ... قالوا : يارسول الله وأين ذلك الواحد ؟ قال أبشروا فإن منكم رجلا ، ومن يأجوج ومأجوج ألفا ... [1].

وما رواه الطبرى بسنده عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يأجوج ومأجوج من نسل آدم[2] وقيل إن يأجوج من الترك ، ومأجوج من الجيل[3] والديلم[4] ، ولا تعارض بين ما سبق وبين هذا القول لأنه بيان للفرع الذى ينتمون إليه من ذرية نوح - عليه السلام - ونوح أبو البشر الثاني .

٢ - صفاتهم وعددهم :

روى الطبرى بسنده عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يأجوج ومأجوج أمم كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف[5] بين

---

(١) انظر : صحيح البخارى : ٤/ ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) من حديث متفق عليه . انظر : صحيح البخارى : ٤/ ١٠٩ ، ١١٠ .

(٣) انظر : جامع البيان . للطبرى : ١٧/ ٨٧ .

(٤) الديلم : اقليم العجم . انظر : القاموس المحيط " باب الميم - فصل الدال " .

(٥) انظر : الكشاف . للزمخشرى : ٢/ ٤٩٨ ، ولواسع الأنوار البهية للسفارينى : ص ١١٤ .

يد يه من صلبه [١] . وروى أيضا بسنده عن ابن عباس قال (.... كان أبو سعيد الخدري يقول : إن نبي الله - صلى الله عليه وسلم قال: لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل " . قال : وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول : لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه [٢] .

ثم روى الطبري بسنده عن أبي العالية قال : "إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الأنس الضعف [٣] .

ولعل المقصود بذلك ضعف عدد الأنس سواهم .

وروى الطبري بسنده أيضا خبرا عن صفات "يأجوج ومأجوج" وأحوالهم : عن وهب بن منبه قال : (... وكثير منهم مشابه للأنس ، وهم أشباه البهائم ، ويأكلون العشب ، ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ، ويأكلون من حشائش الأرض كلها : من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلقه الله في الأرض ، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد ، ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم ، فإن كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم ، فلا شك أنهم سيملأون الأرض ويجلون أهلها ضيما ويظهرون عليها ، فيفسدون فيها ، ولا تمر بنا سنة منذ

---

(١) طرف ببصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر ، وما بقيت منهم عين تطرف أي ماتوا وقتلوا . القاموس المحيط : " باب الفاء - فصل - الطاء " .

(٢) انظر : جامع البيان . للطبري : ١٧/ ٨٧ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ١٦/ ٢٢ .

(٤) " " " : ١٧/ ٨٨ .

جاورناهم[1] إلا ونحن نتوقعهم وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين ... فوجدهم على مقدار واحد ذكرهم وأنثاهم ، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا ، لهم مخالب في موضع الأظافر من أيدينا وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها ، وأحناك كأحناك الإبل قوة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل أو كقضم الفحل المسن ، أو الفرس القوي ، وهم هلب[2] طيبهم من الشعر على أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به الحر والبرد إذا أصابهم ، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان ، احداهما : وبرة[3] ظهرها وبطنها ، والأخرى زغبة[4] ظهرها وبطنها تسعانه إذا لبسهما فيلتحف إحداهما ويفترش الأخرى " .

ويضيف في إحداهما ويشتي في الأخرى ، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه وينقطع عمره ، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ، ولا تموت أنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد .

فإذا كان ذلك أيقن بالموت ، وهم يرزقون التنين[5] أيام الربيع

---

(١) يروى وهب هذا الخبر عن رجل من جيران يأجوج ومأجوج .

(٢) هلب : شعر ذنب الفرس وغيره ، ولعله يعني أن لهم شعرا طويلا في أجسادهم . أنظر : أساس البلاغة للزمخشري : ص ١٠٦٤ .

(٣) وبره كثيرة الوبر أو الشعر ، والوبر للابل كالشعر للغنم . المصباح المنير ٢/١٠٠ .

(٤) زغبة عليها ريش أصفر كالذي على ريش الفرخ ، مختار الصحاح ص ٢٧٢ .

(٥) التنين : كسكين . حية عظيمة . القاموس المحيط : " باب النون . فصل التاء "

ويستمطرونه اذا تحينوه كما تستطر الغيث لحينه فيقذفون منه كل سنة بواحد فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم ، فاذا مطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا ورؤى أثره عليهم ، فدرت عليهم الإناث وشبقت[1] منهم الرجال الذكور ، وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا وجفرت[2] الذكور وحالت الاناث وتبين أثر ذلك عليهم .

وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم[3] .

وتعقب الحافظ ابن كثير هذه الأخبار عن صفات وأحوال يأجوج ومأجوج وقال : " ومن زعم أنهم على أشكال مختلفة وأحوال متباينة جدا فمنهم من هو كالنحلة السحوق ، ومنهم من هو في غاية القصر ومنهم من يفترش أذنا ويتغطى بالأخرى ، فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان ، والصحيح أنهم من بني آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم ، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا[4] ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن"[5] وهذا فيصل في هذا الباب وغيره ، ونظرا لأن القرآن

---

(١) الشبق : شبق كفرح : اشتهت ظمته .
القاموس المحيط " باب القاف - فصل الشين " .

(٢) الجفر من أولاد الشاة : ماعظم واستكرش ، أو بلغ أربعة أشهر .
القاموس المحيط " باب الهمزة - فصل الشين " .

(٣) جامع البيان للطبري : ١٦ / ٢١ ، ٢٢ ، قصص الأنبياء . للثعلبي ص ٤١٠

(٤) انظر : صحيح البخاري : ٤/ ١٠٢ ، المسند : ٢/ ٣١٥ ، ٣٢٣ .

(٥) انظر : البداية والنهاية لابن كثير : ٢/ ١١٠

الكريم لم يذكر من صفاتهم شيئا وكذلك السنة الصحيحة ،فلا داعي في الخوض والتخبط في مثل هذه الأمور ،إذ لا فائدة من ذلك ،إنما أوردت ذلك من باب الاستقصاء والتنبيه ،ولأبين أنه لا دليل يستند عليه أولئك الذين أوردوا مثل هذه الأخبار .

٣ - إفسادهم في الأرض :

قال تعالى : " قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا " (١).

اختلف في هذا الإفساد الذي وصف الله به هؤلاء القوم على أقوال منها :-

١ - إنهم كانوا يأكلون الناس . روى هذا الطبري بسنده عن سعيد ابن عبد العزيز (٢).

٢ - وقيل : إن إفسادهم باعتبار ما سيكون عند خروجهم قرب قيام الساعة .

٣ - إنهم كانوا يفعلون فعل قوم لوط . قاله وهب بن منبه .

٤ - إنهم كانوا يقتلون الناس .

٥ - وقيل : لأنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى البلاد المجاورة لهم فلا يدعون شيئا خضرا إلا أكلوه ،ولا يابسا إلا احتملوه معهم قاله ابن السائب .

---

(١) سورة الكهف آية : ٩٤ .

(٢) جامع البيان للطبري : ١٦/ ١٧ .

٦ - وقيل : سائر أنواع الإفساد المعروفة عند البشر من الظلم والغشم وغيرهما [1].

ولعل هذا القول الأخير هو أرجح الأقوال لشموله أنواع الإفساد .

٤ - بناء السد :

ونتيجة لذلك الإفساد الذى وصف الله به " يأجوج ومأجوج " استغاث القوم المجاورون لهم بذى القرنين حين رأوا عدله وصلاحه وتمكين الله له بالقوة والمهابة والسلطان ، وطلبوا منه أن يقيم بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا منيعا يحول دون خروجهم عليهم ، وفي مقابل ذلك عرضوا عليه جعلا في أموالهم ولكن ذا القرنين امتنع عن أخذ الأجر وقال : إن ما مكنني فيه ربي من السلطان والقوة والقدرة على بناء السد ، وغيره خير من أجركم الذى تعرضونه علي ، ولكن أعينوني برجال وصناع مهرة يحسنون العمل والبناء ، وبآلات ومعدات أستعين بها على

---

(١) انظر : جامع البيان للطبرى : ١٦ / ١٧ ، وزاد المسير لابن الجوزى : ٥ / ١٩ ، وأنوار التنزيل . للبيضاوى : ٢ / ٢٥ ، البحر المحيط . لأبى حيان : ٦ / ١٦٤ ، والكشاف . للزمخشرى : ٢ / ٤٩٩ ، ومدارك التنزيل للنسفي : ٢ / ٢٥ ، وروح البيان . للبروسوى : ٥ / ٢٩٧ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣١٢ ، والجواهر فى تفسير القرآن . لطنطاوى جوهر : ٩ / ١٩٩ ، والكامل في التاريخ . لابن الاثير : ١ / ٢٨٦ ، وحياة الحيوان الكبرى . للدميرى : ٢ / ٤٠٧ .

تنفيذ طلبكم[1] .

وهذا القول من ذى القرنين كقول سليمان بن داود - عليه السلام - حين أرسلت إليه ملكة سبأ بهدية : " فما آتاني الله خير مما آتاكم "[2].

وإنما طلب منهم ذو القرنين ما طلب ليقيم لهم ردما قويا والردم هو الحائط وهو أمنع وأقوى من السد .

وطلب ذو القرنين منهم أن يأتوه بزبر[3] الحديد وهى القطع الكبيرة منه ، ثم حفر الأساس حتى بلغ الماء فجعل فيه الصخور والنحاس المذاب ، ثم وضع قطع الحديد بعضها على بعض مع الحجارة والفحم والحطب حتى صارت تسد ما بين الصدفين أى رأس الجبلين المتقابلين إلى أعلاهما ، ثم وضعت المنافخ والأكيار وأمرهم بالنفخ حتى صارت تلك القطع نارا أى كالنار في شدة احمرارها وشدة لهيبها ، ثم أمرهم بصب القطر المذاب على الحديد المحمي .

واختلف المفسرون في معني القطر على أربعة أقوال :

الأول : أنه النحاس المذاب .

الثانى : أنه الرصاص المذاب .

الثالث : أنه الحديد المذاب .

---

(١) انظر : جامع البيان . للطبرى : ١٦/ ٢٣ ، ٢٥ ، وأنوار التنزيل . للبيضاوى ٢/ ٢٥ .

(٢) سورة النمل من الآية : ٣٦ .

(٣) الزبر : بالضم : القطعة من الحديد . جمعها زبرة . القاموس المحيط : " باب الراء - فصل الزاى " .

الرابع : أنه الصخر المذاب . فصب هذا القطر المذاب على الحديد المحمي حتى التصق بعضه ببعض وصار كالجبل الشامخ العلي[1].

وقيل : إنه لم يكن السد طبقة واحدة ، بل كان بنيه طبقة طبقة فيأمر بوضع طبقة من الحديد مع الحجارة ، ثم يوقد عليها بالفحم والحطب حتى تحمي ، ثم يؤتى بالقطر المذاب فيفرغه على تلك الطبقة حتى تلتئم وتشتد ، ثم توضع طبقة أخرى ، وهكذا حتى أتم بناء السد على هذا المنوال[2].

وقيل : كان بناؤه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بواسطة كلاليب من الحديد وصب النحاس المذاب في تجاويفها حتى لم يبق فيه فجوة أبدا[3].

وهذه الأقوال ليس لها أصل من وحي الله - عز وجل - ، وإنما هي أقوال واجتهادات المفسرين تفتقر إلى الدليل الصحيح الذي يعضدها .

لكن هذه الأقوال مجمعة على أنه سد قوي لا يستطيعون اجتيازه حتى يأتي اليوم المعلوم .

---

(١) جامع البيان للطبري : ١٦/ ٢٢ ، ٢٦ . تفسير الماوردي : ٢/ ١٧٧ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١١/ ٥٩ ، ٦١ . البحر المحيط ٦/ ٦٤ ، تفسير ابن كثير : ٣/ ١٠٤ ، فتح القدير ٣/ ٣١٣ ، ٣١٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١١/ ٦٢ .

(٣) روح المعاني . للألوسي : ١٦/ ٤٢ .

٥ - صفـــة الســـد :

روى الطبرى بسنده عن وهب بن منبه فى صفة سد يأجـــوج ومأجوج قوله : " فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصـرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلى مشـــرق الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ ، فلما أنشأ في عملـــه حفر له أساسا حتى بلغ الماء ، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور ، وطينه النحاس المذاب يذاب ثم يصب عليـــه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ، ثم ملاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب ، وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنـــه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد "[1] .

وهذه الأخبار التى ذكرت ليس لها سند ودليل ، وإنما ذكرتهـا لأبين أنها مجرد أخبار محتملة للصدق والكذب وأوردتها للتنبيـــه عليها .

وروى الطبرى بسنده عن قتادة قال : " ذكر لنا أن رجلا قـــال : يانبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج ، قال : انعته لـــي قال : كأنه البرد[2] المحبر ، طريقة سوداء وطريقة حمراء ، قال : قـــد رأيتـــه !! "[3] .

---

(١) جامع البيان للطبرى : ١٦ / ٢٠ ، وقصص الأنبياء للثعلبى ص ٤١٠ .

(٢) البرد : بالضم : ثوب مخطط و أكسية يلتحف بها . القاموس المحيـط : " باب الدال - فصل الباء " .

(٣) جامع البيان للطبرى ١٦ / ٢٣ ، وذكره البخارى تعليقا : ٤ / ١٠٩ .

وقيل : ارتفاع السد مائتا ذراع ،وطول الجبلين اللذين بني السد بينهما مائة فرسخ[١] .

وذكر الثعلبي أن الخليفة العباسي الواثق بعث رسلا لاستكشاف سد ذي القرنين ولينظروا كيف بناه . وعلى أي صفة - هو ،فلما رجعوا بعد سنتين أخبروه بصفته وأن له بابا عظيما عليه أقفال وأنه بناء عظيم محكم شاهق منيف جدا[٢].

قال ابن كثير : لا يعرف على وجه الأرض بناء أجل ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم[٣] هذا ما قالوا .

غير أني أقول : إن القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن تفاصيل بناء السد وصفته ،ولا السنة الصحيحة . أيضا ،وإنما وردت في ذلك أخبار معظمها عن أهل الكتاب ،وانما أوردتها لأنه أنها لا تستند إلى دليل يوثقها ،فهي مجرد أخبار محتملة للصدق والكذب الا أن في القرآن إشارة إلى قوة السد ومناعته وشموخه وذلك في قوله : " فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا "[٤].

بحيث إن يأجوج ومأجوج لم يستطيعوا أن يعلوه ،وذلك لعلوه وملاسته ،وما استطاعوا أن ينقبوه ويحدثوا فيه فجوة لينفذوا من خلالها ،وذلك لكونه قويا منيعا حصينا . وبعد قيام السد ،اطمأن ذو القرنين ،وأمن القوم وطمأنهم من غوائل

---

(١) لوامع الأنوار . للسفاريني : ٢ : ١١٨ .

(٢) قصص الأنبياء . للثعلبي : ص ٤١٢ ، ٤١٣ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير : ٢/ ١١١ .

(٤) سورة الكهف : الآية : ٩٧ .

وظلم وبطش يأجوج ومأجوج "[1].

وبناء السد تم الفصل بين الصالح والطالح والحق والباطل واهتداء ذي القرنين لخلط الحديد والنحاس لتقويته ، وإخبار القرآن بذلك منذ أربعة عشر قرنا سبق طي العلم البشري الناقص الذي لم يهتد إلى هذا إلا منذ زمن قليل[2].

٦ - خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان وافسادهم :

قال الله تعالى : مخبرا عن اندكاك السد واقتراب الوعد الحق : " قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا ، وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا "[3].

وخروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة كما في الحديث الصحيح عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : " طلع علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن نتذاكر فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات ، فذكر : الدخان ، والدجال والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم - صلى الله عليه وسلم - ويأجوج ومأجوج ....."[4].

---

(١) جامع البيان للطبري : ١٦/ ٦٢ ، روح المعاني للألوسي ١٦/ ٤١ ، قصص القرآن لمحمود زهوان ٢٤٥ .

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب : ٤/ ٢٢٩٣ .

(٣) سورة الكهف . الآيتان : ٩٨ ، ٩٩ .

(٤) انظر : صحيح مسلم : ٤/ ٢٢٢٥ ، ومابعدها .

وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لقيت ليلة الإسراء : إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، فتذاكروا أمر الساعة وردوا الأمر إلى إبراهيم ، فقال إبراهيم : لا علم لي بها ، فردوا الأمر إلى موسى فقال موسى : لا علم لي بها ، فردوا الأمر إلى عيسى قال عيسى : أما قيام الساعة فلا يعلمه إلا الله ، ولكن ربي عهد إلي بما هو كائن دون وقتها ، عهد إليّ أن الدجال خارج وأنه مهبطي إليه ، فذكر أن معه قضيبين فإذا رآني أهلكه الله . قال : فيذوب كما يذوب الرصاص ، حتى إن الحجر والشجر ليقول يا مسلم : هذا كافر فاقتله ، فيهلكهم الله ، ويرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شيء إلا أكلوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه فيرجع الناس إلي فيشكونهم فأدعو الله عليهم فيميتهم حتى تجوى[1] الأرض من نتن ريحهم ، فينزل المطر فيجرف أجسادهم فيلقيهم في البحر ، ثم ينسف الجبال حتى تكون الأرض كالأديم ، فعهد إليّ ربي إن كان كذلك : فإن الساعة منهم كالحامل المتم لا يدري أهلها حتى تفجأهم بولادها ليلا أو نهارا ".[2]

---

(١) تجوى : تنتن الأرض من جثثهم .
انظر: لسان العرب لابن منظور مادة " جوى " .

(٢) انظر: جامع البيان . للطبري : ١٦/ ٢٧ ، ٢٨ .

وقد أخرج الطبري بسنده عن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " .... فبينا هو كذلك أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ، فيبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أحدهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ثم يمر آخرهم ثم يقول : لقد كان بهذه ماء مرة فيحاصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدهم من مائة دينار لأحدكم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله . فيرسل الله عليهم النغف[1] في رقابهم فيصبحون فرسى[2] موت نفس واحدة ....."[3].

وقد قال سبحانه مخبرا عن خروجهم : " حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون.واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين "

وروى الطبري في تفسير هذه الآية بسنده عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال عن يأجوج ومأجوج : " ... وهم ولد آدم فيسيرون إلى خراب الدنيا ، يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق ، فيمرون بأنهار الدنيا

---

(١) النغف : الدود الذي يكون في أنوف الابل ، وهو الذي يسلط على يأجوج ومأجوج . انظر: مختار الصحاح . ص ٦٧٠ .

(٢) فرس الأسد فريسته دق عنقها . مختار الصحاح . ص ٤٩٧ .

(٣) انظر : جامع البيان للطبري : ١٧/ ٨٩ ، ٩٠ .

(٤) سورة الأنبياء . الآيتان : ٩٦ ، ٩٧ .

فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة طبريا ، حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون : قد قتلنا أهل الدنيا ، فقاتلوا من في السماء فيرمون بالنشاب[1] إلى السماء فترجع نشابهم مخضبة بالدم ، فيقولون قد قتلنا من في السماء ، وعيسى والمسلمون بجبل طور سيناء ، فيوحي الله - جل جلاله - إلى عيسى أن أحرز عبادي بالطور وما يلي أيلة ، ثم إن عيسى يرفع رأسه إلى السماء ويؤمن المسلمون فيبعث الله طيهم دابة يقال لها النغف ، تدخل من مناخرهم فيصبحون موتى من خناق[2] الشام إلى خناق العراق ، ثم تنتن الأرض من جيفهم ويأمر الله السماء فتمطر كأفواه القرب فتغسل الأرض من جيفهم وتنتهم ، فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها "[3].

وقد أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يأجوج ومأجوج يحاولون كل يوم فتح هذا السد وذلك منذ بنائه وإلى أن يأذن الله لهم بالخروج .

ففي الحديث الصحيح عن زينب بنت جحش أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استيقظ يوما من نومه وهو يقول : " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب !! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا - وعقد سفيان بيده عشرة[4] ، قلت يارسول الله : أنهلك

---

(١) النشاب : النبل الواحدة بهاء : نشابه ، وبالفتح متخذة وقوم نشابة يرمون به والناشب: صاحبه ، القاموس المحيط : " باب الباء - فصل النون "

(٢) قال صاحب اللسان : خناق المفازة : طولها ، وخوتها : سعتها ويقال : خوتها : طولها ، وعرض انبساطها ، وسعة جوفها .
انظر : لسان العرب مادة " خوق " .

(٣) انظر : جامع البيان . للطبري : ١٧ / ٨٧ ، ٨٨ .

(٤) وفي لفظ البخاري (وحلق بأصبعه الأبهام والتي تليها) ، و (عقد بيده

وفينا الصالحون ؟ قال نعم : إذا كثر الخبث[1].

وروى في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم ، حتى إذا كادوا يبرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ، فيعودون اليه كأشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يبرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله ، فيستثني ، فيعودون إليه كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس ، فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع كهيئة الدم ، فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء ، فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيقتلهم بها .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " والذي نفس محمد بيده : إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا[2] من لحومهم ودمائهم[3] .

وقد أخبر الله - جل ذكره - أنه حين يندك السد ويخرجون يموج بعضهم في بعض وذلك لكثرتهم وازدحامهم وتعجبهم من السد ، وعبر عن حيرتهم وترددهم واضطراب بعضهم في بعض بالموج فقال تعالى : " وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور

= = تسمين . راجع صحيح البخاري : ٤/ ١٠٩ .

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم . مراجع " صحيح البخاري : ٤/ ١٠٩ ، وصحيح مسلم : ٤/ ٢٢٠٧ .

(٢) تشكر: تسمن "لسان العرب لابن منظور . مادة " شكر " .

(٣) أخرجه بن ماجة والطبري . راجع سنن ابن ماجة : ٢/ ١٣٦٤ ، ط دار احياء التراث العربي . بيروت . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وانظر : جامع البيان للطبري : ١٦/ ٢١ .

فجمعنهم جمعا [١] .

وتحتمل الآية عدة أوجـــه :

الوجه الأول : أنهم ماجوا حين بنى ذو القرنين السد عليهم ولـــم يستطيعوا الخروج .

الوجه الثاني : أنهم عند خروجهم حين يندك السد في آخـــر الزمان يموج بعضهم في بعض ويزدحمون في البلاد ، ويشربون مياه الأنهار ، ويأكلون دوابها ، ودواب البر ، ومن لم يتحصن من الناس ، ويمنعهم الله تعالى عـن مكة والمدينة والقدس ، ويموجون في بعضهم حـــتى يريح الله منهم العباد والبلاد .

الوجه الثالث : يموج الأنس والجن بعضهم في بعض يوم القيامـــة [٢] يقول الفخر الرازي : " وكل ذلك محتمل إلا أن الأقرب أن المراد الوقت الذي جعل الله ذلك السد دكـــا فعنده ماج بعضهم في بعض ، وبعده نفخ في الصـــور وصار ذلك من آيات يوم القيامة " [٣] .

والقول الأخير - والله أعلم - لعله الأصح ، والسياق يدل عليه في الآية الكريمة حيث ذكر الله - عز وجل - أن بعضهم يموج في بعض ثـــم ينفخ في الصور بعد ذلك ويجمعهم جمعا يوم القيامة . والله أعلم .

---

(١) سورة الكهف الآية ٩٩ .

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٧٢ ، ١٧٣ ، وتفسير الماوردي : ٢ / ١٧٨ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١١ / ٦٥ ، وزاد المسير لابن الجوزي : ٥ / ١٤٥ ، والكشاف للزمخشري : ٢ / ٤٩٩ ، ٥٠٠ وأنوار التنزيل للبيضاوي ، ٢ / ٢٥ ، وتفسير ابن كثير : ٣ / ١٠٥ ، وروح المعاني للألوسي : ١٦ / ٢٣ .

(٣) التفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٧٢ ، ١٧٣ .

المبحث الثالث

من صور الصراع

قد أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح عنه الى اقتراب موعد فتح سد يأجوج ومأجوج ، فقد روت زينب بنت جحش أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها فزعا يقول : "لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعه الإبهام والتي عليها "[1].

قال ابن كثير : إن هذا الحديث يحتمل أن يكون إشارة على سبيل الاستعارة المحضة إلى انفتاح أبواب الشر والفتن[2] التي تتعاقب على الناس يوما بعد يوم ، ولعلها الفتن التي ظهرت وتظهر في العالم من بوادر هذا البلاء العام كالحروب الطاحنة التي تلتهم ملايين البشر ، والصراعات المذهبية الكثيرة التي يعاني منها العالم اليوم الأمرين وبخاصة العالم الإسلامي والعالم العربي ، ولعل قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعني العرب وما سيلحقهم من آثار تلك الفتن والصراعات التي يجرهم إليها المغامرون الطغاة من عملاء الشرق والغرب[3].

فالحق والباطل في صراع مستمر منذ أن خلق الله آدم وإبليس إلى قيام الساعة فللحق جنود وللباطل جنود ، والمعركة مستمرة حتى يأذن الله بانقضاء الأجل المقدر .

....

---

(١) الحديث متفق عليه . انظر صحيح البخاري : ٤ / ١٠٩ "واللفظ للبخاري"

(٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير : ٢ / ١١٢ .

(٣) انظر : قصص وعبر . لمحمد المجذوب : ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

المبحث الرابع

من نتائج الصراع

أولا : إذا كانت قصة موسى والخضر - عليهما السلام - قد أظهرت مكانة العلم وأهمية الجهاد في طلبه وأظهرت أمثلة رائعة للعدالة والرحمة لأفراد مخصوصين ، فإن قصة ذى القرنين أكدت وأبرزت معاني رائعة للعدالة الربانية التى تعطي كل ذى حق حقه (١).

يوضح ذلك سلك ذى القرنين فى معاملة أهل البلاد التى فتحها واستولى عليها ، فقد سلك مسلكا فريدا لم يسبقه اليه أحد من الفاتحين والملوك والقواد ، حيث أعلن مبدأ فريدا من نوعه يتعامل به مع سائر الناس على حد سواء ، وذلك المبدأ هو إعلانه الصريح الذى بينه الله تعالى في قوله :

" قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا . وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا (٢)!

ما أفضله من مبدأ ، وما أعدلها من شريعة ، وما أسماه من خلق وسيره ! أما المؤمنون الصالحون فلهم جزاء الحسنى والمعاملة الكريمة ، وهذا دين الحكم الصالح في كل زمان ومكان ، فالصالحون لهم المعاملة الكريمة والطالحون ينالون عقابهم .

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٠٢ .

(٢) سورة الكهف الآيتان : ٨٧ ، ٨٨ .

أما إذا اختلت المعايير وأسند الأمر إلى غير أهله، وأصبح المجرمون والمفسدون مقربين إلى الحاكم يجدون في دستور حكمه متنفسا يشجعهم على الإفساد، وأبعد الصالحون عن مقاليد الأمور وحوربوا، فإن نظام الجماعة يصير إلى الاضطراب والفوضى والفساد[1].

وبهذا العدل والإنصاف والتقى مكن الله ذا القرنين في الأرض، فبسط سلطانه ونفوذه على معظم أنحاء المعمورة ونشر فيها العدل والصلاح والأمن والرخاء والاستقرار[2].

ثانيا: إذا كان المعهود في الفتوحات العسكرية القديمة والحديثة عند تحقيق أهدافها: التدمير والقضاء المبرم على الخصوم بقتلهم أو استرقاقهم أو بإفساد حرثهم ونسلهم وخراب أوطانهم حتى تصير أنقاضا وأشلاء يطؤها الفاتح المتجبر المغرور بانتصاره وقد رتته على الإبادة، فإن فتوحات ذي القرنين كانت تختلف عن تلك الفتوحات حيث كان غرضه وهدفه إقامة مثال للحكم الرباني لتحقيق العدل، ودحض الظلم، ونشر الدين، ورد الناس إلى ربهم وحماية الضعفاء، وتأديب الظالمين، ورد هم إلى الصواب لينتصر الحق على الباطل في أنحاء المعمورة.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن. لسيد قطب: ٤/ ٢٢٩١، وتأملات في سورة الكهف. لأبي الحسن الندوي: ص ١٠٢.

(٢) انظر: إيجاز البيان في سور القرآن. محمد علي الصابوني: ص ٧٧، ط: مكتبة الغزالي بدمشق - الطبعة الثانية - ١٣٩٩ هـ.

كما كانت فتوحات ذى القرنين دروسا وعبرا للحكام والفاتحين ليقتدوا بها في كل زمان ومكان ، فهي تعلمهم أن الفتح ليس طريقا للظلم والعدوان ، وأن الحاكم العظيم ليس القادر على النهب والإبادة ، ولا الذى تسيطر عليه نزوات الحقد وشهوات الباطل ، بل هو الذى يستخدم كل الوسائل التى تيسر له إسعاد الإنسان ورفاهيته ، ونصر الحق ، ويخضع كل طاقاته لطاعة ربه ، وتنفيذ أوامره .(١)

ثالثا : كانت رحلات ذى القرنين للشرق والغرب والشمال وما بينها لإقرار العدل ومنع الظلم ، وحماية الضعفاء ، وأقرب مثل لرفع الظلم عن المظلومين ، والقضاء على الفساد فى الأرض بناؤه للسد حين طلب منه ذلك ليفرق به بين الظالم والمظلوم والحق والباطل والصالح والطالح ، ويمنع وقوع الفتن التي تهدد الآمنين في تلك المنطقة .

رابعا : عمل ذو القرنين بكل ما أوتي من قوة على تسخير القوى المادية لخدمة دعوة الحق وإسعاد الإنسانية ، وذلك بعد أن سخر الله له سائر الأسباب والوسائل مع الإيمان بالله وباليوم الآخر والإقرار بالضعف أمام الخالق ، والإذعان لأوامره ، والرحمة بالأمم الضعيفة خاصة وبالإنسانية عامة ، وحماية الحق وتكوين المجتمع الصالح ، وإعلاء كلمة الله وإخراج الناس من عبادة العباد

---

(١) قصص وعبر . لمحمد المجذوب : ص ٢٠١ .

والمادة الى عبادة الواحد القهار ،وهذا منهج سار عليه بعد ذى القرنين الرسل ـ عليهم السلام ـ والخلفاء الراشدون والأئمة المهديون في مختلف أرجاء المعمورة ،وفي سائر العصور والأزمان .

والنقطة الفارقة بين هذا المنهج ومنهج الحضارات الاخرى : أن الحضارات الاخرى الحاضرة تسير على منهج مغاير تماما للمنهج الصالح الذى انتهجه ذو القرنين ،فهي تسخر القوى المادية ـ مع الكفر والإلحاد والدعوة إلى عبادة المادة والشهوات البهيمية ـ لغير صالح الإنسانية فهذه الحضارة تعمل ليلا ونهارا فى صنع وإعداد آلات التدمير والخراب ،وهي إن وجدت فرصة متاحة للتدمير عمدت إليها بشتى الوسائل والطرق في غير رحمة ولا هوادة.(١)

خامسا : حينما قام ذو القرنين ببناء السد العظيم الذى لم يقم مثله من قبل لضخامته وقوته ،لم يأخذه البطر والغرور ،ولم تسكره نشوة القوة والعلم ،ولكنه ذكر الله وفوض الأمر إلى خالقه .

فشكره وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك يوم القيامة فتعود الأرض جرداء مستوية ،وهذا بخلاف ما عرف عن القادة والزعماء والملوك حينما ينجز أحدهم عملا جبارا يسرجع ذلك إلى حنكته وقدرته وذكائه ،ونتيجة لذلك يصاب

---

(١) انظر: تأملات فى سورة الكهف . لأبي الحسن الندوى . ص ١٠٥ - ١٠٨ .

بالغرور والتكبر والبطر إلا من عصمه الله بإيمان ويقين راسخين[١].

سادسا : وقصة ذى القرنين تصور تصور العلم البشرى المحدود بالمقارنة إلى العلم الإلهي الواسع الذى لا حدود له، وقد يدرك بعض الناس الغرور إذا أدركوا شيئا أو اكتشفوا بعض الأسرار في أنفسهم أو في الآفاق، فتأخذهم نشوة الظفر العلمي فيتبادر إلى أذهانهم أنهم يعلمون الشيء الكثير، ولكنهم في حقيقة الأمر لم يصلوا إلا إلى النزر القليل من العلم، ومصداق ذلك قوله تعالى : " ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "[٢].

والإنسان لا يستطيع أن يعرف من علم الله الواسع إلا ما يناسب قدراته المحدودة، وإذا عرف شيئا أو اكتشف سرا من أسرار الكون حسب طاقاته البشرية لزمه أن يتواضع لخالقه كما فعل ذو القرنين، فقد تواضع لله تعالي في قوله تعالي على لسان ذى القرنين : " قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا "[٣] فلنتأسي به الإنسانية على مر القرون والأجيال .

. . . . . .

---

(١) انظر : تأملات فى سورة الكهف . لأبى الحسن الندوى : ص ١٠٥ - ١٠٨

(٢) سورة الإسراء . الآية : ٨٥ .

(٣) سورة الكهف . آية : ٩٨ . انظر : فى ظلال القرآن . لسيد قطب : ٤/ ٢٢٩٧ .

الفصـــل الســـادس

منهج السورة في تصحيح العقيدة ، وتقرير قيمتهـــــا

المبحث الأول

تصحيح العقيدة

أ - آيات الموضوع :

قال تعالى : " الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا. قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا . ماكثين فيه أبدا. وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا. مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا " (١).

وقال تعالى : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا. قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " (٢).

ب - مجمل معاني الآيات :

يبين الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآيات الكريمة طريق الاستقامة مقرونا بالصراحة وتوجا بحمده ، حيث أنزل على عبده

---

(١) سورة الكهف الآيات : ١ - ٦ .

(٢) السورة نفسها : الآيتان : ١٠٩ ، ١١٠ .

الكتاب دون التواء أو مداراة أو غموض ، بل صراحة مطلقة لا تشوبهـــا شائبة ، ففي بدء الآية الأولى تتجلـى أسس العقيدة واضحـــة نيرة مزيلة كل لبس أشاعه المشركون وروجه المبطلون ، فالله منزل الكتاب على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو عبده وكـــل الناس عبيده وأبناء عبيده ، وهو المستحق دون غيره للحمد والثناء والعبادة ، فانتفى عنه الشارك والماثل والصاحبة والولـــد .

وهذا الكتاب المنزل قيم لا لبس فيه ولا اعوجاج ، وبذلك تتأكد الاستقامة أحيانا بنفي العوج وأحيانا بواسطة الإتيان بالاستقامة والقصد من تنزيل الكتاب هو تحذير وإنذار للكافرين من بأس الله الشديد وتبشير المؤمنين بالثواب الحسن والعاقبة الحميدة ، ويرد الإنذار شديدا واضحا صريحا ، لكنه أحيانا يأتي به مجملا كما في قوله تعالى : " لينذر بأسا شديدا من لدنه " وأحيانا يذكره مخصصا كما في قوله تعالى : " وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا " .

ثم يستمر في توضيح منهجهم الفاسد الذى اتخذوه قاعدة لحكمهم وجعلوه من أهم وأعظم قضايا الكون ألا وهي قضية العقيدة " مالهم به من علم ولا لآبائهم " ، فلا أقبح ولا أشنع من أن يقولوا قولا جزافا دون سابق معرفة " كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا " ، وتجمع هذه الألفاظ عبارة (كبرت) التى تحمل معاني التشنيع لما ينطق به هؤلاء ، ولتشد السامع الى الضخامة والشناعة .

ثم يرد التعقيب على ذلك مؤكدا عن طريق النفي والإستثناء "إن يقولون إلا كذبا" وجاءت كلمة (إن) للنفي لا كلمة "ما" لأن في الأولى صرامة بالسكون الواضح ،وفي لفظ "ما" شيء من الليونة بالمد ،ولزيادة القوة ،والإنكار ،وللتوكيد على كذب الكلمة الكبيرة .

وبما يشبه الإنكار يخاطب الله - سبحانه وتعالى - رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - في أمر حزنه حين كذبه قومه وأعرضوا عن طاعته بقوله : "فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا" .

ويمضي السياق في بيان أن الله قد جعل ما في الأرض من زينة وزخارف وكثرة أموال وأولاد وأمتعه ابتلاء وامتحانا لأهلها ليبين من يستحق هذه النعم ومن لا يستحقها ،والله يعلم ويكافيء على ما يصدر من العباد فعلا وما يمارسونه في الحياة قولا وعملا علما بأن زينة الحياة الدنيا فانية لا محالة ،وستتحول الأرض وما عليها من زينة في الوقت الذي قدره الله إلى سطح جدب خشن صلد لا حياة عليها ،ولهذا فليتسابق المتسابقون إلى فعل الخيرات[1].

---

(١) جامع البيان للطبري : ١٥/ ١٩٠ - ١٩٣ ،والتفسير الكبير للرازي : ٢١/ ٧٣ - ٧٧ ،وفتح القدير للشوكاني : ٣/ ٢٦٩ ، ٢٧٠ ،وفي ظلال القرآن . لسيد قطب: ٤/ ٢٢٥٩ - ٢٢٦٠ ،وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٢/ ٤ ،وتفسير القرآن العظيم . لابن كثير: ٣/ ٧١ ، ٧٢ .

ثم يكشف الله لعباده الستار عما أوتوا من علم بتصوير العلم البشرى المحدود قياسا إلى علمه - عز وجل - الذى لا تحده حدود ، وذلك بتقريبه إلى مدارك البشر بمثال حسي ملموس لتقريب إلى أذهانهم " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا " .

فالبشر لا يعرفون أعمق من البحر ولا أوسع مساحة ولا أغزر ماء منه ، والبشر فى تدوينهم لمعارفهم يكتبون بالمداد ، والله يعرض لهم البحر كأنه مداد يكتبون به كلمات الله ، فإذا البحر ينضب وكلمات الله لا تنتهي ، ثم يمد هم الله ببحر آخر فإذا به ينتهي وكلمات الله تطلب الزيادة ، وهكذا يستمر التصوير المحسوس والحركة المجسمة الدائبة لتقريب المعنى إلى أذهان البشر ، وهو معنى محدود يعرفونه من واقع حياتهم ، فإذا كان هذا شأن المحدود فكيف بعلم الله غير المحدود !؟

وهكذا يضرب القرآن الأمثال للناس ليقرب إلى حسهم معانيه العظيمة التى تبهر العقول بتصويرها في مشاهد ذات أسس وخصائص ثابتة ، والبحر فى هذا التصوير الرائع يمثل علم الإنسان الذى يعتقد أنه واسع غزير مع كونه في سعته وغزارته ضيق محدود ، وكلمات الله لا تنتهي لأنها تمثل العلم الإلهي الذى لا تحده حدود ولن يستطيع البشر الوصول إلى نهايته مهما أوتوا من علم

وقد يدرك البشر زهوة الغرور بما يصلون إليه ويحققونه من

اكتشافات ،علمية متقدمة في نظرهم ،فتأخذهم نشوة الظفر العلمي ويتصورون أنهم أدركوا كل شئ .

غير أن المجهول يوقفهم بآفاقه الواسعة فإذا هم لم يقطعوا إلا نذرا قليلا من الشاطئ وإذا بالخضم يحول بينهم وبين ما يعتقدون .

وبهذا التصوير الذى ينحصر فيه علم الإنسان بالنسبة إلى علم الله الذى يوحي إلى رسوله الرسالة الكاملة الشاملة " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " .

وبيان هذا المسلك الرشيد والتوجيه القويم ينفي الشركاء وإثبات التوحيد لله وحده تختم السورة التى بدأت بذكر الوحي والتوحيد و ختمت بها (١) .

ج - أسباب النزول :

ذكر الواحدى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن اليهود قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - حين تلى عليهم " وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " .

---

(١) انظر: جامع البيان للطبرى : ١٦ / ٣٩ ، والتفسير الكبير للرازى : ٢١ /١٧٧ وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣١٨ ، وفي ظلال القرآن . لسيد قطب: ٤ / ٢٢٩٦ ، ٢٢٩٧ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى : ٢ / ٢٧ ، وتفسير القرآن العظيم . لابن كثير : ٣ / ١٠٨ .

قالوا : كيف وقد أوتينا التوراة وفيه خير كثير ، فأنزل الله " قل لو كان البحر مدادا " الآية[1] ، وعن ابن عباس أيضا أن جندب بن زهير الغامدى قال : إني أعمل العمل لله فإذا أطلع الناس عليه سرني ذلك فقال رسول الله : - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا ولا يقبل ما روئي فيه ، فأنزل الله تعالى : " فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا " الآية .

....

---

(١) انظر : أسباب النزول . للواحدى : ص ١٧٢ ط : الحلبى بمصر الطبعة الاولى ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٤ م .
ولباب النقول في أسباب النزول : ص ١٨٦ " هامش تفسير ابن عباس المسمي بتنوير المقباس . ط : المطبعة الأزهرية ١٣١٦ هـ " .

المبحث الثاني

معايير السورة في تقرير القيم والجزاء

١ - آيات الموضوع :

* قال الله تعالى : " انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا "(١).

* وقال تعالى : " واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا . واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا "(٢).

* وقال تعالى : " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا . إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لا يبغون عنها حولا "(٣).

---

(١) سورة الكهف الآيتان : ٧ ، ٨ .
(٢) السورة نفسها : الآيات : ٢٧ - ٢٩ .
(٣) السورة نفسها : الآيات : ١٠٣ - ١٠٨ .

ب - مجمل معاني الآيـــات :

١ - في هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى أنه جعـــل ما في الأرض من نبات وحيوان ومعادن ومتاع وزخارف زينـــة للحياة الدنيا وابتلاء واختبارا لعباده ، ليعلم من يمتثل أمره ويجتنب نواهيه ، ومن يعصيه ويخالف أوامره ، ثم يجعـــل هذا المتاع في نهاية الأمر كأن لم يكن صعيدا . أي : أرضا مستوية لا نبات عليها ولا زرع ، وتلك النهاية محتومة قبل يوم القيامة (١).

٢ - إن القيمة الحقيقية في هذه الحياة ليست في كثرة المال أو الولد أو الجاه أو السلطان أو النسب أو الإنغماس في الملذات ، فهـذه قيم زائلة زائفة والإسلام لا يحرم الطيبات . كما قال تعالـــى : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات مـــن الرزق (٢) ، ولكنه لا يجعل الغاية في حياة الإنسان ، فمن أحـــب أن يتمتع بها في نطاق ما أحل الله فليتمتع مع الإقرار بالشكـــر للمنعم حيث تفضل عليه بذلك ، فعلى المؤمن أن يتحلى بالصبر في سبيل طاعة الله ، وأن يكون قوي الشكيمة رابط الجـــأش

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري ١٥ / ١٩٥ ، والتفسير الكبير للرازي ٢١٠ / ٨٠ وفتح القدير للشوكاني ٣ / ٢٧٠ ، ٢٧١ . وفي ظلال القرآن لسيـــد قطب ٤ / ٢٢٢٠ . وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير حـ ٣ ص ٧٢ . وأنوار التنزيل للبيضاوي حـ ٢ ص ٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٣٢ .

ب - مجمل معاني الآيـــات :

١ - في هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه وتعالى أنه جعـــل ما في الأرض من نبات وحيوان ومعادن ومتاع وزخارف زينـــة للحياة الدنيا وابتلاء واختبارا لعباده ، ليعلم من يمتثل أمره ويجتنب نواهيه ، ومن يعصيه ويخالف أوامره ، ثم يجعـــل هذا المتاع في نهاية الأمر كأن لم يكن صعيدا . أي : أرضا مستوية لا نبات عليها ولا زرع ، وتلك النهاية محتومة قبل يوم القيامة (١).

٢ - إن القيمة الحقيقية في هذه الحياة ليست في كثرة المال أو الولد أو الجاه أو السلطان أو النسب أو الإنغماس في الملذات ، فهذه قيم زائلة زائفة والإسلام لا يحرم الطيبات . كما قال تعالـــى : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات مـــن الرزق (٢) ، ولكنه لا يجعل الغاية في حياة الإنسان ، فمن أحـــب أن يتمتع بها في نطاق ما أحل الله فليتمتع مع الإقرار بالشكـــر للمنعم حيث تفضل عليه بذلك ، فعلى المؤمن أن يتحلى بالصبر في سبيل طاعة الله ، وأن يكون قوي الشكيمة رابط الجـــأش

---

(١) انظر : جامع البيان للطبري ١٥ / ١٩٥ ، والتفسير الكبير للرازي ٢١٠ / ٨٠ وفتح القدير للشوكاني ٣ / ٢٧٠ ، ٢٧١ . وفي ظلال القرآن لسيـــد قطب ٤ / ٢٢٢٠ . وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير حـ ٣ ص ٧٢ . وأنوار التنزيل للبيضاوي حـ ٢ ص ٤ .

(٢) سورة الأعراف الآية ٣٢ .

لا تزعزعه الأهواء ،وأن يتأسى بما أمر الله به رسوله بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لا يريدون إلا رضاء الله وثوابه ،وذلك أجمل وأفضل وأسمى مما يبتغيه طلاب الدنيا .

فعلى المؤمن أن يجالس ويصاحب المؤمنين الأتقياء وإن كانوا من الفقراء والضعفاء لأنّ في مجالستهم الثواب العظيم والخير الكثير كما أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بذلك ،والدعوات لا تقوم بطلاب الدنيا وملذاتها وزخارفها ،وإنما تقوم بالمؤمنين الأتقياء الذين يتوجهون إلى الله ولا يبتغون جاهها ولا متاعها ولا سلطانا ولا علوا في الأرض ،وإنما يبتغون وجه الله ولقاءه فالله يحث نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - ويقول : لا تصرف اهتمامك إلى من يريد أن يستمتع بمظاهر الحياة الدنيا وزينتها ،فإن هذه الحياة الوضيعة الحقيرة لا يمكن أن ترتقي وتصل إلى سمو ورفعة ما يطلبه الذين يريدون وجه الله ويدعونه بالغداة والعشي .

أما أولئك الذين أغفل الله قلوبهم عن ذكره فلا تسمع كلامهم ولا تطعهم فيما يطلبون ،لأنهم يريدون أن يميزوا أنفسهم عن هؤلاء الفقراء ،فهم لو عرفوا الله حق معرفته واستشعروا عدل الله الذي تتساوى فيه الخلائق لعلموا أنه لا فرق بين صغير وكبير ،وغني وفقير ،وعزيز ووضيع ،ولا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى . إن أكرم الخلائق

عند الله أتقاهم ،لكنهم ظلوا فى طغيانهم يعمهون ويأعمال الجاهلية يقتدون ، فجزاؤهم بسبب غفلتهم عن ذكر الله الإغفال والإهمال .

وهذه الغفلة التى وصفوا بها انما حصلت حينما اتجهوا إلى جمع المال والاكثار من الولد ، حيث لم يبق فى قلوبهم متسع لله تعالى ، فان القلب حينما ينصرف إلى الانشغال بهذه الشواغل ويجعلها غاية منتهاه وحقيقة مقصده لا شك أنه يغفل عن ذكر الله فيطيع الله عليه ويزيده غفلة وانشغالا حتى تضيع الفرص من بين يديه ولا يبقى أمامه سوى العذاب الذى أعده الله للظالمين .

ثم أمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه - صلى الله عليه وسلم - بأن يبين لهؤلاء الذين أغفل الله قلوبهم عن ذكره أن رسالة الإسلام التى حملها للعالمين هي الحق الجلي الواضح الذى لا غموض فيه ولا مداهنة ، وقد جاءت لتخرج الناس من الظلمات الى النور ومن الضلال إلى الهدى ، وهذا الحق لا ينثنى ولا ينحنى ولا يخضع لكائن من كان ، بل الناس فيه سواسية كأسنان المشط ، فلا يفرق بين غنى وفقير ،وسيد ومسود ، وصغير وكبير .

وبعد هذا البيان فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ومن لم يعجبه الحق ولم يخضع كبرياءه وجبروته وفطرسته وتكبره ، ولم يظهر تذلله وانقياده وخشوعه وخضوعه لله فإنه لا حاجة لله فى إيمانه ، ومن ترفع على المؤمنين وتكبر عليهم فلا خير فيه[1] .

---

(١) انظر : جامع البيان للطبرى : ١٥ / ٢٣٤ - ٢٣٧ ، والتفسير الكبير للرازى :

ثم يبين الله تعالى ما أعده لمن يكفر بالحق الذى جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - وينكره من الوعيد الشديد والعقاب وهو النار التى تحيط بهم سرادقها حيث لا يستطيعون الهرب أو الفرار أو الإفلات ، ولا أمل لهم ولا رجاء في خلاصهم من ذلك ، فإن استغاثوا من شدة حرها وعطشها ولهيبها لم يغاثوا إلا بماء مغلى يشوى الوجوه قبل الأفواه والحناجر والبطون ، فبئس الشراب والمكان والمقر وفى هذا تهكم واستهزاء وسخرية من حال الكفار في النار .

وفى مقابلة ذلك يذكر الله تعالى ما أعده لعباده المؤمنين المتقين في جنات عدن حيث تجرى من تحتهم الأنهار فتروبهم وتبهج نفوسهم وتسر أنظارهم ، وهم يرفلون في مختلف أنواع الألبسة الحريرية ، والحلي المتنوعة ، فنعم الثواب والجزاء والمكان والمقر الذى أعده الله لهؤلاء المؤمنين المتقين ، وحسنت وطابت الجنة لهم دار إقامة وخلود .

وبذلك يتجلي عدل الله تعالى ، فمن آمن وعمل صالحا فله الجنة ، ومن كفر فله النار وعذابها [1] .

= ٢١/ ١١٤ - ١١٨ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣/ ٢٨١ - ٢٨٥ ، وفى ظلال القرآن لسيد قطب : ٤/ ٢٢٦٨ - ٢٢٧٠ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٣/ ٨٠ - ٨٢ ، وأنوار التنزيل للبيضاوى =: ٢/ ١٠ - ١٢ .

(١) انظر : جامع البيان للطبرى : ١٥/ ٢٣٧ .
وفى ظلال القرآن . لسيد قطب : ٤/ ٢٢٦٩ .

٣ - في هذه الآيات الكريمة يبين الله - سبحانه وتعالى - الخاسرين في هذه الحياة الدنيا والآخرة ، وهم اليهود والنصارى ومن نحا نحوهم وسلك طريقهم ممن ضل عن طريق الحق والذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وانحرف بهم عن طريق الهدى والعمل الصالح ولم ينته بهم إلى مرضاة الله . لقد كان في ظنهم أن عملهم عمل صالح وأنهم على الحق ، بينما هم في غفلة ولعب ولهو وضلال وهم لا يفطنون لضلال سعيهم ، فبصائرهم في غفلة وقد ضيعوا أوقات حياتهم هدرا وهم لا يشعرون ، فأعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، فإذا انتهى به المطاف إليه انكشف الستار وتجلت الحقيقة .

ثم بين الله من هم هؤلاء الأخسرون أعمالا ، فذكر أنهم الذين كفروا بآيات الله وأنعمه ولقائه ، فأحبط الله أعمالهم ، ولم يقم لهم ، ولا لأعمالهم وزنا وقيمة وثمرة يوم القيامة كما قال تعالى : " وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا "[1] . ثم بعد ذلك جزاؤهم جهنم بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسله سخرية ، بينما المؤمنون لهم وزن وقيمة حسب إيمانهم وعملهم الصالح ، فجزاؤهم جنات الفردوس دار مقامة وخلود لا يبغون عنها حولا ، لأنهم لا يجدون مكانا أعز ولا أفضل وأكرم منها ولا تشتاق نفوسهم إلى سواها ، مع أن النفس البشرية توانة

---

(١) سورة الفرقان . الآية : ٢٣ .

دائما إلى التغيير والتبديل تسأم البقاء على حال واحدة أو في مكان واحد ، وينتهي بها السأم إلى أن تضيق بما هي فيه من رغد العيش ووفرته وترغب في الفرار من حالها وهي فطرة فطر عليها الإنسان ، وجبل ، لحكمة إلهية عليا تناسب كونه خليفة الله في هذه الأرض (١).

ويقول سيد قطب في هذا " هذه هي الفطرة المناسبة لخلافة الإنسان في الأرض فأما في الجنة وهي دار الكمال المطلق فإن هذه الفطرة لا تقابلها وظيفة ولو بقيت النفس بفطرة الأرض ، وعاشت في هذا النعيم المقيم الذي لا تخشى عليه النفاد ولا تتحول هي عنه ولا يتحول هو عنها ، لانقلب النعيم جحيما لهذه النفس بعد فترة من الزمان ، ولأصبحت الجنة سجنا لنزلائها يودون لو يغادرونه فترة ولو إلى الجحيم ليرضوا نزعة التغيير والتبديل ، ولكن بارئ هذه النفس - وهو أعلم بها - يحول رغباتها فلا تعود تبغي التحول عن الجنة وذلك في مقابل الخلود لا تحول له ولا نفاد (٢).

جـ - أسباب النزول :

عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال : " جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " عيينة بن حصن ،

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري: ١٦ / ٣٢ - ٧٣ ، والتفسير الكبير للرازي : ٢١ / ١٧٣ - ١٧٥ ، وفتح القدير للشوكاني : ٣ / ٣١٥ - ٣١٧ ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب : ٤ / ٢٢٩٥ ، وتفسير القرآن العظيم ٣ / ١٠٧ ، ١٠٨ ، وأنوار التنزيل للبيضاوي : ٢ / ٢٧ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن : ٤ / ٢٢٩٦ .

والأقرع بن حابس ، وذووهم " فقالوا : يارسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جباههم يعنون : سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك ، وحادثناك وأخذنا عنك ، فأنزل الله تعالى : (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا . واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد .....[1] .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا .... " قال : نزلت في أمية بن خلف الجمحي ، وذلك أنه دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - الى أمر كرهه من تحرد[2] الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة .[3]

*** *** ***

---

(١) انظر : أسباب النزول . للواقدي : ص ١٧١ ، ولباب النزول . للسيوطي : ص ١٨٥ . الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة الكهف .

(٢) تحرّد : يقال رجل حرد ، وحارد ، وحرد ، ومتحرد . من قوم حردا ، وحراد : معتزل منتح ، وهي حريد : منفرد اما لعزته أو لقلته . انظر : لسان العرب . مادة " حرد "

(٣) انظر: أسباب النزول . للواقدي : ص ١٧١ ، ولباب النزول . للسيوطي : ص ١٧٥ .

خـــاتمـــــة :

نتائج البحـــث

أما بعد فإن مجمل النتائج التي تستخلص من دراستنا لموضوع الصراع بين الحق والباطل في سورة الكهف يمكن إيجازها فيما يلي :

١ - يبدو أن هذا الصراع العقدي سيظل قائما بين الحق والباطـــل ما بقيت الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٢ - هذا الصراع اختبار للمؤمنين ، وتمحيص لإيمانهم .

٣ - الغالب أن الشباب أقبل للحق والهداية من الكهول والشيوخ ، ويدل على ذلك أن أتباع الأنبياء - في معظمهم - من شباب قومهم وفتيانهم وقد كان أصحاب الكهف والرقيم كما وصفهم الله فتية آمنوا بربهـــم فزادهم الله هدى وثباتا وتقوى .

٤ - إن تعرض المؤمنين للابتلاء والمضايقة والاضطهاد والحجر أمر متشابه في كل زمان ومكان .

فما أشبه قصة فتية أهل الكهف بقصة السابقين الأولين إلـــى الإسلام .

٥ - قدرة الله على صنع الخوارق والمعجزات ، وتنظيم سنن الكـــون ونواميس الحياة التي يألفها الناس ولا يدركون حكمتها وأسرارها .

٦ - تقرير حقيقة أمر البعث واليوم الآخر ، وما فيه من بأس شديد للعصاة ، والكافرين ، وأجر عظيم للمؤمنين والمتقين .

٧ - ابتلاء الله للبشر ولا سيما الكفار وأهل الكتاب من اليهود والنصارى بزينة الدنيا وزخارفها ومباهجها ومغرياتها ، وإنذارهم بوخامة العقـــبى

وسوء المصير ، وتبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات بحسن الأجر والثواب .

٨ - في هذه السورة تنويه بأثر الإيمان بالله في النفوس التي تختار الهجرة فرارا من بطش الحكام الظالمين وعدم الرضوخ لمشيئتهم وجبروتهم

٩ - تبين السورة للناس أن ما صنع الله - جلت قدرته وتبارك اسمه - بأصحاب الكهف ليس بأغرب من سائر آياته ، كخلق السماوات والأرض وخلق الإنسان وسائر المخلوقات .

١٠ - لقد أكدت السورة على أن الله يستجيب دعاء المؤمنين الصادقين وبسط عليهم لواء رحمته ، ويهيئ لهم أسباب الرزق ووسائل المعيشة وطرق النجاة كما وقع لأصحاب الكهف .

١١ - وفي السورة تقرير للحقيقة الثابتة في التدليل على وجود الإله الواحد الأحد ، وفساد اعتقاد أهل الشرك وعباد الأوثان الذين جاء ذكرهم على لسان أولئك الفتية بقولهم " هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا "[1].

١٢ - إن ما أصحاب الإنسان في هذه الدنيا من خير وشر إنما يتم بمشيئة الله وتدبيره لحكمة يريدها ، فهو المهيمن والمهيئ للأسباب ومالك زمانها كما وقع لصاحب الجنتين .

١٣ - نهي الإنسان عن الخوض في الأمور الغيبية التي تفرد بها رب العزة - جل جلاله - وعدم المجادلة والمراء في الأمور التي يعجز الإنسان

---

(١) سورة الكهف الآية : ١٥ .

عن إدراكها والوقوف على أسرارها ،كما ورد في معرض الحديث عن عدد أصحاب الكهف ،وفي قصة موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح .

١٤ - وصف القائد الصالح المؤمن بربه الذي أوتي من أسباب القوة وعناصر العزيمة ،ومن رجاحة العقل وسداد الرأي ونفاذ البصيرة ما مكنه من فتح الأمصار ومكافحة الظلم ،وإخضاع الجبابرة ،ونشر لواء العدل ،والقيام بأجل الأعمال كما فعل ذو القرنين .

١٥ - إن الله حقق للفتية ما وعدهم من التثبيت على الإيمان والزيادة في الهداية ،والمؤمن التقي يحفظه الله في نفسه وذريته وماله .

١٦ - في وقائع قصة المؤمن وصاحب الجنتين تعبير عن مثالين للنفس البشرية : مثال النفس المؤمنة المعتزة بإيمانها وعمق نظرها .
ومثال النفس الكافرة الجاحدة المعجبة بزينة الحياة الدنيا وزخارفها إنه تمثيل بطريقة عملية جلية ليتعظ من يتعظ عن بصيرة وعمق نظر عبر القرون والأجيال .

١٧ - إن عرض الحياة الدنيا وزخارفها ليس معيارا حقيقيا للتفاضل ،فقد يغدق الله على الكافر أكثر من المؤمن ،كما في قصة صاحب الجنتين

١٨ - السعادة الحقة ليست في كثرة المال والولد والعشيرة وزخارف الدنيا ولذاتها ،وإنما هي بالإيمان والطاعة لله تعالى والتقوى .

١٩ - إن التوبة سبيل المؤمنين عند وقوعهم في معصية الله .

٢٠ - إن الله لم يترك آدم وذريته وحدهم عرضة لإبليس وذريته ليتربصوا بهم ،بل أنزل عليهم الكتب ،وأرسل لهم الرسل لهدايتهم وتبشيرهم وإنذارهم .

٢١ - تحصل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأكبر :

وهذه قاعدة شرعية ،أصولية . كما حصل في خرق السفينة لحفظها لأصحابها المساكين ،وقتل الغلام حفظا لدين والديه وإقامة الجدار وإبقاء لمال اليتيمين حتى يبلغا الرشد .

٢٢ - التحذير من الغرور لكيلا يصاب الإنسان بالعجب والكبرياء ، فيعتقد أنه قد بلغ الكمال في العلم .

٢٣ - الحث على التريث في الحكم على الأمور ،وعدم المبادرة إلى إنكار مالا يستحسنه العقل ،فربما كان فيه سر لا يعرفه ،كما حدث لموسى مع الخضر - عليهما السلام - .

٢٤ - التأدب مع العالم وتقديره وتوقيره والتواضع له .

٢٥ - الغالب على الأمور أن أحكامها تجرى على الظاهر والله - عز وجل - يتولى السرائر .

٢٦ - إن الحقيقة ليست ما تدركه العيون فحسب ،فإن وراء المشاهد من الظواهر أسرارا ومغيبات لا يعلمها إلا الله تعالى .

٢٧ - من الحق التسليم المطلق والايمان والرضا بقضاء الله وقدره ومن الباطل الاعتراض على قضاء الله وقدره ،وعدم الإيمان والتسليم بذلك .

٢٨ - إمكان تعلم العالم الفاضل ممن هو أعلى منه أو دونه أو مثله فيما يحتاج اليه ،ولا ينقص ذلك من شأنه وقدره .

٢٩ - إن العلم البشرى مهما تقدم وبلغ الغاية في التطور والكمال فإنه قاصر بالمقارنة إلى علم الله ، " وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " .(١)

---

(١) الإسراء من الآية : ٨٥ .

٣٠ - وفي السورة تسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين الذين كانوا يتعرضون لأذى كفار قريش ، وحثهم على التمسك بأهداب الصبر ، وأنه لا بد من الفرج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر ، والمطأنينة بعد القلق والاضطراب .

وختاما : فإن آيات الله تتجلي لخلقه يوما بعد يوم حين يتعمقون في العلوم المختلفة ، ويتدبرون كتاب الله الكريم وما فيه من قصص وعبر ومواعظ وأخبار وحقائق وأحكام .

والقصة القرآنية من أنجع الوسائل وأكثرها تأثيرا في النفوس ، منها يكتسب أولو الألباب العبر والعظات كما قال تعالى : " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون "[1].

وهي تحكي الواقع والحقيقة دون زيادة أو نقص وتسمو على القصص الأخرى .

وكلمات الله وآياته ودلائله لا تنقضي كما قال تعالى :

" قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا "[2].

وقال - عز وجل - : " ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم "[3].

---

(١) سورة يوسف . الآية : ١١١

(٢) سورة الكهف الآية : ١٠٩ .

(٣) سورة لقمان : الآية : ٢٧ .

وبالإضافة إلى هذه الروائع التى استخلصت من هذه السورة نلحظ ارتباطا يكاد يكون وثيقا بين أولها وآخرها يكمن فى إثبات الوحدانية لله - سبحانه وتعالى - فقد جاء فى مستهل السورة إنذار إلى أولئك الذين لا يؤمنون بهذه الوحدانية ويزعمون أن لله ولدا وفى ختامها تأكيد لهذه الوحدانية .

" قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا " . (١)

*** *** ***

(١) سورة الكهف الآية : ١١٠ .

فهرس الآيات القرآنية

السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	٣١	٩٦
النساء	١	٩٥
الأعراف	٣٢	٩٥
يوسف	٧٦	١٢٤ ، ١٤٢٠
	١١١	٢٠٦
الحجر	٢٧	٩٩
النحل	١٢٥	١٤
الاسراء	١١	٩٤
	٨٥	١٨٦ ، ٢٠٥
الكهف	١	١٨ ، ١٨٨
	٢	١٨ ، ١٨٨
	٣	١٨ ، ١٨٨
	٤	١٨ ، ٢٠ ، ٢٣
	٥	١٤ ، ٢٠ ، ٢٣
	٦	١٨٨
	٧	١٥ ، ١٧ ، ١٩٤
	٨	١٩٤
	٩	١٩
	١٠	٢٠

السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
الكهف	١١	٥٥
	١٣	٢٥، ٥٣
	١٤	١٣، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٥٤
	١٥	١٤، ٢٠، ٥٤، ٢٠٣
	١٦	١٥، ١٩
	١٧	١٧، ٤٨، ٥٠، ٥١
	١٨	٦٤
	١٩	١٤، ٢١، ٥٧
	٢٠	٥٧
	٢١	١٧، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٧٠
	٢٢	٢١، ٢٨، ١٤، ٢٨، ٣٥، ٥٤، ٦٥، ٦٨
	٢٣	٢١
	٢٤	٢١
	٢٥	٣٤، ٥٥
	٢٦	١٤، ٢١، ٣٥، ٥٥
	٢٧	١٩٤، ٢٠١
	٢٨	١٥، ١٩٤، ٢٠١
	٢٩	١٥، ١٩٤
	٣٠	١٧
	٣١	١٧، ١٩
	٣٢	٧٤

السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
الكهف	٣٣	٧٤
	٣٤	٧٤
	٣٥	٧٤
	٣٦	٧٤
	٣٧	٧٩، ٢٠، ١٥، ٧٩
	٣٨	١٤، ١٥، ٢٠، ٧٩
	٣٩	١٥، ٢١، ٧٩، ٨٥
	٤٠	١٥، ٢١، ٧٩، ٨٥
	٤١	١٥، ٢١، ٧٩، ٨٥
	٤٢	٨٥
	٤٣	٨٥
	٤٤	٨٥، ٨٧
	٤٥	٧٦، ٨٣، ١٥
	٤٦	٧٦، ١٦
	٥٠	١٨، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢
	٥١	١٠٢
	٦٠	١٢٣، ١٢٥
	٦١	١٢٥
	٦٢	١٢٥
	٦٣	١٢٥
	٦٤	١٢٥

السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
الكهف	٦٥	١٢٢، ١٢٨
	٦٦	١٢٩
	٦٨	١٢٩
	٦٩	١٣٠
	٧٠	١٣٠
	٧١	١٣١
	٧٢	١٣١
	٧٣	١٣١
	٧٤	١٣٢، ١٣٣
	٧٥	١٣٢
	٧٦	١٣٢
	٧٧	١٣٦، ١٥٢
	٧٨	١٣٦، ١٥٢
	٧٩	١٣٧، ١٥٢
	٨٠	١٣٧، ١٥٢
	٨١	١٣٧، ١٥٢
	٨٢	١٤، ١٢٢، ١٣٧، ١٥٢
	٨٣	٢٢، ١٥٢
	٨٤	٢٢، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٢
	٨٥	٢٢، ٢٠٥، ١٥٦، ١٥٢

السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
الكهف	٨٦	٢٢، ١٤٩، ١٥٦، ١٥٢
	٨٧	٢٢، ١٨٢، ١٥٢، ١٥٧
	٨٨	٢٢، ١٨٢، ١٥٢، ١٥٧
	٨٩	٢٢، ١٥٧
	٩٠	٢٢، ١٥٧
	٩١	٢٢
	٩٢	٢٢، ١٦٢
	٩٣	٢٢، ١٦٢
	٩٤	٢٢، ١٦٩
	٩٥	٢٢، ١٦٢
	٩٦	٢٢
	٩٧	٢٢
	٩٨	٢٢، ١٦، ١٨٦، ١٥٤، ١٧٥
	٩٩	١٧٥
	١٠٣	١٦، ١٧، ١٩٤
	١٠٤	١٦، ١٧، ١٩٤
	١٠٥	١٦، ١٧، ١٩٤
	١٠٦	١٩٤
	١٠٧	١٨، ١٩٤
	١٠٨	١٨، ١٩٤
	١٠٩	١٨٨، ٢٠٦

السورة	رقم الاية	رقم الصفحة
الكهف	١١٠	٢٠، ٢٣، ١٨٨، ٢٠٧
الانبياء	٣٤	١١٧
	٩٦- ٩٧	١٧٧
الفرقان	٣٣	١٩٩
النمل	٣٦	١٧١
القصص	٨٦	١٢٠
لقمان	٢٧	٢٠٦
الصافات	٧٧	١٦٤
فصلت	٣٣- ٣٥	١٤٤
الزخرف	٣١ - ٣٢	١٢١
الرحمن	١٥	٩٩
المطففين	٢٠- ٢١	٣٧

فهرس الاحاديث النبوية

الحديث		رقم الصفحة
- أرأيتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقي ممن هو على ظهر الأرض أحد " .		١١٧
- " الا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله " .		٨٢
- " ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد واني أنهاكم عن ذلك ."		٦٤
- " أنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب "	هامش	٦٧
- " اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض		١١٨
- " انما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء " .		١١٣
- " ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو ادم على قدر الأرض منهم الأحمر ، والأبيض ، والأسود ، وبين ذلك والسهل والحزن ، والخبيث ، والطيب " .		٩٣
- " ان الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا " .		١٦٨
- " ان الله طيب ولا يقبل الا طيبا " .		١٩٣
- " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : قال موسى : قوم أتيناهم فلم يطعمونا " .		١٣٦
- " ان موسى - عليه السلام - سأل ربه كيف السبيل الى الخضر فأرشده ربه عز وجل على نحو ما جاء في الحديث "		١٢٥
- " ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم ؟ فقال أنا . فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فأوحى الله اليه أن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك . . . الحديث "		١٢٢

الحديث	رقم الصفحة
- " ان يأجوج ومأجوج ليحفرون الأرض " .	١٧٩
- " ان يأجوج ومأجوج من نسل آدم " .	١٦٥
- " ... ثم أنطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة "	١٢٣
- " خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم " .	١٠٠
- " رحمة الله علينا وعلى موسى ... " .	١٣٤
- " طلع علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن نتذاكر ..	١٧٥
- " عرش ابليس في البحر يبعث سراياه في كل يوم يفتنون الناس فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس " .	٩٨
- " الغلام الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا " .	١٣٨
- " فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة ..."	١٣٢
- " فبينما هو كذلك أوحى الله الى عيسى ... "	١٧٧
- " فرجعا فوجدا خضرا - قال لي عثمان بن أبي سليمان - على طنفسه - الحديث .	١٢٨
- " قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ياأباذر أربعة (يعنى من الرسل) سريانيون : ادم وشيثا ونوح وخنوخ " .	٩٥
- " قلت يارسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت يارسول الله كم الرسل ؟ منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير . قلت يارسول الله من كان أولهم ؟ قال : ادم . قلت يارسول الله نبى مرسل ؟ قال : نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه رجلا " .	٩٥

الحديث	رقم الصفحة
- " كانت الأولى من موسى نسيانا " .	هامش ١٣١
- " كان رجل يقرأ سورة الكهف والى جانبه حصان مربوط بشطنين فغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر فلما أصبح أتى النبى - صلى الله عليه وسلم - فذكر له فقال : - صلى الله عليه وسلم - : تلك السكينة تنزلت بالقرآن " .	٩
- " لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب " .	١٧٨
- " لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل " .	١٦٦
- " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "	٦٣ - ٦٤
- " لقيا غلاما فقتله .. "	١٣٣
- " لقيت ليلة الاسراء " .	١٧٦
- " لما خلق الله ادم تركه ماشاء أن يدعه فجعل إبليس يضيق به فلما راه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك" .	٩٤
- " لما نفخ فى ادم فبلغ الروح عطس فقال : الحمد لله رب العالمين فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله " .	٩٤
- " لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما فى الأرض " .	١٥٦
- " ما أنجاب ماء منذ كان الناس غيره ثبت مكان الحوت الذى فيه فانجاب كالكوة حتى يرجع اليه موسى فرأى مسلكه فقال : " ذلك ما كنا نبغ " .	١٢٦
- " ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهى يومئذ حية " .	١١٨
- " من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه الى رأسه ، ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين السماء والأرض " .	١١

الحديث	رقم الصفحة
- " من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال "	١٠
- " من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا يوم القيامة من مقامه الى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه " .	١١
- " من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق " .	١١
- " من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين	١١
- " والذي نفس محمد بيده : ان الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم " .	١٧٩
- " والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه الا أن يتبعني "	١١٩
- " وهم ولد آدم . . . "	١٧٧
- " يا أنس اذهب الى هذا القائل فقل له يستغفر لي فذهب اليه فقال له : قل له : ان الله فضلك على الأنبياء كما فضل رمضان على الشهور ، قال : فذهبوا ينظرون فاذا هو الخضر " .	١١٥
- " يقول الله تعالى يا آدم فيقول : لبيك وسعديك " .	١٦٤
- " يوشك أن يكون خير مال المرء غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " .	٥٥

ثبت المراجـــع

أولا : القرآن الكريم وعلومـــه :

١ - القرآن الكريم

الألوسي : محمد شكرى (ت ١٢٧٠ هـ) .

٢ - روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . طبعة : ادارة الطباعة المصطفائية ، بدبوبند بالهند - بدون تاريخ .

البكرى : أبو الحسن البكرى .

٣ - لباب التأويل " مخطوط " توزيع مكتبة النهضة بمكة المكرمة .

البدوسوى : اسماعيل حقي (ت : ١١٣٧ هـ)

٤ - روح البيان : ط : دار السعادة مطبعة عثمانية ١٣٣٣ هـ .

البيضاوى : عبد الله بن عمر (ت : ٧٩١ هـ)

٥ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل ط : الحلبى بمصر الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ

ابن جزى الكلبى : محمد بن احمد الغرناطي (ت : ٧٤١ هـ) .

٦ - التسهيل لعلوم التنزيل . المكتبة التجارية بالقاهرة . الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ .

الجصاص : أبو بكر بن احمد بن على : (ت ٣٧٠ هـ) .

٧ - أحكام القرآن : ط : المطبعة البهية بالقاهرة ١٣٤٧ هـ

محمد بن احمد السفارينى الأثرى الحنبلى

٨ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، لشرح الدرة المضية فى عقد الفرق المرضية . مطابع دار الأصفهانى وشركاه - بجيرة - ١٣٨٠ هـ -

جلال الدين المحلى (ت٨٦٤ هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)

٩ - تفسير الجلالين . ط بالحلبى بمصر : (بدون تاريخ) .

الجمل : سليمان بن عمر الشافعي (ت : ١٢٠٤ هـ) .

١٠ - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين . ط : الحلبي .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : (ت: ٦٥٤ هـ)

١١ - زاد المسير ط : المكتب الاسلامي بدمشق . الطبعة الاولى ١٣٨٥هـ

أبو حاتم : محمد بن ادريس الرازي : (٣٢٧ هـ) .

١٢ - تفسير أبي حاتم (مخطوط) : المكتبة السعودية بالرياض رقم ٩٥ .

أبو حيان : محمد بن يوسف الأندلسي : (ت ٧٥٤ هـ) .

١٣ - البحر المحيط . ط : دار السعادة بمصر . الطبعة الاولى ١٣٢٨هـ

الخازن : علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي (ت : ٧٤١ هـ)

١٤ - تفسيره ، وبهامشه تفسير البغوي : أبي حسين الفراء ط : المكتبة التجارية بالقاهرة (بدون تاريخ) .

الخطيب الشربيني :

١٥ - السراج المنير . ط : المطبعة الخيرية بالقاهرة . الطبعة الاولى ١٣١١ هـ

الرازي : فخر الدين محمد بن عمر (ت : ٦٠٦ هـ) .

١٦ - التفسير الكبير . ط : مطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة . الطبعة الأولى (بدون تاريخ) .

الزمخشري : جار الله محمود بن عمر الخوارزمي : (ت : ٥٣٨ هـ)

١٧ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل ط : طهران (بدون تاريخ) .

أبو السعود محمد : ابن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢ هـ)

١٨ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . ط: مطبعة السعادة بمصر (بدون تاريخ) .

سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفي : (ت : ١٦١ هـ) .

١٩ - تفسيره ، ط : رامبور بالهند ١٣٨٥ هـ .

سيد قطب ابراهيم

٢٠ - في ظلال القرآن ، ط : دار الشروق بيروت . الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر : (ت : ٩١١ هـ)

٢١ - لباب النقول في أسباب النزول . هامش تفسير ابن عباس المسمى بتنوير المقباس : ط : المطبعة الأزهرية ١٣١٦ هـ .

الشوكاني : محمد بن علي بن حمد : (ت : ١٢٥٠ هـ) .

٢٢ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية ، والدراية ، في علم التفسير : ط : الحلبي بمصر . الطبعة الثانية : ١٣٨٣ هـ .

الطبرسي : أبي علي فضل بن الحسين .

٢٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن : ط : دار الفكر بيروت (بدون تاريخ)

الطبري : محمد بن جرير : (ت : ٣١٠ هـ)

٢٤ - جامع البيان عن تأويل القرآن . ط : الحلبي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ .

طنطاوي جوهري :

٢٥ - الجواهر في تفسير القرآن . ط : الحلبي بمصر ١٣٤٦ هـ .

عبد الله بن عباس : (ت : ٦٨ هـ) .

٢٦ - تنوير المقباس ، ط : مكتبة الجمهورية . بالقاهرة . (بدون تاريخ)

عبد الرحمن بن ناصر السعدي .

٢٧ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . ط : المؤسسة السعودية بالرياض بتحقيق محمد زهدي النجار .

ابن العربي : ابو بكر بن عبد الله الأندلسي : (ت : ٥٤٢ هـ)

٢٨ - أحكام القرآن ، ط : دار السعادة بمصر ١٣٣١ هـ

القاسمي : محمد جمال الدين (ت : ١٣٣٢ هـ)

٢٩ - محاسن التأويل . ط : الحلبي بمصر . الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ .
بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري : (ت : ٦٦٨ هـ)

٣٠ - الجامع لأحكام القرآن : ط . مطبعة دار الكتب المصرية . ١٣٥٩ هـ

ابن كثير . اسماعيل بن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) .

٣١ - تفسير القرآن العظيم : ط : دار الفكر بيروت . (بدون تاريخ) .

الماوردي : علي بن حبيب (ت : ٤٥٠ هـ) .

٣٢ - تفسير الماوردي " مخطوط " بمكتبة كوبرلي باستنبول رقم : ٢٤ .

مجاهد بن جبر المكي المخزومي : (ت : ١٠٣ هـ)

٣٣ - تفسير مجاهد ، ط : مجمع البحوث الإسلامية . بحيدر آباد بالهند
تصوير على نفقة الشيخ . خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر
١٣٩٦ هـ . بتحقيق : عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي .
محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .

٣٤ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ط: مطبعة المدني بالقاهرة
محمد البهي .

٣٥ - التفسير الموضوعي للقرآن ، ط : مكتبة وهبة بالقاهرة .
محمد محمود حجازي .

٣٦ - التفسير الواضح ، ط : مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة . الطبعة
الثالثة ١٩٦٤ هـ .

محمد مصطفى المراغـــــي .

٣٧ - تفسير المراغي . ط : الحلبي بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٦٥ هـ

محمد علي الصابوني .

٣٨ - صفوة التفاسير ، تفسير الكهف ومريم ويس . ط : مكتبة الغزالي ببيروت ودمشق - الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .

النسفي : عبد الله بن احمد بن محمود : (ت : ٧٠١ هـ)

٣٩ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، ط : الحلبي بمصر ١٣٤٤ هـ

الواحدي : علي بن احمد النيسابوري : (ت : ٤٦٨ هـ)

٤٠ - أسباب النزول ، ط : الحلبي بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٧٩ هـ .

....

ثانيا : الحديث الشريف وعلومه :

أحمد بن حنبل الشيباني : (ت : ٢٤١ هـ) .

٤١ - مسند الإمام احمد : ط : المكتب الاسلامي ببيروت . الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ . و ط : حيدر آباد بالهند . (بدون تاريخ) .

أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي .

٤٢ - الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني ، ط : ونشر الساعاتي بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ .

البخاري : الامام محمد بن إسماعيل (ت : ٢٥٦ هـ)

٤٣ - صحيح البخاري ط : المكتب الإسلامي باستنبول . تركيا . الطبعة الاولى : ١٣٩٧ هـ .

البغوى : حسين بن مسعود (ت : ٥١٦ هـ)

٤٤ - شرح السنة . ط : المكتب الإسلامي بدمشق بتحقيق شعيب الأرناؤطي ،وزهير الشاويش . الطبعة الاولى ١٣٩٠ هـ .

الترمذى : محمد بن عيسى بن سورة السلمي (ت : ٢٧٩ هـ) .

٤٥ - الجامع الصحيح ،ط : الحلبى بمصر . الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ

الحاكم : محمد بن عبد الله النيسابورى (ت : صفر ٤٠٥ هـ)

٤٦ - المستدرك على الصحيحين ،ط : مكتبة النصر بالرياض (بدون تاريخ)

ابن حجر : أحمد بن على بن حجر العسقلاني : (ت : ٨٥٢ هـ)

٤٧ - فتح البارى : طبعة : المطبعة السلفية بالقاهرة . (بدون تاريخ)

بتحقيق : الشيخ عبد العزيز بن باز ،ومحب الدين الخطيب ،ومحمد فؤاد عبد الباقي .

الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن (ت : ٢٥٥ هـ) .

٤٨ - سنن الدارمي . ط : شركة الطباعة بالدراسة ١٣٦٨ هـ .

ابن ماجة : محمد بن يزيد القزوينى (ت ٢٧٤ هـ) .

٤٩ - سنن ابن ماجة ،ط : الحلبى بمصر .

مسلم بن الحجاج القشيرى : (ت : ٢٦١ هـ) .

٥٠ - صحيح مسلم ،ط : ونشر الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٠ هـ .

بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

النووى : يحى بن شرف الدين (ت : ٦٧٦ هـ) .

٥١ - المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج ط : دار الفكر بيروت .

ثالثا : كتب التراجم والتاريخ :

ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد (ت : ٦٣٠ هـ)

٥٢ - الكامل في التاريخ . ط : دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ

الأزرقي : محمد بن عبد الله بن عقبة الأزرق . (ت : ٢٢٣ هـ) .

٥٣ - أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ط : المطبعة الماجدية بمكة المكرمة ١٣٥٢ هـ .

الثعلبي : أحمد بن محمد بن ابراهيم : (ت : ٤٢٧ هـ) .

٥٤ - قصص الأنبياء المعروف بالعرائس ، ط : مكتبة الجمهورية بالقاهرة (بدون تاريخ) .

ابن حجر : احمد بن علي العسقلاني

٥٥ - الإصابة في تمييز الصحابة ، ط : دار السعادة بمصر ١٣٢٣ هـ

الطبري : محمد بن جرير .

٥٦ - تاريخ الأمم والملوك ، ط : دار القاموس الحديث ببيروت .

(بدون تاريخ) .

فيليب حتي

٥٧ - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ترجمة الدكتور جورج حداد ، وعبد الكريم رافق ، ط : دار الثقافة . ببيروت ١٩٥٨ م .

ابن كثير : اسماعيل بن كثير

٥٨ - البداية والنهاية ، ط : مكتبة المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض (بدون تاريخ) .

المسعودي : علي بن الحسين بن علي (ت : ٣٤٦ هـ) .

٥٩ - مروج الذهب ، ط : مطبعة عبد الرحمن محمد بالقاهرة ١٣٤٤ هـ

الواقدى : محمد بن عمر : (ت : ٢٠٧ هـ) .

٦٠ - فتوح الشام ، ط : الحلبى بالقاهرة (بدون تاريخ)

اليعقوبى : يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح (ت : ٢٩٢ هـ) .

٦١ - تاريخ اليعقوبى ط : مطبعة الغرى بالنجف ، العراق ١٣٥٨ هـ .

رابعا : معاجم اللغة العربية :

ابن دريد : محمد بن الحسن الأزدى البصرى (ت : ٣٢١ هـ)

٦٢ - جمهرة اللغة ، ط : مكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ)

الرازى : محمد بن أبى بكر (ت : ٦٦٦ هـ) :

٦٣ - مختار الصحاح ، ط : بولاق ، الطبعة الثانية ١٢٥٥ هـ

الزبيدى : محمد مرتضى اليمنى (ت : ١٢٠٥ هـ) .

٦٤ - تاج العروس فى جواهر القاموس ط : المطبعة الخيرية بمصر . الطبعة الاولى ١٣٠٦ هـ .

الفيروز آبادى : محمد بن يعقوب الشيرازى : (ت : ٨١٧ هـ)

٦٥ - القاموس المحيط ، ط : دار الفكر ببيروت ١٣٩٨ هـ

مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٦٦ - المعجم الوسيط ط : دار المعارف بمصر الطبعة الثانية : ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م . باشراف إبراهيم أنيس وآخرين .

المقرى الفيومي : أحمد بن محمد بن علي (ت : ٧٧٠ هـ) .

٦٧ - المصباح المنير ، ط : بولاق ، الطبعة الثانية . ١٩٠٩ م

ابن منظور : محمد بن مكرم بن على الأفريقي المصرى (ت:٧١١هـ)

٦٨ - لسان العرب المحيط . ط : دار صادر بيروت ١٣٧٤ هـ

خامسا : كتب التقويم :

محمد أمير الخاني :

٦٩ - المستدرك على معجم البلدان لياقوت ، ط : دار السعادة بمصر الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ .

المقدسي : محمد بن احمد المعروف بالبشارى :

٧٠ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط : ليرق ، الطبعة الثانية ١٩٠٩ م .

الهروى : على بن أبى بكر : (٦١١ هـ)

٧١ - الاشارات في معرفة الزيارات ، ط : المعهد الفرنسي للدراسة العربية بدمشق سنة ١٩٥٣ م .

ياقوت بن عبد الله الحموى (ت : ٦٢٦ هـ) .

٧٢ - معجم البلدان ، ط : دار السعادة بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٤هـ

سادسا : كتب الثقافة العامة :

بكرى شيخ الأمين

٧٣ - التعبير الفني في القرآن . ط : دار الشروق بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ .

ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت : ٧٢٨ هـ) .

٧٤ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، نشر الرئاسة العامة

لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ، بتعليق محمد عبد الوهاب فايد .

٧٥ - مجموع الفتاوى ط : مطابع الرياض . الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ .
جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد النجدى .

٧٦ - منهاج السنة النبوية . فى نقض كلام الشيعة والقدرية ط : مكتبة الرياض الحديثة (بدون تاريخ) .

الجاحظ : عمرو بن بحر البصرى : (ت : ٢٢٥ هـ) .

٧٧ - الحيوان . ط : دار الكتاب العربي ببيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ
تحقيق عبد السلام هارون .

أبو الحسن الندوى :

٧٨ - تأملات في سورة الكهف ط : المختار الاسلامي بالقاهرة . الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ .

الدميرى : كمال الدين محمد بن عيسى الشافعي (ت : ٨٠٨ هـ)

٧٩ - حياة الحيوان الكبرى : ط : المكتبة التجارية بالقاهرة (بدون تاريخ)
سعد صادق عرجون :

٨٠ - صراع بين الحق والباطل ، ط : ونشر دار اللواء بالرياض . الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ .

٨١ - ابن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى (ت : ٦٤٣ هـ)
فتاوى ابن الصلاح . مجموعة الأحاديث النجدية . ط : ادارة الطباعة المنيرية . بالقاهرة (بدون تاريخ) .

عبد الكريم الخطيب :

٨٢ - القصص القرآني ، مفهوم ومنطوقه ، ط : دار الفكر بالقاهرة .

محمد أحمد جاد المولي وآخرون :

٨٣ - قصص القرآن الكريم ، ط : المكتبة التجارية بالقاهرة ، الطبعة العاشرة ١٣٨٩ هـ .

محمد تيسير ظبيان :

٨٤ - أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية ، ط : دار الاعتصام بالقاهرة . الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .

محمد علي الصابوني :

٨٥ - ايجاز البيان في سور القرآن ، ط : مكتبة الغزالي بدمشق وبيروت الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

محمد قطب ابراهيم :

٨٦ - منهج الفن الاسلامي ، ط : دار الشروق ببيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ .

محمد المجذوب :

٨٧ - قصص وعبر ، ط : مكتبة الرياض الحديثة (بدون تاريخ) .

محمود زهران :

٨٨ - قصص من القرآن ، ط : دار الكتاب العربي بالقاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٧٥ هـ .

مصطفى نوح :

٨٩ - القول الدال على حياة الخضر - عليه السلام - والأبدال (مخطوط) رقم ٦ بالمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض .

وفيق وفا الدجاني :

٩٠ - اكتشاف كهف أهل الكهف ، ط : مؤسسة المعارف ببيروت ، الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ .

٩١ - دائرة المعارف الاسلامية . ترجمة ، محمد ثابت الفندى وآخـــرين
ط : طهران ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٣ م .
٩٢ - ديوان أمية بن أبي الصلت ، ط : المطبعة الوطنية ببيروت .
الطبعة الاولى . ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م .

*** *** *** ***

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١
١ - تمهيد : مكانة سورة الكهف وموضوعها ومقاصدها	٩
أ - فضل سورة الكهف	٩
ب - موضوع سورة الكهف	١٢
جـ - مقاصد سورة الكهف	١٧
٢ - الفصل الأول :	
صراع الايمان والكفر في قصة أهل الكهف	٢٤
المبحث الأول : التعريف بأهل الكهف والرقيم	٢٥
أ - التعريف والصفات	٢٥
ب - عدد الفتية	٢٨
جـ - أسماء الفتية	٣٢
د - عصرهم	٣٣
هـ - ديانتهم	٣٦
و - الرقيم	٣٧
المبحث الثاني : أحداث قصة أهل الكهف والرقيم ...	٤١
أ - موقع الكهف وصفته	٤١
ب - ايمان أهل الكهف والرقيم	٥٢
جـ - مناهضة أهل الكهف للباطل وانتصارهم عليه ..	٥٤
د - فترة مكثهم في الكهف	٥٥
هـ - بعثهم وعلته	٥٧

الموضـــوع	الصفحة
و - العثور عليهـــم	٥٨
ز - تخليد ذكراهـم	٦٢
ح - كلب أهل الكهف	٦٤
١ - حقيقة الكلـب	٦٥
٢ - اسمه وصفتـه	٦٦
٣ - مكانـــــه	٦٧
ط - قيمة قصتهم في تاريخ الانسان	٦٨
٣ - الفصل الثاني :	
الصراع في قصة المؤمن وصاحب الجنتين	٧٣
المبحث الأول : التفكير المادى وقصر نظره	٧٤
أ - آيات الموضـوع	٧٤
ب - مجمل معاني الآيات	٧٤
جـ - أسباب النـزول	٧٦
المبحث الثاني : التفكير الإيماني وعمقه	٧٩
أ - آيات الموضـوع	٧٩
ب - مجمل معاني الآيات	٧٩
جـ - الصراع في القصـــة	٨٣
المبحث الثالث : نتائج الصـــراع	٨٥
أ - آيات الموضـوع	٨٥
ب - مجمل معاني الآيات	٨٥

الموضـــوع	الصفحة
٤ - الفصل الثالث :	
الصراع في قصة آدم وإبليس	٩١
المبحث الأول : التعريف بآدم وإبليس	٩٢
أ - التعريف بآدم عليه السلام	٩٢
١ - خلقه عليه السلام	٩٢
٢ - نبوته ورسالتـــه	٩٤
٣ - ذريته عليه السلام	٩٥
٤ - خصائص آدم عليه السلام	٩٥
ب - التعريف بإبليس عليه اللعنة	٩٧
١ - اسمـــه	٩٧
٢ - أصلـــه	٩٨
المبحث الثاني : نشأة الصراع وأسبابه	١٠١
أ - مجمل قصة الصراع	١٠١
ب - آيات الموضـــوع	١٠١
جـ - مجمل معاني الآيات الكريمة	١٠٢
د - مواطن العبرة في هذه القصة	١٠٥
المبحث الثالث : نتائج هذا الصراع	١٠٧
٥ - الفصل الرابـع :	
الحوار في قصة موسى والخضر عليهما السلام	١١٢
المبحث الأول : التعريف بالخضر عليه السلام	١١٣

الموضـــوع	الصفحة
أ - اسمه وكنيتـــه	١١٣
ب - نسبـــــــه	١١٤
جـ - حياته وموتـــه	١١٥
د - الخضر - عليه السلام - بين النبوة والولاية ...	١٢٠
المبحث الثاني : التعريف بموسى عليه السلام وفتاه ...	١٢٣
أ - التعريف بموسى عليه السلام	١٢٣
ب - سبب خروج موسى لقاء الخضر	١٢٤
جـ - سفر موسى وفتاه إلى مجمع البحرين	١٢٤
١ - أحداث السفر	١٢٤
٢ - مجمع البحرين	١٢٧
د - اجتماع موسى بالخضر وبدء الحوار بينهما ...	١٢٨
هـ - مصاحبة موسى للخضر عليهما السلام	١٣٠
١ - خرق السفينة	١٣١
٢ - قتل الغـــلام	١٣٢
٣ - اقامـة الجدار	١٣٤
المبحث الثالث : تحد للتفكير المادي	١٣٧
أ - آيات الموضـوع	١٣٧
ب - مجمل معاني الآيات	١٣٧
جـ - العبر والدروس المستفادة	١٤٢

الموضـــــوع	الصفحة
٦ - الفصل الخامس :	
قصـــة ذى القرنـين	١٤٥
المبحث الأول : التعريف بذى القرنين وعلة تسميته ...	١٤٦
أ - اسمه ونسبه	١٤٦
ب - علة تلقيبه	١٤٧
جـ - حقيقة أمره	١٤٩
د - عصـــــره	١٥٠
المبحث الثاني : سيرته وما هيأ الله له من أسباب ...	١٥٢
أ - سيرتـه	١٥٢
ب - التمكين له في الارض	١٥٤
جـ - الارتحال إلى مغرب الشمس	١٥٦
د - الارتحال إلى مشرق الشمس	١٥٧
هـ - الإرتحال إلى الشمـــــال	١٦٢
و - يأجوج ومأجـــــوج	١٦٣
١ - أصلهـــم	١٦٣
٢ - صفاتهم وعددهم	١٦٥
٣ - إفسادهم فى الارض	١٦٩
٤ - بناء السد	١٧٠
٥ - صفة السـد	١٧٣
٦ - خروج يأجوج ومأجوج فى آخرالزمان وإفساد هـم	١٧٥

الموضـــوع	الصفحة

المبحث الثالث : من صور الصراع ١٨١

المبحث الرابع : من نتائج الصراع ١٨٢

٧ - الفصل السادس : منهج السورة في تصحيح العقيدة

وتقرير نهيتها ١٨٧

المبحث الأول : تصحيح العقيدة ١٨٨

أ - آيات الموضوع ١٨٨

ب - مجمل معاني الآيات ١٨٨

جـ - أسباب النزول ١٩٢

المبحث الثاني : معايير السورة في تقرير القيم والجزاء ١٩٤

أ - آيات الموضوع ١٩٤

ب - مجمل معاني الآيات ١٩٥

جـ - أسباب النزول ٢٠٠

٨ - خاتمـــــة

نتائج البحـــث ٢٠٢

فهرس الآيات القرآنية ٢٠٨

فهرس الأحاديث النبوية ٢١٤

ثبت المراجع ٢١٨

كلية الدعوة والإعلام
قسم الدراسات العليا
نسخة الطالب